

جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين

أطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بعنوان :

﴿ إستدراكات شيخ زاده في حاشيته على البيضاوي في بعض علوم القرآن ﴾

﴿ Astdrakat Sheikh Zadeh in his Annotation on Al- Bidawi in some of the Science of the Holy Quran ﴾

إعداد الطالب

خضر إبراهيم أسعد قزق

(٢٠٠٩٢٥٠٠٠٢)

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد أحمد سرحان

٢٠١٢ م

﴿ استدراكات شيخ زاده في حاشيته على البيضاوي في بعض علوم القرآن ﴾

إعداد الطالب

خضر إبراهيم أسعد قزق

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن الكريم في جامعة اليرموك ، إربد – الأردن

وافق عليها

أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور **محمد أحمد سرحان** .... مشرفاً رئيساً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية الشريعة – جامعة اليرموك .

الأستاذ الدكتور **عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد** .... عضواً خارجياً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم في جامعة العلوم الإسلامية، عمان.

الأستاذ الدكتور **محمد خازر المجالي** .... عضواً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة – جامعة اليرموك .

الأستاذ الدكتور **عبدالله أبو السعود بدر** .... عضواً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة – جامعة اليرموك .

الأستاذ الدكتور **يحيى ضاحي علي شطناوي** .... عضواً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة – جامعة اليرموك .

نوقشت يوم الخميس الموافق ٢٧ / ١٢ / ٢٠١٢م

الإهداء

إلى أمي الحبيبة رحمها الله تعالى التي طالما تمنت أن تراني شاباً متعلماً عاملاً وداعياً

إلى أبي الحبيب حفظه الله ورعاه ،وشافاه الله وعافاه الذي نذرني كما قال

لخدمة ديني ودعوتي

إلى مشايخي وأساتذتي في مسجدي ومنطقتي الذين علموني الحروف الأولى للعلوم ونصحوني

وأرشدوني إلى طريق الله تعالى

إلى زوجتي الغالية حنان كلش حفظها الله ورعاها التي أولتني كل حنان وتحملت مني ما لا

يتحمله إلا العظماء من النساء

إلى إخواني أسعد ومحمد وأحمد ومحمود ، وأخواتي رحاب وعاطفة وفاطمة ، لهم مني كل الحب

والتقدير فقد كانوا خير عون

إلى ابني البراء الذي أسأل الله تعالى أن يبرئه من الزيغ والضلال وأن يهديه سبل الهداية

والرشاد والسداد، وقد سميته باسمه تشبيهاً له بالبراء بن مالك رضي الله عنه

إلى ابني حمزة الذي أتوسم فيه الخير الكثير كأخيه، وأرجو الله أن يسير على خطى حمزة

أسد الله وأسد رسوله

إلى كل من دعمني وآزرني بالنصح والتوجيه والتشجيع

أقول لهم جميعاً ــــــــــــــــــــــــ أهدي إليكم هذا العمل

شكر وتقدير

الشكر أولا وآخراً لله تعالى

ومن ثم إلى أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور محمد السرحان حفظه الله ورعاه وأطال

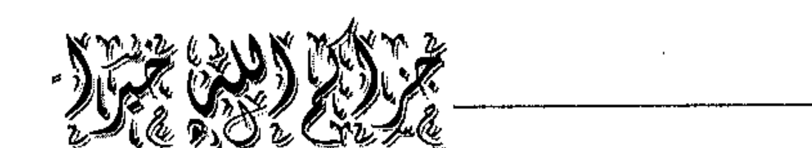
في عمره ونفع به الإسلام والمسلمين

ومن بعد إلى الجنود المجهولين

الذين قدموا لي الدعم المالي والمعنوي، أدعو الله لهم بالأجر والثواب في الدنيا

وبالخلود في جنات النعيم في الآخرة

لا أذكرهم هنا ويكفيهم أن الله تعالى يعلمهم

أقول لهم جميعاً ________________ 

الملخص باللغة العربية

خضر إبراهيم أسعد قزق

استدراكات شيخ زاده في حاشيته على البيضاوي في بعض علوم القرآن الكريم

أطروحة دكتوراة – جامعة اليرموك – ٢٠١٣ م

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد السرحان

يعد تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى والمسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل من المراجع المهمة في التفسير في القرن السابع الهجري إلى يومنا هذا، وقد ظهرت قيمته من خلال أمور كثيرة منها كثرة الحواشي على هذا التفسير.

وتعد حاشية شيخ زاده رحمه الله تعالى من أهم الحواشي المهمة على هذا التفسير العظيم إن لم نقل إنها أهمها ، وقد تتبع فيها شيخ زاده رحمه الله الإمام البيضاوي بالتوضيح والتعليق والموافقة والمعارضة والمناقشة والاستدراك ، فكانت بحق كنزاً من كنوز التفسير وواحدة من مظانه .

وقد تتبعت كلام شيخ زاده رحمه الله تعالى فوجدته يشرح عبارة الإمام البيضاوي شرحاً وافياً ويفك مغلقاته في هذا التفسير.

ولاحظت أن شيخ زاده رحمه الله تعالى أجاد وبرع في تقصي عبارة الإمام البيضاوي في كل العلوم والمعارف التي تميز بها شيخ زاده ، وما أكثرها ؛ من علوم اللغة وأساليبها وفنونها وأفنانها ومن العبارات التفسيرية التي أضاف فيها شيخ زادة إضافات معتبرة تدل على تضلعه في علم التفسير تضلعاً لا ينكره إلا عدم مطلع.

وعلوم القرآن الكريم من العلوم الكثيرة التي تطرق إليها شيخ زاده في تحشيته على البيضاوي في تفسيره ، وقد كانت له إضافات توضيحية واستدراكات واضحة على الإمام في كثير من العناوين المتعلقة بعلوم القرآن الكريم .

وقد حاولت في هذه الرسالة تتبع استدراكات شيخ زاده رحمه الله تعالى على البيضاوي في علوم القرآن الكريم فقط ، حيث ذكرت ما قرره الإمام البيضاوي رحمه الله في تفسيره عنها ، وتتبعت تحشية شيخ زاده عليه ، ثم أدليت بدلوي كباحث ما استطعت إما بالموافقة أو بالمعارضة وإلا بالسكوت والقبول والاكتفاء بما استدركه الشيخ على الإمام .

ثم وضعت الحاشية في الميزان فتتبعت أقوال العلماء عن هذه الحاشية ، وذكرت أهم مزايا الحاشية ، وسجلت ما استطعت من مآخذ على هذه الحاشية معتذراً بأن هذه الملاحظات بحسب فهمي القاصر والضعيف من خلال تعاملي مع هذه الحاشية الكنز .

وأستطيع القول إن هناك استدراكات كثيرة معتبرة لشيخ زاده على البيضاوي في التفسير وفي علوم القرآن ، واختصاصي في هذه الدراسة بعلوم القرآن لا يعني أنني استطعت أن أستقرئ كل الاستدراكات في هذا المجال ولكنني أزعم أن هذه الدراسة قد غطت جانباً مهماً من هذا الموضوع .

ولعل هذه المحاولة تفتح المجال أمام الإخوة الطلاب للبحث في هذه الحاشية واستخراج اللآلئ والمرجان منها، وتقديمها للناس، بما يضيف إضافات حقيقية للمكتبة التفسيرية المعاصرة.

الله اسأل أولاً العفو عن التقصير والخطأ ، ومن ثم أسأله تعالى السداد والتوفيق والقبول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١.	الإهداء	ج
٢.	شكر وتقدير	د
٣.	الملخص باللغة العربية	هـ - و
٤.	فهرس الموضوعات	ز – ي
٥.	المقدمة	١ ـ ٥
٦.	أسباب اختيار الموضوع وأهميته	٦ ـ ٨
٧.	منهجية الدراسة	٨
٨.	حدود الدراسة	٨
٩.	مشكلة الدراسة	٩
١٠.	الدراسات السابقة	٩ ـ ١٠
١١.	خطة البحث	١١ ـ ١٣
١٢.	التمهيد	١٤
١٣.	المبحث الأول: التعريف بشيخ زاده	١٥
١٤.	المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته.	١٥ ـ ١٨
١٥.	المطلب الثاني: شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، أقوال العلماء فيه	١٨ ـ ٢٤

الرقم	الموضوع	الصفحة
١٦.	المبحث الثاني: التعريف بالإمام البيضاوي المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته	٢٥ ـ ٢٧
١٧.	المطلب الثاني: حياته العلمية من حيث شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، أقوال العلماء فيه	٢٨ ـ ٣٣
١٨.	المطلب الثالث: التعريف بتفسير الإمام البيضاوي، وأقوال العلماء فيه	٣٤ ـ ٣٧
١٩.	المبحث الثالث: التعريف بمفردات العنوان	٣٨
٢٠.	المطلب الأول: تعريف الاستدراك لغة	٣٨ ـ ٤٠
٢١.	ثانياً : تعريف الاستدراك اصطلاحاً	٤٠ ـ ٤٧
٢٢.	ثالثاً : التعريف المعتمد في هذه الدراسة	٤٧
٢٣.	المطلب الثاني: تعريف علوم القرآن لغة واصطلاحاً	٤٨ ـ ٥١
٢٤.	المطلب الثالث: صيغ الاستدراك عند شيخ زاده	٥٢
٢٥.	أولا: الصيغ الصريحة	٥٢
٢٦.	ثانيا: الصيغ غير الصريحة	٥٢ ـ ٥٣
٢٧.	المطلب الرابع : تعريف الحاشية لغة واصطلاحاً	٥٤ ـ ٥٦
٢٨.	الفصل الأول :الاستدراكات في علوم القرآن	٥٧

الرقم	الموضوع	الصفحة
.٢٩	المقدمة	٥٧ ـ ٦٠
.٣٠	المبحث الأول: استدراكات شيخ زاده على البيضاوي في الناسخ والمنسوخ	٦١ – ١٠٢
.٣١	المبحث الثاني: استدراكاته في أول ما نزل، وآخر ما نزل	١٠٣ ـ ١١٤
.٣٢	المبحث الثالث: استدراكاته في المكي والمدني	١١٥ ـ ١٣٢
.٣٣	المبحث الرابع: استدراكاته في القراءات	١٣٣ ـ ١٤٩
.٣٤	المبحث الخامس: استدراكاته في المحكم والمتشابه	١٥٠ ـ ١٧٥
.٣٥	المبحث السادس: استدراكاته في تعامله مع ما ظاهره الإشكال والتناقض	١٧٦ ـ ١٨٨
.٣٦	المبحث السابع: استدراكاته في أقواله في الأحرف المقطعة في أوائل السور	١٨٩ ـ ٢٠٠
.٣٧	المبحث الثامن: استدراكاته في العام والخاص	٢٠١ ـ ٢١٤
.٣٨	الفصل الثاني: القيمة العلمية لاستدراكات شيخ زاده في حاشيته على البيضاوي	٢١٥
.٣٩	الفصل الثاني : المبحث الأول: التعريف بحاشية شيخ زاده	٢١٦ ـ ٢٣٠
.٤٠	المبحث الثاني : أهم الحواشي على تفسير البيضاوي.	٢٣١ ـ ٢٤٥
.٤١	المبحث الثالث: منهج شيخ زاده في حاشيته	٢٤٦ ـ ٢٤٨

الرقم	الموضوع	الصفحة
٤٢.	المبحث الرابع: أهم مزايا الحاشية	٢٤٩ـ٢٥٠
٤٣.	المبحث الخامس : أهم المآخذ على الحاشية.	٢٥١ ـ ٢٥٣
٤٤.	الخاتمة	٢٥٤ـ ٢٥٥
٤٥.	المصادر والمراجع	٢٥٦ـ ٢٦٩
٤٦.	الملخص باللغة الانجليزية	٢٧٠ـ ٢٧١



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً دائماً أبداً مباركاً ، ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء ربنا من شيء بعد ، خير ما قال العبد ، وكلنا له عبد ، نحمده بالمحامد كلها ،ما علمنا منها وما لم نوفق إلى علمه بعد ، أثني عليك يا ربنا بما علمت فأين علمي من ثنائك ، وأصلي وأسلم وأبارك على سيدنا وحبيبنا وقائدنا وقرة أعيننا وقدوتنا ودليلنا إلى الله تعالى وشفيعنا يوم القيامة إن شاء الله من بعثه الله رحمة للعالمين ، فهدى به البشرية إلى الطريق القويم ، وسار بها على هدىً من الله ونور ، وتركها على المحجة البيضاء والنور المبين ، والهدي الساطع، الليل فيه كالنهار ، لن يضيع أو يضل أو يحار أو يتيه من تمسك بهديه ونوره ، ولن يزيغ عنها إلا هالك ، ولن يتنكبها إلا ضال ، فأفضل الصلاة وأتم التسليم عليه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، الذين حملوا لواء هذا الدين فأدوا أمانة القيام به وحفظه وتبليغه للناس ما وسعهم الجهد ، فجزاهم الله تبارك وتعالى عن الإسلام والمسلمين كل خير ، وكذا صلاة ربي وسلامه على من سار على دربهم واستن بسنتهم وجاهد بجهادهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم أما بعد :

عنوان الدراسة هو

استدراكات شيخ زاده في حاشيته على البيضاوي في بعض علوم القرآن الكريم

لا يخفى أن قيمة وأهمية أي علمٍ إنما تقاس بقيمة وأهمية المعلوم، وبمقدار الحاجة إلى ذلك العلم ، ومن ثَم كان علم تفسير كلام الله تعالى والوقوف على أوامر الله تعالى طلباً وتركاً هو من أجلّ العلوم وأرفعها قدراً، إذ هو أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجةً إليه ، لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية .

ولقد حظي القرآن الكريم بالرعاية والعناية والاهتمام أكثر من أي كتاب آخر ، كيف لا وهو كتاب الله تعالى الخالد ، وهو هدي الله تعالى إلى عباده ، وهو الكتاب المحفوظ بحفظ

الله تعالى له وتكفل الله تعالى بذلك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٢] .

ويحق لي وأنا أستعرض تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى – محل هذه الدراسة – أن أقتبس من كلامه وهو يقدم لتفسيره القيم المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، يقول رحمه الله : " فإن أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها، ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتاباً يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين.

إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته، ناوياً أن أسميه بعد أن أتمه «بأنوار التنزيل وأسرار التأويل» ، فها أنا الآن أشرع ، وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسئول " [٣] .

هذه كلمات إمامنا البيضاوي رحمه الله تعالى توزن بالذهب ، فهو مع علو شأنه وهو من هو يعتذر عن قصور بضاعته ، ويتردد عن الانتصاب في مقام علم التفسير ، حتى شرح الله تعالى صدره بعد الاستخارة – كما يقول – ، فيا لله ما أشد تواضعه وهو العارف العالم العامل – ولا نزكي على الله أحداً – ، فإذا كان حاله كذلك، وهو من هو، فما بالنا نحن ، ونحن من نحن ؟ والله المستعان.

١. سورة الحجر ، الآية (٩) .

٢ . سورة فصلت ، الآية (٤١- ٤٢) .

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ مجلد ١ ، ص ٢٣ .

كل هذا – فيما نحسب - من توفيق الله تعالى لإمامنا البيضاوي رحمه الله وفضله عليه ، ولقد كتب الله تعالى القبول لهذا التفسير ، ولصاحبه ، ووالله لقد عجبت أشد العجب ودهشت لما رأيت من عناية العلماء بالإمام البيضاوي رحمه الله وبتفسيره ، فكأنه النهر الغزير والناس عطشى في زمانه ، وبعد زمانه إلى الارتواء من هذا المعين الرائق ،وبالخصوص من تفسيره النير البحر الشامل المليء بالفوائد والأسرار ، كيف لا وقد وسمه الإمام البيضاوي نفسه " بأنوار التنزيل وأسرار التأويل " ، وقد كان له من اسمه النصيب الوافر .

ولقد استفاد الذين عاصروا البيضاوي رحمه الله أيما فائدة من تفسيره ، فكان حديث مجالسهم وملجأ طلابهم ، وحوارات علمائهم – كما قيل - فكان محل عناية الجميع ومحط أنظارهم، وقد أثار حوله نشاطاً علمياً هائلاً ، كما سنرى ، ولقد عم خير هذا التفسير حتى أن أحد العلماء قد استفاد من نسخه وبيعه للناس وكان يصرف ما يحصل عليه من مال على طلاب العلم .

فهذا العالم المولى مصلح الدين المزبور من العلماء الأعيان قاضي حلب تروى عنه رواية تدل على بركة البيضاوي وتفسيره ، حيث قال واحد من أعيان تلاميذه : حضرت طعامه ليلة من ليالي شهر رمضان وهو مدرس بالمدرسة القلندرية [1] وكان من عادته أن يدعو طلبته في كل ليلة من ليالي شهر رمضان فقال : إني منذ توليت اسحاقية أسكوب [2] جعلت لنفسي عادة وهي أن أكتب في كل سنة نسخة من تفسير البيضاوي وأبيعها بثلاثة آلاف درهم وأنفق ذلك المبلغ على طعام الطلبة في ليالي رمضان " [3] ، فهذه من بركة البيضاوي رحمه الله تعالى وبركة علمه .

---

١. المدرسة القلندرية نسبة الى طائفة من المتصوفة ، لهم مدارس خاصة بهم وألبسة خاصة كذلك ، وقيل زاوية معروفة في العهد العثماني ، انظر : الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات ، المحقق : إحسان عباس ،الناشر : دار صادر – بيروت ،الطبعة : ١، مجلد ٣ ، ص ٣٦ ، وانظر : النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (المتوفى : ٩٢٧هـ) ، الدارس في تاريخ المدارس ،المحقق : إبراهيم شمس الدين ،الناشر : دار الكتب العلمية ،الطبعة : الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، مجلد ٢ ، ص ١٦٣ . وقلندر لفظة فارسية معناها الدرويش الذي نفض يده من الدنيا وزهدت نفسه في زخارفها. انظر : كُرْد عَلي ، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، (المتوفى: ١٣٧٢هـ) ،خطط الشام ،الناشر: مكتبة النوري، دمشق الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣ م ، مجلد ٣ ، ص ١٣٨ .

٢. مكان للتدريس في العهد العثماني ، تقدم فيه العلوم والمعارف بالإضافة إلى الماء والغذاء .

٣ . طاشكبري زاده ،أبو الخير، عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل، (المتوفى: ٩٦٨هـ) ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، مجلد ١ ، ص ٣٣٦ .

ومن فضل الله تعالى وتمام حفظه لهذا الدين ولهذا القرآن العظيم أنه سبحانه يهيئ في كل عصر من العصور من يقوم بمهمة تفسيره وبيان معانيه ونشره بين الناس .

ومن عظيم فضل الله تعالى علي أن يسر لي دراسة التفسير وعلوم القرآن الكريم، فهذا فخر لي في الدنيا والآخرة إن أنا أحسنت توظيفه لخدمة ديني والقيام بالواجب الذي كلفني الله تعالى به، وأسأل الله تعالى أن يعينني على ذلك.

والتفاسير للقرآن الكريم كثيرة ومتنوعة ، بل تكاد تكون بلا عدد لكثرتها ، كما قال الإمام جار الله الزمخشري [1]، والخير الكثير فيها ، وقد بذل أصحابها جهوداً طيبة وعظيمة ، وكرسوا جهدهم وقضوا وقتهم في خدمة كتاب الله تعالى .

وتفسير الإمام القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى يدخل في هذا الجهد الشرعي العظيم فهو كما ذكر الكثير من المفسرين بأنه مرجع مهم من مراجع التفسير ومظانه .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل إذن بحر من بحار التفسير زاخر بالمعارف والدرر والعلوم، وقد أثار حوله نشاطاً علمياً هائلاً ، واكتسب مكانةً رفيعةً منذ ظهوره حتى وقتنا الحاضر، وانتشر بين المسلمين شرقاً وغرباً، ولا يزال مثار اهتمام المفسرين واللغويين على حد سواء ، وقد لاقى عناية فائقة ومتميزة من العلماء الذين جاؤا بعده ، فكان نبراساً للكثير من العلماء عوضاً عن طلاب العلم .

ومن هذه الجهود وتلك العنايات التي خدمت تفسير البيضاوي رحمه الله الحواشي والتعليقات ؛ فتعددت الحواشي عليه تعدداً واضحاً، الأمر الذي يثبت أن لهذا التفسير مكانةً وأي مكانة.

ومن هؤلاء العلماء الذين اعتنوا بتفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى الإمام محيي الدين شيخ زاده رحمه الله في حاشيته المعروفة بحاشية شيخ زادة على تفسير الإمام البيضاوي .

ولقد عرف الإمام الزاهد شيخ زاده في عصره بالورع وحسن العلاقة مع الله تعالى ، بالإضافة إلى الفطنة والذكاء والعلم ، فبرع أيما براعة في التحشية على تفسير البيضاوي ،

---

١ . حيث قال : " إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي " ؛ انظر : في معجم الأدباء ٦/ ٢٦٨٩، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/ ٢٨٠ .

فشرح ووضح وفصل ودلل وبين وناقش وأضاف وأجاد حتى غدت حاشيته من أعظم الحواشي وأزخرها ، على رأي أكثر العلماء ، وهذا ما سأبينه في هذه الرسالة بإذن الله تعالى ، والله الموفق .

ولقد آلمني كثيراً عدم إنصاف شيخ زاده حقه رحمه الله تعالى ، وعدم العناية بحاشيته التي تعد - بنظري- من الكنوز التي يجب إظهارها للناس ، وهذا ما أرجو الله تعالى أن يعينني عليه .

ولقد آلمني كذلك كلام بعض أهل العلم عن شيخ زاده بأنه ليس مفسراً ، وأعذر هؤلاء بداية بأنهم – ربما - لم يقفوا على الحاشية من جهة ، أو لم يدركوا غزارة علم شيخ زاده من جهة ثانية .

ويكفي أن أذكر هنا أن الإمام الزركلي رحمه الله تعالى كان أول ما عرف في كتابه القيم " الأعلام " بالشيخ زاده ذكر بأنه مفسر ، حيث قال : " محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوي: مفسر، من فقهاء الحنفية ، كان مدرساً في إستانبول ، وقد أثنى الزركلي كذلك على حاشيته حيث قال : له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعاً وأسهلها عبارة" [1] .

ويمكن القول إن الحواشي المتعددة على تفسير البيضاوي قد استفاد أكثر أصحابها من الشيخ زاده باعتبار وفاته ٩٥١ هـ الأمر الذي يضفي أهمية واضحة لدراسة هذه الحاشية.

---

١. انظر الزركلي : الأعلام ، مجلد ٧ ، ص ٩٩ .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته

أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فيمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: من المقرر أن هناك أهمية كبيرة لعلم التفسير ودوره في بيان مراد الله تعالى من كلامه ، وهذا لب علم التفسير ومراده ، وهذه الدراسة تصب في خدمة هذا الهدف وتساهم فيه .

ثانياً: ضرورة التركيز على أهمية إحياء تراثنا الإسلامي العظيم، وبيان دور علماء الأمّة وإرثهم، وأهمية إخراج هذه الكنوز للناس باعتبارها ذخراً تراثياً يمثل امتداداً لهذا الدين، وبالتالي ضرورة ربط الجيل الجديد بتراثهم العظيم.

ثالثاً : فيما يخص تفسير الإمام القاضي البيضاوي رحمه الله فإن له قيمةً كبيرةً ومهمةً في مصافّ كتب التفسير ، ويمكن اعتباره وبكل ثقة مرجعاً مهماً من مراجع تفسير القرآن الكريم ، وبالنظر إلى هذه الأهمية وتلك المكانة فقد توجهت إليه همم كثير من العلماء ، وتعاهدوه بالشرح والتعليق والتوضيح ؛ فكتبوا عليه الحواشي المتعددة والمهمة، والتي زادت عن مائة حاشية ، سآتي على ذكرها في أثناء هذه الدراسة ، حتى أن الإمام السيوطي رحمه الله تعالى ، وضع حاشية على تفسير الإمام القاضي البيضاوي رحمه الله سماها " نواهد الأبكار وشوارد الأفكار" ، مما يدلل دلالة واضحة على فضل الإمام البيضاوي رحمه الله وأهمية تفسيره ، بالنظر إلى مكانة الإمام السيوطي في التفسير وعلوم القرآن الكريم .

وكان من هذه الحواشي الكثيرة والمتعددة التي كتبت على هذا التفسير القيم، حاشية الإمام محيي الدين شيخ زاده، محل هذه الدراسة، والتي تستمد بالتالي أهميتها من أهمية هذا التفسير المهم الذي تخدمه وتشرحه وتعلق عليه، وتخرجه للناس.

رابعاً : الإمام محيي الدين شيخ زاده يعتبر من الأئمة الأعلام فهو مفسر وله مكانة عظيمة ، كما ذكر الكثير من العلماء منهم الزركلي في أعلامه وصاحب كشف الظنون ، وغيرهم ، وبإبرازه يقدم للأمة علماً من أعلامها المفسرين الذين يحق لها أن تفخر بهم .

خامساً : القيمة التحليلية للحاشية موضوع الدراسة وما تحويه من علوم القرآن ، وذلك بالنظر إلى كونه شرحاً وحاشية مهمة لتفسير مهم وعظيم إلا وهو تفسير القاضي البيضاوي ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن هذه الحاشية تعتبر تبياناً وتوضيحاً

واستدراكاً مهماً لما جاء في تفسير الإمام البيضاوي من موضوعات وكلمات تحتاج الوقوف عليها .

ومن الضرورة هنا أن أسجل أن تفسير الإمام البيضاوي لاقى عناية فائقة من العلماء وذلك واضح من كثرة الحواشي عليه من جهة كما ذكرت سابقاً، ومن جهة تلقيه من قبل العلماء بالمدح والثناء والإفادة والشرح والتعليق.

سادساً : يعتبر تقديم حاشية الإمام شيخ زاده على الإمام البيضاوي في تفسيره إضافة متميزة ومهمة في عالم التفسير حيث تقف جنباً إلى جنب مع حاشية الشهاب مثلاً وغيرها من الحواشي لتشكل ثروة تحليلية غاية في الأهمية ، وبالتالي فإخراجه للناس يخدمهم من جهة ويخدم هذا التفسير ، فنحن أمام مادة تحليلية ضخمة ومهمة ، ويمكن عدها من كنوز التحليل الذي ينبغي إبرازه للناس ، واعتبارها " حاشية زاده " ذات قيمة كبيرة وإضافة جديدة للمكتبة الإسلامية التفسيرية .

سابعاً: تاريخ وفاة الإمام شيخ زاده رحمه الله - كما مر سابقاً - والتي كانت ٩٥١ هـ تعتبر قريبة العهد بالإمام البيضاوي صاحب التفسير المتوفى ٦٨٥ هـ مما يجعل كلامه عنه أقرب إلى الصواب والدقة باعتبار قرب العهد، مما يجعل الوقوف على أقواله مهماً ومهماً للغاية.

ثامناً : طلب الأجر والثواب من الله تعالى ، ورجاء أن تصيبني دعوة الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى ، مع أستاذي وشيخي ومشرفي ، والأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة ، حيث قال البيضاوي رحمه الله في مقدمة تفسيره : " وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوي الألباب، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة وصفوة آراء أعلام الأمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانيه، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، والتلخيص العاري عن الإضلال، الموسوم بـ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وأسأل الله تعالى أن يتمم نفعه للطلاب ولا يخلي سعي من يتعب فيه من الأجر والثواب، ويختم كل خاتمة امرئ يؤمه بتمحيص عن الآثام ويبلغني أعلى منازل دار السلام، في جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيقا، والحمد لله رب العالمين، وسيأتي تفصيل ذلك قريباً .

" ولا يخلي سعي من يتعب فيه من الأجر والثواب، ويختم كل خاتمة امرئ يؤمه بتمحيص عن الآثام " هذا دعاء إمامنا البيضاوي رحمه الله ، اللهم اجعلني ومن ذكرت سابقاً ، في هذه الدراسة لهذا التفسير العظيم ممن شملتهم دعوة الإمام القاضي البيضاوي واجعلنا من العالمين العاملين ، وانصر أمتنا وأخرجها مما هي فيه من الهم والغم والضياع والتشرذم ، اللهم آمين .

منهجية الدراسة

أستخدم الأسلوب الاستقرائي وذلك من خلال استقراء أقوال الإمام البيضاوي وتحشية شيخ زاده عليه ، والأسلوب الاستنباطي من خلال استخراج أهم الإضافات والاستدراكات التي وضعها المحشي على المفسر ، ومن ثم استخدم الأسلوب التحليلي لبيان محل الاستدراك ، وبعدها أقوم بإبداء رأيي في المسألة محل الاستدراك ، حيث أستعرض حاشية شيخ زاده من أولها إلى آخرها، في كل موضوع من موضوعات الدراسة ، وأدون استدراكاته على الإمام البيضاوي الواردة فيها فيما يختص بعلوم القرآن الكريم المقررة في هذه الدراسة ، وذلك بعد تحديد الصيغ التي استخدمها في استدراكاته .

ثم أقوم بوضع استدراكات شيخ زاده بحسب عنوان الاستدراك المقرر في علوم القرآن الكريم ، وأرجح ما أراه أقرب للصحة، إن لزم الأمر، مع بيان الأدلة على ذلك.

حدود الدراسة

سيكون حد هذه الدراسة – بإذن الله تعالى- هو جمع استدراكات شيخ زاده في حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي المعروف بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وذلك في بعض علوم القرآن الكريم .

مشكلة الدراسة

أعالج في هذه الدراسة أهم الاستدراكات التي سجلها شيخ زاده في حاشيته على الإمام البيضاوي في بعض علوم القرآن الكريم، ومناقشة ذلك وبيان موقف الباحث من الترجيح بين القولين بالأدلة والتوجيه، وبالتالي بيان ما الذي أضافه شيخ زاده على الإمام البيضاوي في علوم القرآن المقررة في هذه الدراسة .

الدراسات السابقة

تعددت الحواشي على تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله، والتي من ضمنها الحاشية التي بين أيدينا، ولا نعرف أحداً - فيما رجعنا إليه من مصادر ومراجع - تناول هذه الحاشية بالبحث والدراسة من ناحية علوم القرآن الكريم.

غير أني وجدت مجموعة من رسائل الدكتوراه والماجستير التي تناولت حاشية شيخ زاده بالدراسة ولكن كانت هذه الدراسات لغوية وبيانية، وهي باختصار كما يلي:

١ . مباحث علم البيان في حاشية الشيخ زاده على البيضاوي، احمد سعد عبد الرازق ناجي :- دكتوراه، وقد تحدث فيها الطالب عن علم البيان ومباحثه واستشهد على هذه المباحث والعناوين الفرعية لعلم البيان من هذه الحاشية.

٢ . المباحث البيانية في حاشية زاده علي تفسير البيضاوي دراسة بلاغية تحليلية: إبراهيم محمد الجمعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / كلية اللغة العربية / البلاغة والنقد، وهي مثل سابقتها.

٣ . مباحث علم المعاني في حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ، سعد بن عبد العزيز الدريهم .

٤ . المباحث النحوية في حاشية الشيخ زاده (٩٥٠هـ) على تفسير البيضاوي المتوفى سنه ٦٨٥هـ ، حقي إسماعيل الزهاوي، ماجستير .

وبالرجوع إلى ملخصات هذه الرسائل فإن أياً منها لم يتطرق فيها أصحابها إلى علوم القرآن الكريم في هذه الحاشية ، واكتفى الباحثون فيها بالتطرق إلى الجوانب البيانية

والنحوية وعلم المعاني ، وسأقوم بعرض أهم ما تضمنته هذه الدراسات والرسائل باختصار في ثنايا هذه الدراسة لتمام الفائدة ، بإذن الله تعالى .

وبالتالي يمكن القول إنه لا توجد دراسة متخصصة في استدراكات شيخ زاده على الإمام البيضاوي في علوم القرآن، وأرجو أن أوفق لإخراج هذه الدراسة المهمة، والله المستعان والموفق.

الله تعالى أسال أن يعينني لإظهارها وإبرازها لتكون إضافة للمكتبة وللتراث الإسلامي ، ولتحتسب لي في ميزان حسناتي ينفعني الله تعالى بها - وكل من أسهم فيها – يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

خطة البحث

تتكون الخطة من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس:

المقدمة: وتتضمن بيان أهمية الموضوع وأهم أسباب اختياره، وخطة البحث فيه.

التمهيد: مدخل عام للتعريف بالإمامين وبكتابيهما، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بشيخ زاده، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثاني: حياته العلمية من حيث :شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، أقوال العلماء فيه.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام البيضاوي، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثاني: حياته العلمية من حيث شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، أقوال العلماء فيه

المطلب الثالث: التعريف بتفسير الإمام البيضاوي، وأقوال العلماء فيه.

المبحث الثالث: التعريف بمفردات العنوان، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الاستدراك: وفيه:

أولا : تعريف الاستدراك لغةً واصطلاحاً .

ثانياً : التعريف المعتمد في هذه الدراسة .

المطلب الثاني: تعريف علوم القرآن لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث: صيغ الاستدراك عند شيخ زاده.

أولا: الصيغ الصريحة.

ثانيا: الصيغ غير الصريحة.

المطلب الرابع : تعريف الحاشية لغةً واصطلاحاً .

الفصل الأول: الاستدراكات، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: استدراكات شيخ زاده على البيضاوي في الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: استدراكاته في أول ما نزل، وآخر ما نزل

المبحث الثالث: استدراكاته في المكي والمدني

المبحث الرابع: استدراكاته في القراءات.

المبحث الخامس: استدراكاته في المحكم والمتشابه.

المبحث السادس: استدراكاته في تعامله مع ما ظاهره الإشكال والتناقض.

المبحث السابع: استدراكاته في أقواله في الأحرف المقطعة في أوائل السور.

المبحث الثامن: استدراكاته في العام والخاص.

الفصل الثاني: القيمة العلمية لاستدراكات شيخ زاده في حاشيته على الإمام البيضاوي في تفسير، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بحاشية شيخ زاده .

المبحث الثاني: أهم الحواشي على تفسير البيضاوي .

المبحث الثالث: منهج شيخ زاده في حاشيته.

المبحث الرابع : أهم مزايا الحاشية وأقوال العلماء فيها.

المبحث الخامس : أهم المآخذ على الحاشية.

الخاتمة: وأسجل فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وأقدم بين يدي ذلك أهم التوصيات.

الفهارس.

التمهيد

مدخل عام للتعريف بالأئمة وبكتابيهما، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

التعريف بشيخ زاده، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثاني: حياته العلمية من حيث: شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، أقوال العلماء فيه.

المطلب الثالث: التعريف بحاشية شيخ زاده، وأقوال العلماء فيها

المبحث الأول

التعريف بشيخ زاده، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول

اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته

أرى أن أتوسع قليلاً في الحديث عن شيخ زاده رحمه الله تعالى – مع الاعتذار عن شح المصادر - ولا أفعل ذات الشيء مع الإمام البيضاوي رحمه الله – مع التذكير بكثرة المصادر - ،ذلك لأن الإمام البيضاوي قد اشبع بحثاً ودراسةً ، وسأشير إلى أهم الذين تحدثوا عن الإمام البيضاوي عند الحديث عنه في المبحث الثاني من هذه الدراسة بإذن الله تعالى ، لتكميل ما يمكن أن أقع فيه من نقص في التعريف بالإمام البيضاوي رحمه الله .

وعلى اعتبار أن شيخ زاده رحمه الله لم يأخذ حقه من التعريف به وبجهوده في خدمة دينه ودعوته ، وهو من له باع طويل في تعليم الناس ونشر العلم فإنه يحتاج منا - رحمه الله تعالى - أن ننصفه ، وأن نعرّف الناس به لينال حظاً من دعاء الناس له، ولينتفع بعلمه الذي قدمه للناس على اعتبار أن ما تركه للناس من علم يعد بإذن الله صدقةً جاريةً له .

أسمه ونسبه

شيخ زاده رحمه الله تعالى - موضوع دراستنا - هو محيي الدين محمد بن مصطفى القوجوي، المعروف بشيخ زاده رحمه الله تعالى (٠٠٠ - ٩٥٠هـ) (٠٠٠ - ١٥٤٣م) [١].

١. كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين: الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي ببيروت، مجلد ٢، ص ٣٢. وانظر: الجمعة، إبراهيم محمد، المباحث البيانية في حاشية الشيخ زاده، رسالة ماجستير، ص ٢٨. وانظر البدر الطالع بمحاسن القرن السابع ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٩ .

اشتهر محيي الدين محمد بن مصطفى بشيخ زاده ، ومعناه بالتركية ابن الشيخ [1] ، وقد كان هذا اللقب متداولاً في الفترة التي عاش فيها من الحكم العثماني ، ، وهذا يعني أن شيخ زاده رحمه الله كان من المعمرين .

ويصفه الإمام الزركلي رحمه الله تعالى في أعلامه بالمفسر والفقيه، فرضي مشارك في بعض العلوم ، وأنه كان مدرساً بالقسطنطينية ومن آثاره حاشية على تفسير البيضاوي في ست مجلدات، كما مر قريباً [2] .

وباعتقادي أن خير من يحدثنا عن شيخ زاده من كان من الناس أقرب منه عهداً بل ومعاصرةً ، ذلكم هو معاصره والمتأثر به الإمام طاشكبري زاده [3] رحمه الله المتوفى ٩٦٨ هـ ، حيث ذكر طاشكبري أن شيخ زاده كان يحبه كثيراً وأنه كان يفتخر بهذه المحبة ، وأنه ما تولى منصب القضاء إلا بوصية من شيخ زاده رحمه الله تعالى [4] ، وهذا يعكس مدى مصداقية ترجمة طاشكبري لشيخ زاده رحمهما الله تعالى .

يقول الإمام طاشكبري زاده رحمه الله مترجماً لشيخه شيخ زاده :

" ومنهم العالم العامل الفاضل الكامل المولى محيي الدين محمد ابن الشيخ العارف بالله تعالى محيي الدين القوجوي الذي قرأ على علماء عصره ثم وصل إلى خدمة المولى الفاضل ابن أفضل الدين ثم صار مدرساً بمدرسة خواجه خير الدين بمدينة قسطنطينية وتزوج بنت الشيخ العارف بالله الشيخ مصلح الدين القوجوي ثم غلب عليه داعية الفراغ والعزلة وترك

---

١. السيد، فؤاد صالح (١٩٩٠) معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، بيروت، دار العلم للملايين، ص ١٧٨.

٢. الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ، الأعلام الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣. أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاشكبري زاده من مشاهير الموسوعيين الأتراك وكتاب السير، ولد في بروصا ثم انتقل إلى أنقرة ثم اسطنبول قرأ الفقه والنحو والصرف وتولى قضاء حلب، ويعتبر من المصنفين في الموسوعات فكتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة يعتبر ذخيرة للتعريف بكثير من العلوم، وله كتاب في السير هو الشقائق النعمانية فيه سيرة شيوخ الطرق، وله العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم وله مؤلف في البحث والمناظرة وله نوادر الأخبار في مناقب الأخيار.

٤. انظر طاشكبري زاده ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (المتوفى: ٩٦٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، مجلد ١ ، ص ٢٤٦ .

التدريس ، وعين له كل يوم خمسة عشر درهماً بطريق التقاعد ،وكان رحمه الله تعالى يستكثر ذلك ويقول : يكفيني عشرة دراهم ، ولازم بيته ،واشتغل بالعلم الشريف والعبادة ،وكان متواضعاً متخشعاً مرضي السيرة محمود الطريقة ،وكان محباً لأهل الصلاح ،وكان يشتري من السوق حوائجه بنفسه ويحملها إلى بيته بنفسه مع رغبة الناس في خدمته وهو لا يرضى إلا أن يباشره تواضعاً لله تعالى وهضماً للنفس ، وكان يروي التفسير في مسجده ويجتمع إليه أهل البلد ويستمعون كلامه ويتبركون بأنفاسه ،وانتفع به كثيرون ، وكتب على تفسير البيضاوي حاشية حاملة جامعة لما تفرق من الفوائد في كتب التفاسير بعبارات سهلة واضحة لينتفع به المبتدئ ، وله شرح الوقاية في الفقه وشرح الفرائض السراجية وشرح المفتاح للعلامة السكاكي وشرح القصيدة المشهورة بالبردة ، ومات في سنة خمسين وتسعمائة ،،وأنه من جملة ما افتخرت به وما اخترت منصب القضاء إلا بوصية منه وكان قد أوصاني به وحكى لي أن واحداً من أصدقائه كان قاضياً ثم ترك القضاء مدة ثم دخل القضاء ثانياً وكان رجلاً صالحاً صدوقاً فسألته عن سبب دخوله ثانياً ، فقال : كان لي عند قضائي مناسبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكنت أراه في المنام في كل أسبوع مرة ،فتركت القضاء ليحصل لي زيادة تقرب إليه ،فبعد ترك القضاء ما رأيت كما رأيت في حال القضاء ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقلت : يا رسول الله، إني تركت القضاء ليزيد قربي منكم فلم يقع كما رجوت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المناسبة بيني وبينك أزيد عند القضاء من مناسبتك عند الترك ،لأنك عند القضاء تشتغل بإصلاح نفسك وإصلاح أمتي، وعند الترك لا تشتغل إلا بإصلاح نفسك ،ومتى زدت في الإصلاح زدت تقرباً مني، قال المولى المرحوم : أنا صدقت كلامه ، وكان الرجل صدوقاً فأوصيك أن تختار القضاء وتصلح نفسك وغيرك ، هذا كلامه قدس سره "[1] .

كل هذا في إشارة إلى علو قدره ورفعة شانه ومكانته بين علماء عصره رحمه الله تعالى .

وممن ترجم لشيخ زاده رحمه الله تعالى فزاد وأجاد الإمام نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ) ، صاحب كتاب الكواكب السائرة ، وهو حديث عهد بشيخ زاده ،

١. انظر: طاشكبري زاده ، الشقائق النعمانية ، مجلد ١ ، ص ٢٤٦ .

حيث يروي رحمه الله عن شيخ زاده كلاماً طيباً يدل على مكانته وعلى زهده وتصوفه ، ويؤكد ما قال به طاشكبري رحمه الله تعالى [1] .

المطلب الثاني

حياته العلمية من حيث:شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، أقوال العلماء فيه.

أكثر المتحدثون والمترجمون لشيخ زاده رحمه الله في الحديث عن زهده وتواضعه وفضله ، ولم يسجل له كثيراً عن نشاطه وحياته العلمية ، اللهم إلا أنهم ذكروا أنه اشتغل بالتدريس في المساجد والمدارس كما مر سابقاً .

ولكن مع هذا يمكن القول أن لشيخ زاده رحمه الله مكانة علمية رفيعة وذلك بالنظر إلى مؤلفاته وشروحاته وحواشيه التي تصدى فيها لأمهات كتب اللغة والتفسير رحمه الله تعالى .

فمن شروحاته مثلاً شرحه لمفتاح العلوم للسكاكي في المعاني والبيان ، وفيه دلالة واضحة على غزارة علمه وطول باعه في العلوم [2]، ومن شروحاته أيضاً شرحه لوقاية الرواية في مسائل الهداية في الفقه الحنفي [3]، وبالنظر إلى كون شيخ زاده رحمه الله تعالى من علماء الحنفية فقد ساهم بهذا في إثراء هذا المذهب ونشره .

ومن شروحاته في اللغة مثلاً للدلالة على تضلعه في اللغة شرحه لكتاب قواعد الإعراب لابن هشام في النحو ، وله بحسب صاحب هدية العارفين من الكتب الإخلاصية في

---

١. الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ) ، المحقق: خليل المنصور ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، مجلد ٢ ، ص ٥٨ . وانظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي،أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) ،حققه: محمود الأرناؤوط ،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ،الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ،مجلد ١٠ ، ص ٤١٠ . وانظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) ،الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، مجلد ٢ ، ص ٢٣٨ .

٢. الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، مجلد ٧ ، ص ١٠٠ .

٣. المصدر السابق، مجلد ٧، ص ١٠٠.

تفسير سورة الإخلاص ، وتعليقه على شرح الهداية لابن مكتوم وله شرح فرائض الراجية وله شرح قصيدة البردة ، كما سيمر معنا قريباً عند الحديث عن مصنفاته .

ومن أهم ما وصلنا من علمه رحمه الله – على حد علمي – حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى موضوع دراستنا ، حيث يكاد يجمع أكثر من ترجم لشيخ زاده أنها أعظم إنجازاته ، وليس هذا فحسب ، بل يكاد الإجماع يصل في هذه الحاشية أنها أعظم حاشية شرحت تفسير الإمام البيضاوي من بين العشرات من الحواشي عليه ، وفي هذا يقول الإمام حاجي خليفة في كشف الظنون : " وهي أعظم الحواشي فائدة ، وأكثرها نفعاً ، وأسهلها عبارة ،كتبها أولا: على سبيل الإيضاح، والبيان للمبتدئ ،في ثمان مجلدات ، ثم استأنفها ثانياً : بنوع تصرف فيه، وزيادة عليه؛ فانتشرت هاتان النسختان، وتلاعب بهما أيدي النساخ، حتى كاد أن لا يفرق بينهما ،ولا يخفى أنها من أعز الحواشي، وأكثرها قيمةً واعتباراً، وذلك لبركة زهده، وصلاحه " [٢] .

وقال أيضاً إنه شرح كبير، ممزوج ، فيه من شتى العلوم ، وأنه كتب قبل تقرير كل درس، ما يتعلق به ، حتى فرغ منه: في صفر، سنة ٩٣٩ هـ ، تسع وثلاثين وتسعمائة ، حتى عرف بشيخ زاده المحشي كما ذكر صاحب الكشف[٣] .

وقد نقل الإمام الزركلي في الإعلام هذا الكلام وأكده وذكر أنه وقعت له نسخة من كتابه شرح البردة ، وفي آخرها: "قد صاغ هذا الشرح اللطيف على البردة العالم الرباني مصلح الدين محمد بن مصطفى بن شمس الدين الشهير بشيخ زاده" [٤] .

---

١. انظر البابائي ، هدية العارفين ، مجلد ٢ ، ص ٢٣٨ .

٢. حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد ، تاريخ النشر: ١٩٤١م ، مجلد ١ ، ص ١٨٨ . وانظر: كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، مجلد ١٢، ٣٢.

٣. انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، مصدر السابق، مجلد ٢، ٢٣٢.

٤. الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، مجلد ٧ ، ص ٩٩ .

هذا وقد شارك شيخ زاده رحمه الله تعالى في لقبه " شيخ زاده " " والقوجوي " عدد من العلماء أصحاب التأليف ، وهذه ألقاب مستعملة كثيراً في الدولة العثمانية في عصره رحمه الله تعالى .

فممن شاركه لقب شيخ زاده :

أولاً : " شيخ زاده " بن جمال الدين بن أحمد بن نعمة الله بن جنيد بن جمال الدين بن محمد بن أحمد بن مسعود بن عبد الله بن جابر بن منصور بن محمد بن جابر بن عبد الله الأنصاري، الشهير جده الأعلى شيخ الإسلام الهروي، صاحب منازل السائرين، نزيل حلب، كان شافعي المذهب، وولي بها التدريس ، وكان أبوه من شيوخ العلم من بيت علم ورئاسة ، توفي بحلب سنة سبع وستين وتسعمائة رحمه الله تعالى [1] .

ثانياً : " شيخ زاده " الخرزباني العجمي الحنفي قدم من بلاده إلى حلب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وهو شيخ ساكن يتكلّم في العلم بسكون، ويتصدى لحلّ المشكلات، فنزل في جوار القاضي محبّ الدّين بن الشّحنة، فشغل الناس قال ابن حجر: وكان عالما بالعربية والمنطق والكشّاف، وله اقتدار على حلّ المشكلات من هذه العلوم ، توفي سنة ثمان وثمانمائة رحمه الله [2] .

ثالثاً : " شيخ زاده " المولى عبد الرحمن بن جمال الدّين الحنفي، الشهير بشيخ زاده الإمام العلّامة ، طلب العلم، وخدم العلماء، كالمولى حافظ العجمي ، وحصّل طرفا من العلم، واهتم في تحصيل المعارف، فمهر في العلوم العربية، والفنون الأدبية، وتميّز في الحديث والتفسير والوعظ، ثم ولي مدرسة دار الحديث بقصبة أبي أيوب الأنصاري، وخطابة جامع قاسم باشا.

---

١. الغزي ، الكواكب السائرة ، مصدر سابق ، مجلد ٣ ، ص ١٤٢ . وانظر السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (المتوفى: ٩٠٢هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ، مجلد ١ ، ص ٤ .

٢. ابن العماد العَكري ، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، حققه: محمود الأرناؤوط ،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ،الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م ، مجلد ٩ ، ص ١١٢ .

وكان حسن النغم، طيب الألحان. ومن جملة من يتغنى بالقرآن، ثم عيّن له وظائف الوعظ والتذكير في عدة جوامع، وتميّز على أقرانه.

وكان من جلّة العلماء وأكابر الفضلاء، ويكفيه من الفخر ما كتب له به أبو السعود أفندي المفتي في صورة إجازته، فقد مدحه مدحا عظيما وسجل له السبق في العلوم ومكارم الأخلاق [1].

رابعاً : " شيخ زاده " إسماعيل بن مصطفى بن محمود، أبو الفتح الكلنبوي الرومي، ويعرف بشيخ زاده: قاض حنفي عثماني. اشتهر بالرياضيات والمنطق، توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وخمسة للهجرة [2] .

خامساً : عبد الرحيم بن عليّ بن المؤيد الأماسي، المعروف بشيخ زاده: باحث متصوف، من أحناف الدولة العثمانية. صنف نظم الفرائد وجمع الفوائد في أربعين مسألة بين الماتريدية والأشاعرة ، توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وتسعمائة للهجرة [3] .

هذا ولعل ما ذكر هنا هو أهم من اشتهر بهذا اللقب، وإلا فان أعداد من لقبوا بشيخ زاده كثر إذا علمنا أن هذا اللقب كان متعارفاً عليه أيام الدولة العثمانية.

وممن شاركه لقب القوجوي

كثر أيضاً، والقوجة بعد الرجوع إلى القواميس التركية والى العارفين باللغة التركية فإن القوجة تعني الشيء الكثير أو الشيخ الكبير، وهذا كان متداولاً كذلك في ذاك الزمن المذكور ، وعليه فإن أعداد من وصفوا بهذا اللقب ليس مراد الدراسة هنا ، ولكننا نحاول أن نذكر عدداً منهم ، ليتحدد لنا المراد من هذه الدراسة فلا يختلط علينا الأمر ، فمنهم :

أولا : داود بن كمال القوجوي، الرومي أخذ عن المولى لطفي، وابن المؤيد، وابن الحاج حسن، وغيرهم ،وصار مدرساً بعدة مدارس؛ منها إحدى الثمان ، وولي قضاء بروسة

---

١. انظر: ابن العماد العكري ، شذرات الذهب ، مصدر سابق ، مجلد ١٠ ، ص ٥٢٩ .

٢. الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٣٢٧ .

٣. الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، مجلد ٣ ، ص ٣٤٧ .

مرتين ، وكان من خيار الناس علماً، وعملاً، وإتباعا للحق ، وكانت وفاته بعد الأربعين والتسعمائة، تغمده الله تعالى برحمته [1] .

ثانيا : المولى محيي الدّين محمد بن محمد القوجوي الرّومي الحنفي ،كان عالما بالتفسير، والأصول، وسائر العلوم الشرعية والعقلية، وأخذ العلم عن والده، وكان والده من مشاهير العلماء ببلاد الرّوم، ثم قرأ على المولى عبدي الدرس بأماسية، ثم على المولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري، وولي التدريس والولايات حتى صار قاضي العسكر بولاية أناضولي، ثم استعفى منه فأعفي وأعطي إحدى المدارس الثمان. ثم صار قاضيا بمصر، فأقام بها سنة، ثم حجّ وعاد إلى القسطنطينية، وبها مات إحدى وثلاثين وتسعمائة [2] .

ثالثاً : العالم العامل الكامل الشيخ مصلح الدين القوجوي كان رحمه الله عارفاً بالله وصفاته وكان زاهداً متورعاً ، مات قدس سره في مدينة القسطنطينية وقبره عند مسجده هناك [3] .

رابعاً : العالم العامل الفاضل الكامل المولى داود بن كمال القوجوي : قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ، وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا ذكيا مدققا وكانت له يد طولى في العلوم العقلية وكان كريم الطبع مراعيا للحقوق قوالا للحق لا يخاف في الله لومة لائم وكان سيفا من سيوف الله تعالى إلا انه لم يشتغل في التصنيف ، روح الله روحه ونور ضريحه مات سنة أربعين وتسعمائة للهجرة [4] .

وأكتفي بذكر هؤلاء العلماء الإجلاء رحمهم الله جميعا، وإلا لاتسع البحث فيما ليس من صلب موضوعه، والله الموفق.

ولقد تبوأ شيخ زاده رحمه الله تعالى المكانة السامقة بين هؤلاء جميعا ، فإذا أطلق لقب شيخ زاده فان الذهن ينصرف مباشرة إليه ، وذلك بفضل الله عليه ومن ثم ببركة حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي ولما اشتملت عليه من علوم متعددة ووافرة ، وما لاقته من حسن قبول من العلماء والطلاب على حد سواء ..

---

١. الغزي ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (المتوفى: ١٠١٠هـ) ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، مجلد ١ ، ص ٢٧٨ .

٢. ابن العماد العكري ، شذرات الذهب ، مصدر سابق ، مجلد ١٠ ، ص ٢٥٣ .

٣. طاشكبري زاده ، الشقائق النعمانية ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ١٥١ .

٤. طاشكبري زاده ، الشقائق النعمانية ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٢٣٩ .

مصنفاته رحمه الله تعالى

تعددت مؤلفات شيخ زاده رحمه الله وتنوعت ، وهي في تعددها وتنوعها تظهر مكانة هذا الرجل العلمية ، والفنون التي برع فيها رحمه الله ، وهذا التنوع ينبئ عن غزارة علمية هائلة حيث تصدى كما سنرى إلى أصعب العلوم ، فشرحها وعلق عليها وقربها إلى أفهام الناس بطريقة فذة وعبقرية واضحة .

وهذه المصنفات [1] :

١. الإخلاصية في تفسير سورة الإخلاص.
٢. تعليقه على شرح الهداية لابن مكتوم.
٣. حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي.
٤. حاشية أخرى على أنوار التنزيل.
٥. شرح فرائض السراجية.
٦. شرح قصيدة البردة.
٧. شرح المشارق للصاغانى.
٨. شرح مفتاح العلوم للسكاكي في المعاني والبيان.
٩. شرح الوقاية في مسائل الهداية .
١٠. شرح قواعد الإعراب .

وفاته رحمه الله

تكاد تجمع المصادر التي رجعت إليها أن وفاته رحمه الله تعالى كانت عام خمسين وتسعمائة للهجرة ، بحسب معاصره طاشكبري رحمه الله ، ولعل أكثر من أرخ لشيخ زاده كان ناقلا عن طاشكبري في الشقائق النعمانية ، باعتبار قرب العهد بينهما [2] ، كما ذكرت سابقا .

---

١. البابانى ، هدية العارفين ، مصدر سابق ، مجلد ٢ ، ٢٨٣ . وانظر : الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص٩٩ .

٢ . طاشكبري زاده ، الشقائق النعمانية ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ٢٤٥ .

غير أن الزركلي في الأعلام ذكر أن وفاته كانت واحداً وخمسين وتسعمائة [1] ، ناقلا ذلك عن صاحب كشف الظنون [2] ، وقد تعددت الروايات في تاريخ وفاته، ولست أرى أن الأمر يستحق عرض سجالات المؤرخين في تحديد وفاته رحمه الله ، والذي يترجح عندي أن القول ما قاله صاحب الشقائق النعمانية باعتبار أنه يمكن أن يكون قد حضر وفاة شيخ زاده رحمه الله تعالى باعتبار قرب العهد بينهما ، حيث توفي طاشكبري سنة ست وثمانين وتسعمائة ، أي بعد وفاة شيخ زاده رحمه الله تعالى فقط بستة عشرة سنة ، وطاشكبري من هو في العلم والضبط والذكاء .

وأكثر المؤرخين على موافقة صاحب الشقائق فيما ذهب إليه ، ومن هؤلاء صاحب شذرات الذهب حيث يقول : وفيها – سنة تسعمائة وواحد وخمسين – توفي المولى محيي الدّين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي الإمام العلّامة ، وبمثله قال صاحب الكواكب السائرة [3] .

---

١. الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، مجلد ٧ ، ص ١٠٠ .

٢. حاجي خليفة، كشف الظنون، مصدر سابق، مجلد ٢، ص ١٦٨.

٣. العكري الحنبلي ، شذرات الذهب ، مصدر سابق ، مجلد ١٠ ، ص ٤١٠ . وانظر الغزي ، الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة ، مصدر سابق ، مجلد ٢، ص ٥٨ .

المبحث الثاني

التعريف بالإمام البيضاوي رحمه الله تعالى

وأرى هنا مع التقدير والافتخار بالإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أن لا أطيل التعريف بهذا العلم السامق ، فهو أشهر من أن يعرف ، وهو على الرغم من أنه توفي في مقتبل عمره إلا أن له شهرةً بلغت الأفاق بفضل توفيق الله تعالى له أولاً ، ومن ثم لما حباه الله تعالى ومنحه من العلم والفهم وقوة الإدراك وكثرة الاطلاع وحسن التعبير، ونعمة القبول ، إلى غير ذلك ، ولكن لضرورات الدراسة أقف على أهم المحطات في حياته ، كما ذكرت لشهرته من جهة ولكثرة الدراسات التي ترجمت له والتي سوف أحيل إليها في حديثي عن الإمام لزيادة الفائدة وتداركها ، والله الموفق .

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته

هو عبد الله بن عمر الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق ناصر الدين الشيرازي البيضاوي[1] .

---

١. الجندي اليمني ، محمد بن يوسف بن يعقوب، ابو عبد الله، بهاء الدين (المتوفى: ٧٣٢هـ)السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ،دار النشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء - الطبعة: الثانية ١٩٩٥م ، مجلد ٢ ، ٤٣٦ . وانظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، المحقق: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ،الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ، عام النشر:١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ،مجلد ٧ ، ص ٢٠٦ . وانظر : حاجي خليفة ، كشف الظنون ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ١٨٦ . وانظر : ابن قاضي شهبة ، ابو بكر بن احمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين (المتوفى: ٨٥١هـ) ، طبقات الشافعية ، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان ، دار النشر: عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ، مجلد ٢ ، ١٧٢ . وانظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا ، مجلد ٢ ، ص ٥٠ . وانظر ابن العماد ، شذرات الذهب ، مصدر سابق ، مجلد ٥ ، ٣٩٣ . وانظر الداوودي ، شمس الدين محمد بن احمد بن علي (المتوفى : ٩٤٥ هـ) ، طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، الناشر : مكتبة وهبة ، عابدين القاهرة ، مجلد ١ ، ص ٢٤٢ . وانظر : السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ ، مجلد ٥ ، ص ٥٩

وقد عرف الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى بأكثر من نسبة ، فهو البيضاوي ، **والشيرازي ، والشافعي ، والتبريزي ، والقاضي .**

أما بالنسبة للبيضاوي فقد اشتهر به ولقب به عند أكثر من ترجم له وذلك نسبةً إلى البيضاء التي ولد بها ، والبيضاء من المدن المعروفة والمشهورة بفارس ، سميت كذلك لأنها تبين من بعد لوضوحها ، يقول صاحب معجم البلدان : البيضاء : ضدّ السوداء، في عدة مواضع منها: مدينة مشهورة بفارس، قال حمزة: وكان اسمها في أيام الفرس در إسفيد فعرّبت بالمعنى، وقال الإصطخري:

البيضاء أكبر مدينة في كورة إصطخر [1] ، وإنما سميت البيضاء لأن لها قلعة تبيّن من بعد ويرى بياضها، وكانت معسكراً للمسلمين يقصدونها في فتح إصطخر، وأما اسمها بالفارسية فهو نسايك، وهي مدينة تقارب إصطخر في الكبر، وبناؤهم من طين، وهي تامة العمارة خصبة جدّا، ينتفع أهل شيراز بميرتها، وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ [2] .

والشيرازي نسبة إلى شيراز وهي بلدٌ عظيمٌ مشهورٌ معروفٌ ، وهو قصبة بلاد فارس ، وقيل: شبهت بجوف الأسد لأنّه لا يحمل منها شيء إلى جهة من الجهات ويحمل إليها ولذلك سمّيت شيراز، وقد سافر إليها البيضاوي ورحل إليها ، وهي في وسط بلاد فارس، بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً [3] .

---

١. إصطخر بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة والنسبة إليها إصطخري وإصطخرزي بزيادة الزاي بلدة بفارس من الإقليم الثالث طولها تسع وسبعون درجة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها قيل كان أول من أنشاها إصطخر بن طهمورث ملك الفرس وطهمورث عند الفرس بمنزلة آدم قال جرير بن الخطفي يذكر أن فارس والروم والعرب من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام ويجمعنا والغر أبناء سارة أب لا نبالي بعده من تعذرا وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا حمائل موت لابسين السنورا إذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا وكان كتاب فيهم ونبوة وكانوا بإصطخر الملوك وتسترا قال الإصطخري وأما إصطخر فمدينة وسطة ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان مسكن ملك فارس . انظر : الحموي : معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص ٢١١ .

٢ . الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، مجلد ١، ص ٥٢٩. وانظر : السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ،لب اللباب في تحرير الأنساب ، الناشر: دار صادر – بيروت ، مجلد ١ ، ص٤٩ . وانظر : الاصطخري،أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ) ،المسالك والممالك ،الناشر: دار صادر، بيروت ،عام النشر: ٢٠٠٤ م ، مجلد ١ ، ص ١٢٦ .

٣. الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق، مجلد ٣ ، ص ٣٨٠ .

والشافعي نسبة إلى مذهبه الشافعي ، وقد كان كما قال الشهاب الخفاجي عنه : " كان إماماً في فقه الشافعي رحمه الله تعالى " [1] .

والتبريزي نسبة إلى تبريز وهي من أشهر مدن أذربيجان : وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجصّ، وفي وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها، والفواكه بها رخيصة، ولم أر فيما رأيت - يقول الحموي - أطيب من مشمشها المسمّى بالموصول، وعمارتها بالآجرّ الأحمر المنقوش والجصّ على غاية الإحكام ، وكانت تبريز قرية حتى نزلها الرّواد الأزدي المتغلّب على أذربيجان في أيام المتوكل، ثم إن الوجناء بن الرواد بنى بها هو وإخوته قصورا وحصنها بسور، فنزلها الناس معه [2] ، وقد ذكر أن البيضاوي رحمه الله دفن فيها [3] .

ويعرف كذلك بالقاضي ، يقول الدوسري في جمعه لما جاء في كشف الظنون وإيضاح المكنون ، وهدية العارفين: " عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، أبي سعيد، ناصر الدين، ويعرف بالقاضي ،عالمٌ بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، وغيرها " [4].

---

١. الخفاجي ، حاشية الشهاب ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٣ .

٢. الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق، مجلد ٢ ، ص ١٣ .

٣. الخوانساري ، محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر بن الحسين الأصفهاني (المتوفى١٣١٣ هـ) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، الناشر : الدار الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م . مجلد ٥ ، ١٣٥ .

٤. الدوسري ، : ترحيب بن ربيعان ، معجم المؤلفات الأصولية الشافعية المبثوثة في كشف الظنون وإيضاح المكنون وهدية العارفين ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،الطبعة: السنة السادسة والثلاثون العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ، مجلد ١ ، ص ٣٦٤ .

المطلب الثاني

حياته العلمية ، شيوخه ، تلاميذه ، مصنفاته ، وأقوال العلماء فيه

وقد أجمع العلماء على علو شأن الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى، وعلى غزارة علمه، وسأقف سريعاً على أقوال بعض منهم:

فهذا القاضي تاج الدين السبكي رحمه الله يقول في الطبقات الكبرى عن الإمام البيضاوي " إنه كان إماماً مبرزاً، نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً، ولي القضاء بشيراز، ودخل تبريز، وناظر بها، وصادف دخوله إليها مجلس درس ، قد عقد بها لبعض الفضلاء، فجلس القاضي ناصر الدين في أخريات القوم، بحيث لم يعلم به أحد، فذكر المدرّس نكتة زعم أن أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها، وطلب من القوم حلّها، والجواب عنها، فإن لم يقدروا فالحلّ فقط، فإن لم يقدروا فإعادتها.

فلما انتهى من ذكرها، شرع القاضي ناصر الدين في الجواب، فقال له: لا أسمع حتى أعلم أنك فهمتها، فخيّره بين إعادتها، بلفظها أو معناها، فبهت المدرّس، وقال: أعدها بلفظها ، فأعادها ، ثم حلّها وبيّن أن في تركيبه إيّاها خللا، ثم أجاب عنها، وقابلها في الحال بمثلها، ودعا المدرّس إلى حلّها، فتعذّر عليه ذلك، فأقامه الوزير من مجلسه، وأدناه إلى جانبه، وسأله من أنت؟ فأخبره أنه البيضاويّ، وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز، فأكرمه، وخلع عليه في يومه، وردّه وقد قضى حاجته " [1] .

وهذه القصة من الشهرة بمكان حيث إنني ما بحثت في كتب التراجم التي استطعت الحصول عليها إلا ووجدت من يترجم للبيضاوي يذكرها ويدلل بها على فضله ورسوخ علمه رحمه الله تعالى.

وقال الإمام السيوطي رحمه الله : "كان البيضاوي إماماً علّامة، عارفاً بالفقه والعربية والمنطق، نظّاراً صالحاً، متعبّداً، شافعيّاً " [2] .

---

١. السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، مصدر سابق ، مجلد ٨ ، ص ١٥٨ .

٢. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا ، مجلد ١ ، ص ٥٠ .

وقال ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية : " إن البيضاوي هو صاحب المصنفات، وعالم أذربيجان، وشيخ تلك الناحية ، ثم ساق كلاماً عظيماً ووصفاً بليغاً لأحد العلماء بحق البيضاوي وهو ابن حبيب يقول : وقال ابن حبيب عن البيضاوي أنه عالم نمى زرع فضله ، ونجم وحاكم عظمت بوجوده بلاد العجم ، برع في الفقه والأصول، وجمع بين المعقول والمنقول ، تكلم كل من الأئمة بالثناء على مصنفاته " [1] .

ولنا أن نعد الإمام البيضاوي أحد تلاميذ حجة الإسلام الغزالي رحمهما الله ، حيث يذكر البيضاوي أنه تعلم على أيدي العلماء وصولاً إلى أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى حيث يذكر أنه تفقه بأبيه، وتفقه والده بالعلامة مجير الدين محمود بن أبي المبارك البغدادي الشافعي، وتفقه مجير الدين بالإمام معين الدين أبي سعيد منصور بن عمر البغدادي وتفقه هو بالإمام زين الدين حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمهم الله تعالى جميعاً [2].

وبنظرة سريعة إلى أهم معاصريه من المفسرين ، أو القريبين عهداً منه ، ندرك قيمة الإمام وأهمية تفسيره ، فمنهم : الإمام فخر الدين الرازي " ٦٠٦ هـ" ،وإسم كتابه التفسير مفاتيح الغيب، الذي ذكرنا أنه استمد منه أهم ما تضمنه هذا التفسير من علوم ، وزاد عليه وأجاد فيه ، وتفسير الإمام القرطبي أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي " ٦٧١ هـ " المعروف بالجامع لأحكام القرآن ، وغيرهم من المفسرين ، وكيف أن البيضاوي رحمه الله تعالى قد أخذ مكانه بين هذه الكوكبة الطيبة من المفسرين ، علماً بان الإمام البيضاوي توفي رحمه الله في ٦٨٥ هـ ،على أرجح الأقوال كما سيمر قريباً .

ومن أحسن ما وجدت من ترجمته ما ذكره صاحب السلوك في طبقات العلماء والملوك من ذكر لفضل الإمام البيضاوي وعلو شأنه وكثرة تصانيفه رحمه الله فهو يذكر بعد أن بين أنه سمع كثيراً عن البيضاوي وعلمه وأنه سأل شيخه وإمامه عنه فأجابه بأنه : عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، كان أبوه قاضي قضاة شيراز قبله فلقبه ناصر الدين ،ولقب أبيه

---

١. ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين (المتوفى: ٨٥١هـ) ، طبقات الشافعية ، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ، مجلد ٢، ص ١٧٢.

٢. انظر :اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (المتوفى: ٧٦٨هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه: خليل المنصور ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، مجلد ٤ ، ص ١٦٥ .

إمام الدين ، فسألته : عن من تفقه ؟ فقال : في المنقولات بأبيه ، وفي المعقولات بشرف الدين سعيد أوحد علماء شيراز .

ونسبه البيضاوي ، إلى بلد على مرحلة من شيراز ،إذ خرج جده منها وسكن شيراز مدينة الملك في بلد فارس منذ أحدثها محمد بن محمد بن القاسم الثقفي إلى عصرنا ، ولم يكن لأحد من علماء شيراز كما كان له من الأصحاب والتصانيف ، وكانت وفاته بمدينة تبريز وهي مدينة من أعمال أذربيجان وكان لنيف وتسعين وستمائة بعد أن بلغ عمره تسعاً وأربعين سنة" [١] .

وقد كان البيضاوي على ما ذكر أبو المحاسن في المنهل الصافي إماماً بارعاً مصنفاً، فريد عصره، ووحيد دهره، أثنى على علمه وفضله غير واحد [٢] .

وقال محيي الدين شيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي أن الإمام البيضاوي كان الشيخ العلم الهدى علامة الورى، الذي أطبق علماء الأمة على علو شأنه، ورفعة منزلته ومقداره [٣] .

وأخيراً فان البيضاوي رحمه الله قد اشتهر وبهر وتلقاه الناس بالقبول كما يقول صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة ، فهو الإمام العالم العلامة المحقق شيخ الإسلام ناصر الدين أبو الخير الشيرازي الشافعي، قاضي شيراز صاحب التفسير المسمى ب" أنوار التنزيل وأسرار التأويل " الذي اشتهر وبهر [٤] .

وقد ذكرت أنني لن أطيل في الحديث عن الإمام البيضاوي رحمه الله وذلك لكثرة من تحدث عنه ، ولتسنمه المكانة الرفيعة بين العلماء وخصوصاً المفسرين .

---

١. الجُنْدي اليملي ، محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين (المتوفى: ٧٣٢هـ)السلوك في طبقات العلماء والملوك ، مصدر سابق ، مجلد ٢ ، ٤٣٦

٢. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، ، جمال الدين (المتوفى: ٨٧هـ) ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ،حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد أمين ،تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مجلد ٧ ، ص١١١ .

٣. شيخ زاده ، محيي الدين القوجوي ، حاشية شيخ زاده على البيضاوي ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ١٧ .

٤. سركيس ، يوسف بن إليان بن موسى ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، الناشر: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م ، مجلد ٢ ، ص ٦٠٦ .

ومن أهم مصنفاته [1]:

١. تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل
٢ . كتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول .
٣. كتاب طوالع الأنوار .
٤ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
٥ . المصباح.
٦. شرح مختصر ابن الحاجب .
٧ . شرح المنتخب في الأصول .
٨ . شرح المطالع .
٩ . الإيضاح.
١٠. شرح الكافية لابن الحاجب .
١١. لبّ اللباب في علم الإعراب .
١٢ . نظام التواريخ.
١٣. رسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها .
١٤ . الغاية القصوى في دراية الفتوى .
١٥ . شرح المصابيح وسماه تحفة الأبرار .
١٦ . شرح المحصول .
١٧ . شرح التنبيه .
١٨ . تهذيب الأخلاق.

وفاته رحمه الله تعالى

تعددت الروايات واختلفت في تاريخ وفاة إمامنا البيضاوي رحمه الله تعالى وتراوحت الأخبار فيها بين الأعوام ٦٨٥ هـ إلى ٦٩٢ هـ .

حيث ذكر الإمام إبن شهبة في طبقات الشافعية اختلاف الروايات في تاريخ وفاته فقال أن الإمام السّبكي والإمام الإسنوي قالا : إن وفاته كانت سنة ٦٩١ هـ ، إحدى وتسعين

١. البابانى البغدادي ، هدية العارفين ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٤٦٣ . وانظر الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، مجلد ٤ ، ص ١١٠ .

وستمائة، وأن ابن كثير قال في تأريخه والكتبي وابن حبيب – والكلام لابن شهبة - أن البيضاوي رحمه الله توفي سنة خمس وثمانين وستمائة [1] .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى أن الإمام البيضاوي صاحب التصانيف هو القاضي الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، قاضيها وعالمها وعالم أذربيجان وتلك النواحي، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة [2] .

وقد خالف صاحب مرآة الجنان هذا التاريخ حيث قال إن وفاة البيضاوي رحمه الله كانت سنة ٦٩٢ هـ [3] .

ويذكر الشهاب الخفاجي رحمه الله اختلاف المؤرخين في تاريخ وفاته حيث يقول : " وتوفي سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز ،وقال السبكي: سنة إحدى وتسعين وستمائة قدس الله روحه، ونوّر ضريحه [4] .

وبالنظر إلى أن أكثر المؤرخين على أن وفاته كانت ٦٨٥ هـ ، فإن الاعتقاد أن هذا هو الأرجح بالنسبة إلى تاريخ وفاته ، وبرأيي أنه ليس من متطلبات البحث البت في تاريخ

---

١. ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين (المتوفى: ٨٥١هـ) ، طبقات الشافعية ، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ، مجلد ٢، ص ١٧٣.

٢. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، المحقق: علي شيري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م ، مجلد ١٣ ، ص ٣٦٣. وانظر : أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، ، جمال الدين (المتوفى: ٨٧هـ) ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ،حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد أمين ،تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مجلد ٧ ، ص١١١ . وانظر : بردي ، يوسف بن تغري بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) ،المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ،حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد أمين ، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مجلد ٧ ، ص ١١١ .

٣. اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (المتوفى: ٧٦٨هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مصدر سابق ، مجلد ٤ ، ص ١٦٥ .

٤. الشهاب الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار النشر: دار صادر – بيروت ، مجلد ١ ، ص ٣ . وانظر : الموسوعة التاريخية ، موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - حتى عصرنا الحالي ، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر: الدرر السنية ، مجلد ٦ ، ص ١٠١ .

وفاة الإمام البيضاوي من جهة ، ومن جهة ثانية فلا ثمرة كبيرة تترتب على القطع بتاريخ الوفاة ، على الأقل في هذه الدراسة ، لذا أكتفي بما ذكر سابقاً ، والله أعلم بالصواب .

المطلب الثالث

التعريف بتفسير الإمام البيضاوي

المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وأقوال العلماء فيه

يعد تفسير البيضاوي رحمه الله من أهم كتب التفسير في القرن السابع الهجري إن لم يكن أهمها ، ويتبوأ هذا التفسير مكانةً عظيمةً بين كتب التفسير ، ويعتبر من أمهاتها ، ذلك لما يزخر به من علوم ومعارف استطاع الإمام البيضاوي من خلاله أن يلخص أهم العلوم من أشهر كتب التفسير واللغة ، فقد تعهد كتاب الزمخشري المسمى بالكشاف وجرد ما فيه من اعتزاليات كانت تؤخذ على الزمخشري في تفسيره ، فصار يعد تفسيره ملخصاً لأهم ما جاء به الزمخشري خالياً من هذه المآخذ ، حتى أن العلماء في عصره كانوا يسمون تفسير البيضاوي رحمه الله بمختصر الكشاف [1] .

ومن جهة ثانية فقد استفاد الإمام البيضاوي من تفسير الإمام الرازي رحمه الله تعالى المسمى مفاتيح الغيب واستطاع أن ينقل لنا وبأسلوبه الفذ المختصر والبليغ أهم ما جاء فيه مما يضفي على هذا التفسير ميزة ثانية .

وثالثة لا تقل أهمية عما سبقها فإن الإمام البيضاوي رحمه الله استطاع أن يقطف من المعاني الكثير من خلال اعتماده على كتاب مفردات الراغب، وبهذا يتضح مبدئياً قيمة هذا التفسير وأهميته.

وقد وضع الإمام البيضاوي رحمه الله في هذا التفسير خلاصة علمه وفكره وأقواله على اعتبار أنه ألف هذا التفسير في أواخر عمره، حيث أصبح تفسير البيضاوي بمحتواه ومنهجه وأسلوبه – كما يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى – أثراً سامي القيمة، أسدى به البيضاوي يداً بيضاء للباحثين ، إذ قرب منهم المستعصي ، وجمع لهم المتفرق ، وضبط لهم تحرير غير المحرر [2] .

---

١. انظر : الذهبي ، محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، مجلد ٤ ، ص ٥٥ .

٢. انظر ابن عاشور ، الفاضل محمد ، التفسير ورجاله ، مجلد ١ ، ص ٨٨ . وانظر :الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، نسخة دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨ م ، مجلد ٢ ، ص ٤٢٢ .

وساعرض فيما سياتي وبعجالة لأهم أقوال العلماء في هذا التفسير :

يقول الإمام السيوطي- رحمه الله- وهو يعرض لتفسير البيضاوي وأنه اعتمد كثيراً على الكشاف للزمخشري ، ما نصه:

" إن القاضي ناصر الدين البيضاوي لخّص هذا الكتاب – يعني كشاف الزمخشري - فأجاد، وأتى بكل مستجاد، وماز فيه أماكن الاعتزال، وطرح موضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكة نضار، واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكبّ عليه العلماء تدريساً ومطالعة، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة " [1] .

٢- ويقول صاحب كشف الظنون، ما نصه:

وتفسيره " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب، والمعاني، والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة، والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات.

وضم إليه: ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة، والتصرفات المقبولة، فجلا رين الشك عن السريرة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة، كما قال مولانا المنشي:

أولوا الألباب لم يأتوا .... بكشف قناع ما يتلى

ولكن كان للقاضي................ يد بيضاء لا تبلى

ولكونه متبحراً في ميدان فرسان الكلام ، فأظهر مهارته في العلوم، حسبما يليق بالمقام، فكشف القناع تارةً عن وجوه محاسن الإشارة، وملح الاستعارة، وهتك الأستار أخرى، عن أسرار المعقولات، بيد الحكمة ولسانها، وترجمان الناطقة وبنانها، فحل ما أشكل على الأنام، وذلل لهم صعب المرام ، وأورد في المباحث الدقيقة،ما يؤمن به عن الشبه المضلة، وأوضح له مناهج الأدلة.

---

١. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ،الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية ،عام النشر: ٢٠٠٥ م ، مجلد ١ ، ص ١٣ .

فمن اعترض بمثله على كلامه، كأنه ينصب الحبالة للعنقاء، ويروم أن يقتنص نسر الشماء، لأنه مالك زمام العلوم الدينية، والفنون اليقينية، على مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد اعترفوا له قاطبة بالفضل المطلق، وسلموا إليه قصب السبق، فكان تفسيره يحتوي فنوناً من العلم، وعرة المسالك، وأنواعاً من القواعد، مختلفة الطرائق.

ثم إن هذا الكتاب، رزق من عند الله - سبحانه وتعالى - بحسن القبول، عند جمهور الأفاضل والفحول؛ فعكفوا عليه بالدرس والتحشية "[1] .

وأختم هذه العجالة بشهادة الإمام القونوي في حاشيته على تفسير البيضاوي حيث يقول إن تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" رزق حسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علق على سورة منه" ومنهم من حشى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه، وعُدَّ من هذه الحواشي ما يزيد عدده على السبعين ما بين حاشية وتعليق ، وأشهر هذه الحواشي، وأكثرها تداولاً ونفعاً حاشية قاضي زاده العلامة محي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي ، وأن البيضاوي - نور الله مضجعه - كان إماماً زاهداً متعبداً، ومن مصنفاته هذا التفسير الشريف، وهو أجلها وأدقها ، وإن تفسيره احتوى على معان كثيرة الشعوب، متدانية الجنوب، مسومة المبادئ والمطالع، مقومة الأعالي والقواطع، واحتوى أيضاً من قواعد البلاغة وأصول الفصاحة أهمها، ومن شعب البلاغة والبراعة وفنون البدايع أدقها وأسناها، ومن قوانين العلوم الأدبية أقواها وأعلاها، فكان بين التفاسير كالغرة الغراء، والفريدة البيضاء، ومرآة لانفهام وجوه البلاغة والإعجاز، وصحائفه المزايا الحسان والإيجاز، مع عبارة لطيفة أنيقة، وإشارات دقيقة رشيقة كأنها سحر عجاب يتحير منه أولوا الألباب"[2] .

وليس المجال هنا للتوسع في الحديث عن هذا التفسير العظيم ، فبالرجوع إلى أقوال العلماء في البيضاوي وفي تفسيره ندرك مكانته وأهميته ، ويكفي هنا أن أذكر ما جاء في كتاب الدليل إلى المتون العلمية [3] فيما يخص تفسير البيضاوي، يقول مؤلف الكتاب : " تفسير

---

١. خليفة ، حاجي ، كشف الظنون ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ١٨٦ .

٢. القونوي ، حاشية القونوي على البيضاوي ، مجلد ١ ، ص ١٤ .

٣.قاسم ، : عبد العزيز بن إبراهيم ، الدليل إلى المتون العلمية ، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، مجلد ١ ، ص ١٠٥، بتصرف .

البيضاوي متوسط الحجم اختصره من الكشاف للزمخشري مع حذف ما فيه من إعتزاليات ومن التفسير الكبير للرازي ومن مفردات الراغب الأصفهاني، وقد رزق هذا الكتاب قبولاً وشهرةً واسعة ، وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات منها: -

١ - في مطبعة بولاق بمصر سنة (١٢٨٢هـ) .

٢ - في فارس سنة (١٢٨٣هـ) .

٣ - في استانبول سنة (١٢٨٥هـ) وسنة (١٣٠٥هـ) .

٤ - في لكهنو سنة (١٨٦٩م) .

٥ - في مطبعة مصطفى البابي بمصر سنة (١٣٥٨هـ) وسنة (١٣٧٥هـ) .

٦ - في مطبعة المشهد الحسيني بمصر سنة (١٣٨٠هـ) مراجعة الأستاذ/ عبد العزيز سيد الأهل جزءان في مجلد ضخم على هامش القرآن الكريم، إلى غير ذلك من الطبعات.

المبحث الثالث : التعريف بمفردات العنوان

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول

تعريف الاستدراك: لغةً

يحتوي العنوان مجموعة من الألفاظ والمصطلحات ينبغي الوقوف على تعريفها من حيث اللغة والاصطلاح لتكون المسيرة في هذا البحث – بإذن الله تعالى - على أسس واضحة ومحددة ألتزم فيها بما استخرجه من تعاريف متفق عليها تكون من محددات العنوان ، وهذه الألفاظ والمصطلحات هي (استدراك ، علوم القرآن) .

ويمكن أن أعرج ولو سريعاً على معنى (الحاشية) على اعتبار أنها موجودة ضمناً في العنوان.

وأول هذه الألفاظ هي كلمة استدراكات حيث يمكن إرجاع هذه اللفظة بعد تجريدها من الزوائد إلى الفعل الثلاثي درك .

درك في اللغة :

وبالرجوع إلى لفظة درك نجد أن ابن فارس رحمه الله في مقاييسه يقول عند هذه اللفظة : " درك : الدال والراء والكاف أصل واحد، وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه. يقال أدركت الشيء أدركه إدراكاً، ويقال: فرس درك الطريدة، إذا كانت لا تفوته طريدة. ويقال: أدرك الغلام والجارية، إذا بلغا. وتدارك القوم: لحق آخرهم أولهم ، فأما قوله تعالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ [١] ، فهو من هذا؛ لأن علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم." [٢] .

---

١. سورة النمل ، الآية (٦٦) .

٢ .ابن فارس ، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٩ .

وفي مختار الصحاح للجوهري أن الإدراك اللحوق ، قلت – والكلام لصاحب الصحاح - : الاستدراك صوابه اللحاق، يقال: مشى حتى أدركه وعاش حتى أدرك زمانه ،واستدرك ما فات و تداركه بمعنى. و تدارك القوم تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم ، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً ﴾ [1] ، وأصله تداركوا فأدغم، وقولهم: دراك أي أدرك، وهو اسم لفعل الأمر، والدرك التبعة يسكن ويحرك يقال ما لحقك من درك فعلي خلاصه .

ودركات النار منازل أهلها ، والنار دركات ،والجنة درجات ،والقعر الآخر درك ودرك، والدراك بالكسر المداركة ، يقال: دارك الرجل صوته أي تابعه " [2] .

وقد استطرد ابن منظور رحمه الله تعالى كثيراً في بيانه لمعنى درك ، استطراداً ملفتاً ، يقول رحمه الله : " الدرك: اللحاق، وقد أدركه، ورجل دراك: مدرك كثير الإدراك، وقلما يجئ فعال من أفعل يفعل إلا أنهم قد قالوا حساس دراك، لغة أو ازدواج، ولم يجئ فعال من أفعل إلا دراك من أدرك ، وحكى اللحياني: رجل مدركة، بالهاء، سريع الإدراك، وتدارك القوم : تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم ، والدرك: اللحاق والوصول إلى الشيء، أدركته إدراكا ودركا ، والإدراك: اللحوق ، يقال: مشيت حتى أدركته وعشت حتى أدركت زمانه،

---

١. سورة الأعراف، الآية (٣٨).

٢. الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، مجلد ١ ، ص ١٠٤ . وانظر : اليمني ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، مجلد ٤ ، ص ٢٠٦ . وانظر : أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ، مجلد ٢ ، ص ٦٥ ، وانظر : ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ،الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، مجلد ٢ ، ص ١١٤

واستدركت ما فات وتداركته بمعنى ، والدراك : إتباع الشيء بعضه على بعض في الأشياء كلها "[1].

إذن يكاد المعنى اللغوي يتفق ويدور حول معنى واحد أو معان متقاربة على أن الاستدراك هو اللحاق أو الإتباع.

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية أن الدرك لغة اللحاق والبلوغ، يقال: أدرك الشيء إذا بلغ وقته وانتهى، وللاستدراك في اللغة استعمالان:

الأول: أن يستدرك الشيء بالشيء، إذا حاول اللحاق به، يقال: استدرك النجاة بالفرار.

والثاني: في مثل قولهم: استدرك الرأي والأمر، إذا تلافى ما فرط فيه من الخطأ أو النقص[2].

ويظهر مما تقدم أن الاستدراك لغةً يدور حول اللحاق أو الإتباع كما مر قريباً ، أو بمعنى تلافي النقص أو الخطأ في كلام المستدرك عليه ، بحسب الموسوعة الفقهية الكويتية .

تعريف الاستدراك اصطلاحاً:

ومن الملاحظ بعد التعرض لكتب اللغة أن المعنى المتفق عليه لدرك هو اللحاق والإتباع ، فمن يأتي بعد الآخر يستدرك عليه ليلحق كلاماً أو يتبع كلامه بكلام يعتقد أن الأول قد فاته أو لم يعرفه أو لم يتضح مراده منه ، أو استشكل فهمه وأغلق ، فإن فعله هذا يعد استدراكاً ، وهذا جوهر الاستدراك والمراد به هنا في هذه الدراسة .

وقد اختلف تعريف الاستدراك عند العلماء باختلاف المعرف، وسوف أسوق هنا مجموعة من التعريفات للاستدراك عند العلماء ثم أختار التفسير المعتمد في هذه الدراسة، والله الموفق.

أولاً : عرّف الأصوليون الاستدراك بأن يستخدم المستدرك على نفسه أو على غيره بأحد أدوات الاستدراك ، ومن هذه الأدوات بل ، ولكن ، وغيرها ، وقد توسع علماء

---

1. ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، مجلد ١٠ ، ص ٢٤٢ .

2. الموسوعة الفقهية الكويتية ، مصدر سابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٦٩ .

الأصول في التفريق بين هذه الأدوات وتحديد معنى الاستدراك من خلالها ، فهذا غلاء الدين البخاري - رحمه الله – مثلاً في كشف الأسرار يذكر معان لطيفة وفروق دقيقة بين لكن وبل والمراد منهما للاستدراك فيقول ما نصه : " إعلم أن " لكن " يستدرك به ما يقدر في الجملة التي قبلها من التوهم نحو قولك ما رأيت زيداً لكن عمراً فلمتوهم أن يتوهم أن عمراً غير مرئي أيضاً فأماطت كلمة لكن هذا التوهم والفرق بينه وبين بل من وجهين أحدهما: أن لكن أخص من بل في الاستدراك لأنك تستدرك بل بعد الإيجاب كقولك ضربت زيداً بل عمراً وبعد النفي كقولك ما جاءني زيد بل عمرو ولا تستدرك بلكن إلا بعد النفي لا تقول ضربت زيداً لكن عمراً وإنما تقول ما ضربت زيداً لكن عمراً وهو معنى قوله وضع للاستدراك بعد النفي وهذا في عطف المفرد على المفرد فإن كان في الكلام جملتان مختلفتان جاز الاستدراك بلكن في الإيجاب أيضاً كقولك جاءني زيد لكن عمرو لم يأت فقولك عمرو لم يأت جملة منفية وما قبل لكن جملة موجبة فقد حصل الاختلاف وعمرو في قولك لكن عمرو لم يأت، مرفوع بالابتداء ولم يأت خبره وكذا قولك ضربت زيداً لكن لم أضرب عمراً فعمراً منصوب بلم أضرب وليس لحرف العطف فيه حظ كما يكون في قولك ما ضربت زيداً لكن عمراً كذا ذكره الإمام عبد القاهر فتبين بهذا أن قوله للاستدراك بعد النفي مختص بعطف المفرد على المفرد دون عطف الجملة على الجملة.

والثاني : أن موجب الاستدراك بهذه الكلمة – وما زال الكلام لغلاء الدين البخاري - إثبات ما بعده فأما نفي الأول فليس من أحكامها بل يثبت ذلك بدليله وهو النفي الموجود فيه صريحا بخلاف كلمة بل فإن موجبها وضعا نفي الأول وإثبات الثاني يوضحه أن في قولك ما جاءني زيد لكن عمرو انتفى مجيء زيد بصريح هذا الكلام لا بكلمة لكن فإنه لو سكت عن قوله لكن عمرو كان الانتفاء ثابتا أيضا وفي قولك جاءني زيد بل عمرو انتفى مجيء زيد بكلمة بل لا بصريح الكلام فإنه لو سكت عن قوله بل عمرو لا يثبت الانتفاء بل يثبت ضده وهو الثبوت فهذا هو الفرق بينهما "[1] .

---

1. البخاري ، غلاء الدين ، عبد العزيز بن احمد بن محمد، علاء الدين الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي ، مجلد ٢ ، ص ١٣٩ .

وقد ذكر الآمدي رحمه الله في أصوله [1] صوراً للاستدراك أو ما يشابهها في استخدامات اللغة مثل الاستثناء أو التخصيص ، فيقول :

الأول: كما في قوله - عليه السلام -: " القاتل لا يرث " [2] ، فإنه خصص القاتل بعدم الميراث بعد سابقة إرث من يرث.

والثاني: فمنه ما تكون التفرقة فيه بلفظ الشرط والجزاء كقوله: " لا تبيعوا البر بالبر " إلى قوله: " فإذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم يداً بيد " [3].

ومنه ما يكون بالغاية كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [4] .

ومنه ما يكون بالاستثناء كقوله تعالى: ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ ﴾ [5] .

ومنه ما يكون بلفظ الاستدراك كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [6] .

١. الآمدي ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ) ، الإحكام في أصول الأحكام ، المحقق: عبد الرزاق عفيفي ،الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان ، باب القاتل لا يرث ، مجلد ٣ ، ص ٢٥٩ (وصححه الألباني) .

٢. ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ، مجلد ٢ ، ص٨٨ .

٣. مسلم ، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)المسند الصحيح ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقد ،مجلد ٣ ، ص ٢١١ .

٤. سورة البقرة ، الآية (٢٢٢) .

٥. سورة البقرة ، الآية (٢٣٧) .

٦. سورة المائدة ، الآية (٨٩) .

وهذا صاحب المحكم والمحيط الأعظم ، يقول أن الدراك هو: " إتباع الشيء بعضه على بعض فِي الأشياء كلّهَا "[1].

وفي أساس البلاغة للزمخشري أن دركه أي طلبه حتى أدركه أي لحق به وأدرك منه حاجته ، وتدارك خطأ الرأي بالصواب واستدركه، واستدرك عليه قوله "[2].

قال الجرجاني رحمه الله في تعريفاته ، والمناوي في توقيفاته :

الاستدراك في الاصطلاح: رفع توهم تولد من كلام سابق. والفرق بين الاستدراك والإضراب: أن الاستدراك هو رفع توهم يتولد من الكلام المقدم رفعاً شبيهاً بالاستثناء، نحو: جاءني زيد لكن عمرو، لدفع وهم المخاطب أن عمراً جاء كزيد، بناءً على ملابسة بينهما وملاءمة، والإضراب، هو أن يجعل المتبوع في حكم المسكوت عنه، يحتمل أن يلابسه الحكم وألا يلابسه، فنحو: جاءني زيد بل عمرو، يحتمل مجيء زيد وعدم مجيئه. وفي كلام ابن الحاجب أنه يقتضي عدم المجيء قطعاً "[3].

وبمثله أو قريباً منه قال أبو البقاء الحنفي بأن الاستدراك هو دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعاً شبيها بالاستثناء [4].

وقد فصل صاحب كتاب دستور العلماء في معنى الاستدراك فقال : الاستدراك: في اللغة طلب تدارك السامع وفي الاصطلاح رفع التوهم الناشئ عن الكلام السابق وكلمة لكن

---

١. ابن سيده المرسي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ) ، المحكم والمحيط الأعظم ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، مجلد ٦ ، ص ٧٥٠ .

٢. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، مجلد ٢ ، ص ٢٨٤ .

٣. الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ، كتاب التعريفات ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، مجلد ١ ، ص ٢١ ، وانظر : المناوي ،زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم (المتوفى: ١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف ،الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، مجلد ١ ، ٤٨ .

٤. أبو البقاء الحنفي ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (المتوفى: ١٠٩٤هـ) ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،المحقق: عدنان درويش - محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، مجلد ١ ، ص ١١٥ .

للاستدراك أي لحفظ الحكم السابق نفياً كان أو إثباتاً عن أن يدخل فيه ما بعد لكن وهو يقتضي مغايرة الكلامين نفياً وإثباتاً " [١] .

يقول صاحب البحر المحيط في أصول في الفقه : الاستدراك، أي: التدرك، وفسره المحققون برفع التوهم الناشئ من الكلام السابق مثل ما جاءني زيد لكن عمرو. إذا توهم المخاطب عدم مجيء عمر أيضا بناء على مخالطته وملابسته بينهما. وفي المفتاح " أنه يقال لمن توهم أن زيدا جاءك دون عمرو، وبالجملة وضعها للاستدراك ومغايرة ما بعدها لما قبلها، فإذا عطف بها مفرد وهو لا يحتمل النفي فيجب أن يكون ما قبلها منفيا لتحصيل المغايرة، وإذا عطف بها جملة فهي تحتمل الإثبات فيكون ما قبلها منفياً ، وتحتمل النفي فيكون ما قبلها مثبتاً " [٢] .

وفي التقرير والتحبير لابن الموقت الحنفي رحمه الله تعالى أن " لكن " للاستدراك حال كونها خفيفة من الثقيلة وعاطفة وثقيلة وقد فسر الاستدراك بمخالفة حكم ما بعدها لما قبلها أي لحكمه فقط حال كونه ضدا نحو ما زيد أبيض لكن عمرو أسود أو نقيضا نحو ما زيد ساكنا لكن عمرو متحرك واختلف في الخلاف ما زيد قائم على لغة تميم لكن عمرو شارب ، وقيل الاستدراك ما تقدم بقيد رفع توهم تحققه أي ما قبلها هذا ما يعطيه السوق والذي ذكره ابن هشام نقلاً عن جماعة منهم صاحب البسيط من النحاة أنهم فسروا الاستدراك برفع ما توهم ثبوته وفي التلويح وفسره المحققون برفع التوهم الناشئ من الكلام السابق " [٣] .

وقيل أن معنى الاستدراك : أن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها [٤] .

١. نكري ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد (المتوفى: ق ١٢هـ) ، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، مجلد ١ ، ص ٧٧.

٢. الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، البحر المحيط في أصول الفقه ،الناشر: دار الكتبي ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، مجلد ٣ ، ص ٣٠٩ – ٣١٠ .

٣. ابن الموقت الحنفي ، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج (المتوفى: ٨٧٩هـ) ، التقرير والتحبير ، الناشر: دار الكتب العلمية ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، مجلد ٢ ، ص ٤٩ .

٤. ابن النجار الحنبلي ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي (المتوفى: ٩٧٢هـ) ، شرح الكوكب المنير ، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، الناشر: مكتبة العبيكان ،الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ ، مجلد ١ ، ص ٢٦٦ .

وهنا لا بد من سوق تعريف الموسوعة الفقهية الكويتية للاستدراك اصطلاحا، حيث تقول الموسوعة:

وللاستدراك في الاصطلاح معنيان:

الأول: وهو للأصوليين والنحويين: رفع ما يتوهم ثبوته من كلام سابق. أو إثبات ما يتوهم نفيه. وزاد بعضهم: "باستعمال أداة الاستدراك وهي لكن، أو ما يقوم مقامها من أدوات الاستثناء".

الثاني: وهو ما يرد في كلام الفقهاء كثيرا وهو: إصلاح ما حصل في القول أو العمل من خلل أو قصور أو فوات. ومنه عندهم: استدراك نقص.

والفرق بينه وبين الاستدراك، أنك في الاستدراك لا تبطل الحكم السابق، كما في قولك: جاء زيد لكن أخاه لم يأت، فإثبات المجيء لزيد لم يلغ، بل نفي المجيء عن أخيه، وفي الإضراب تبطل الحكم السابق، فإذا قلت: جاء زيد، ثم ظهر لك أنك غلطت فيه فقلت: بل عمرو أبطلت حكمك الأول بإثبات المجيء لزيد، وجعلته في حكم المسكوت عنه " [1] .

وفي تاج العروس : " ومعنى الاستدراك هو : رفع وهم عن كلامٍ سابقٍ " [2] .

ويمكن أن يأتي الاستدراك من المصنف نفسه على سبيل الاعتذار عن القول الأول الذي قال به ، فقد ذكر الإمام الزركشي في البحر المحيط أن الطرطوشي [3] مثلا صنف كتاباً سماه " الاستدراك " رجع فيه عن قوله الأول ، وقيل: إنه ألحق بحاشية الكتاب [4] .

---

١. الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ،الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت ، مجلد ٣ ، ص ٢٧٠ .

٢. الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ،تاج العروس من جواهر القاموس ،المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية ،مجلد ٦ ، ص ١٢٦ .

٣. محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن سليمان بن أيوب الطرطوشي الفهري الإمام ابو بكر الأندلسي المالكي المعروف بابن ابى زندقة ولد سنة ٤٥١ وتوفى بالإسكندرية سنة ٥٢٠ عشرين وخمسمائة. من تصانيفه: بدع الأمور ، وبر الوالدين ،وسراج الملوك مطبوع بمصر ، وكتاب الفتن ، وكتاب الكبير في مسائل الخلاف ، ومختصر تفسير القرآن للثعالبي. يراجع ، البابانى ، هدية العارفين، مصدر سابق ، مجلد ٢ ، ص ٨٥ .

٤. الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ) ،البحر المحيط في أصول الفقه ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ١٩٩ .

ويمكن أن تنسب في الاستدراك لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها، ولذلك لابد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها [1] .

والظاهر مما سبق أن الاستدراك اصطلاحاً يتحدد في دفع توهم نشأ من كلام سابق ، يأتي به نفس المتكلم أو غيره ، فيوضح مبهماً أو يفك مغلقاً ، أو يزيد رأياً فيما تم الاصطلاح عليه فيما سبق بتلافي النقص الظاهر .

والمستدرِك لا يعيب على من سبقه بهذا الاستدراك، بل هو يؤدي حقاً واجباً عليه من أمانة العلم الذي تحمله، وكما قيل رحم الله من سد الخلل.

ويفصل التهانوي في معنى الاستدراك بأنه يطلق في عرف العلماء على ذكر شيئين يكون الأول منهما مغنياً عن الآخر، سواء كان ذكر الآخر أيضاً مغنياً عن الأول، كما إذا كان الشيئان متساويان، أو لم يكن، كما إذا ذكر أولاً الخاصّ ثم العامّ، كما تقول في تعريف الإنسان الناطق الحيوان، بخلاف ذكر الخاصّ بعد العامّ فإنه ليس باستدراك، إذ الأول ليس مغنياً عن الثاني، كما تقول في تعريف الإنسان الحيوان الناطق ، ويطلق أيضاً عند النحاة على دفع توهّم ناشئ من كلام سابق [2] .

وبالرجوع إلى معنى الاستدراك في اللغة والاصطلاح يمكن أن نصل إلى الوجوه والأقسام التي يكون عليها الاستدراك.

ففي المعجم الوسيط : (تدارك الشيء بالشيء: أتبعه به ، يقال: تدارك الخطأ بالصواب والذنب بالتوبة ، واستدرك عليه القول : أصلح له خطأه ، أو أكمل له نقصه، أو أزال عنه لبساً) [3] .

---

١. الحنبلي ، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ،التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، . المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح ، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، مجلد ٢ ، ص ٦٦٥ .

٢. التهانوي ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م ، مجلد ١ ، ص ١٥١ .

٣. المعجم الوسيط ، مجلد ١ ، ص ٢٨٠ . ومعجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، مجلد ٣ ، ص٢٣١ .

وتكاد هذه الصور الثلاثة من الاستدراك تتكرر في الموسوعة الفقهية الكويتية[1]،

وهي :

أولا : إصلاح خطأ في القول .

ثانيا : تكميل نقص في القول .

ثالثا:إزالة لبس أو غموض في القول، سواء كان ذلك في زيادة المعنى وضوحا أم في عدم موافقة على قول أو غير ذلك من صيغ الاستدراك التي سنقف عليها في ثنايا الدراسة.

ثانياً : التفسير المعتمد في هذه الدراسة :

والخلاصة أن الاستدراك هو إتباع القول الأول بقول ثان يصلح خطأه أو يكمل نقصه أو يزيل عنه لبساً.

وإجمالاً فإنني معني في هذه الدراسة بالبحث عن استدراكات شيخ زاده في حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي في علوم القرآن الكريم بهذه الصور جميعها بإذن الله تعالى، والتي تتلخص في تدارك خطأ معين بالإصلاح ،وهذا التعريف هو المعتمد بإذن الله تعالى في هذه الرسالة، والله المستعان.

[1]. الموسوعة الفقهية الكويتية ، مجلد ٣ ، ص ٢٦٩ (بتصرف) .

المطلب الثاني

تعريف علوم القرآن لغةً واصطلاحاً

."علوم القرآن " مركب إضافي مكون من كلمة " علوم " وكلمة " القرآن "، و هنا فإنني معني بالوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لهما باعتبارهما من عنوان الدراسة التي يقوم بها.

وهذا المركب الإضافي لاقى عناية واسعة من العلماء الذين تناولوه بالبحث والتحديد، وبالتالي لن أقف طويلا هنا إلا بمقدار ما يتطلبه البحث.

ويحسن من وجهة نظري أن أذكر ما قاله الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في مقدمة الإتقان تحت هذا العنوان ، ما نصه : " العلم بحر زخار لا يدرك له من قرار وطود شامخ لا يسلك إلى قنته ولا يصار من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا كيف وقد قال تعالى مخاطبا لخلقه: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [1] ، وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدي وغي فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام.

والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه ، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام ، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب " [2] .

---

١. سورة الإسراء ، الآية (٨٥) .

٢. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ، مجلد ١ ، ص ١٦ .

فتنوع العلوم التي يتضمنها القرآن الكريم لا تعد ولا تحصى ، فالقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وبناء عليه كثرت تعاريف " علوم القرآن " وتعددت .

وسوف لن أتوسع كثيراً في الحديث عن تعريف علوم القران – كما سبق القول - لأن هذا من الأمور الواضحة والمسلمة لكثرة الذين تناولوها بالبحث والدراسة.

غير أني معني في هذا البحث أن أقف على بيان أهم العلوم التي تخدم القرآن الكريم، حتى يتم تناولها وتطبيقها في هذه الدراسة.

وهذا لا يعني أن لا أقف على تعريف هذا اللفظ المركب ولو سريعاً ، فأقول والله المستعان:

" العلم " مصدر بمعنى الفهم والمعرفة، وكما في مقاييس اللغة : " العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره ، من ذلك العلامة، والعلم: نقيض الجهل " [١] ، وفي الصحاح : علمت الشيء أعلمه عِلْماً: عرفته [٢] .

وأما في الاصطلاح ؛ فقد اختلفت في تعريفاته باختلاف المعرف :

فعلماء الشريعة والكلام والفلاسفة والحكماء كل يختص بتعريف يحدد فيه المراد من العلم من وجهة نظره .

والعلم في اصطلاح أهل التدوين- كما تعلمنا - يطلق على مجموعة من المسائل والأصول الكلية التي تجمعها جهة واحدة، كعلم التفسير، وعلم الفقه، وعلم الطب ، وغيرها .

وقد ذكر الإمام الزرقاني رحمه الله في مناهل العرفان أن لفظ العلم في لسان الشرع العام يطلق على معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه ، والماديون: يزعمون أن العلم ليس إلا خصوص اليقينيات التي تستند إلى الحس وحده" [٣] .

---

١. ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، مجلد ٤، ص ١١٠ . وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مجلد ١٠، ص ٤١٧.

٢. الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، مجلد ٥، ص ١٩٩.

٣. الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ،الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الطبعة الثالثة ، مجلد ١ ، ص ٢٣ . وانظر : الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، مجلد ٤ ، ص ٣٠٤ .

قال الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء: قد كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وآياته وبأفعاله في عباده وخلقه ، حتى أنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله : لقد مات تسعة أعشار العلم ،فعرفه بالألف واللام ثم فسره العلم بالله سبحانه وتعالى ، ثم بين أن هذا العلم من أقسام العلم المحمود ،فقال : وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسننه في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة [١] .

وما يعنيني هنا أن أعرف العلم المتعلق بالقرآن الكريم، أي ما اصطلح على تسميته ب " علوم القرآن ".

وقد قلنا أن هذا المركب الإضافي يعني أننا نتحدث من خلاله عن علوم خاصة بالقرآن الكريم بحيث تخدمه وتوضحه للناس وتجلي ما فيه من معاني وبالتالي فان كل علم يخدم المعنى القرآني قد يصح أن يصير من مفرداته ، وقد قال الإمام الزرقاني في مناهله : " وإنما جمعت هذه العلوم ولم تفرد لأنه لم يقصد إلى علم واحد يتصل بالقرآن، إنما أريد شمول كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه، وينتظم ذلك علم التفسير ،وعلم القراءات، وعلم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن ،وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ ،وعلم إعراب القرآن ،وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين، واللغة ، إلى غير ذلك، وتلك أشتات من العلوم- ومازال الكلام لصاحب المناهل - توسع السيوطي فيها حتى اعتبر منها علم الهيئة والهندسة والطب ونحوها " [٢] .

وبمثله عرف الشيخ مناع القطان رحمه الله علوم القرآن حيث قال:" أنه العلم

---

١. الغزالي ، محمد ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٣٩ .

٢. الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٢٣ .

الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني ,والناسخ والمنسوخ، والمحكم و التشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن " [1] .

وهذا الدكتور فهد الرومي- مثلا – وهو من المتأخرين ، في تعريفه لعلوم القرآن الكريم لم يخرج عن سياق من سبقوه وإن اختلفت عبارته ، فهو يقول : " إعلم أن الإضافة بين "علوم" و"القرآن" تشير إلى أنواع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها، أو أن القرآن دل على مسائلها أو أرشد إلى أحكامها، فيشمل كل علم خدم القرآن أو استند إليه كعلم التفسير وعلم التجويد وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الفقه وعلم التوحيد وعلم الفرائض وعلم اللغة وغير ذلك " [2] .

ولست أعرف أحداً - في حدود علمي وبحثي - أضاف جديداً في تفسير مصطلح علوم القرآن مؤخراً ، اللهم إلا تغيير في الألفاظ والتراكيب التي يستخدمونها في التعريف الخاص بهم ، وأحياناً وهذه لمن يأتي بعد المتقدم في التعريف يمكن إضافة لون من ألوان العلوم لم تكن معروفة عند المعرف الأول – هذا على الأقل من وجهة نظري - .

ولذلك تجد شيخنا المرحوم الدكتور فضل عباس يختزل كل هذه التعاريف بكلمات قليلة تنم عن حكمة ودراية فهو يقول في إتقان البرهان : " علوم القرآن بالمعنى الإضافي تشمل كل ما يتصل بالقرآن الكريم " [3] ،وهذا بالطبع في المفهوم العام للمصطلح كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى .

لذا أرى أن هذه الجزئية قد أشبعت في كل الكتب التي تتحدث عن علوم القرآن الكريم، وما أكثرها، فلا حاجة لعرضها عنها، خوف الإطالة من جهة، وللاشتغال بصلب الموضوع من جهة أخرى، والله الموفق.

---

١. القطان، مناع بن خليل (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، مجلد ١، ص ١٣.

٢. الرومي، فهد، الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مجلد ١، ص ٢٩.

٣. عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية ٢٠١٠ م، مجلد ١، ص ٥٤.

المطلب الثالث

صيغ الاستدراك عند شيخ زاده رحمه الله تعالى

استخدم شيخنا شيخ زاده رحمه الله صيغاً مختلفة للاستدراكات التي سجلها على الإمام البيضاوي ، مع العلم أن شيخ زاده لم يقصد من حاشيته أن يستدرك على إمامه – بحسب علمي - ولكنه كان يفعل ذلك عندما يرى أن الموضوع الذي يتحدث عنه يحتاج إلى تدخله من حيث الإيضاح والبيان وزيادة الاستشهادات والأدلة ، أو يرى أن الحاجة تقتضي أن يبين رأيه أو حتى يذكر عدم موافقته للإمام فيما ذهب إليه ، كل ذلك بقمة من التواضع والحياء والتقدير لإمامه البيضاوي رحمهما الله تعالى .

ومن خلال الدراسة في الحاشية والنظر في أقوال الإمام البيضاوي واستعراض كلام شيخ زاده لهذه الأقوال يمكن أن نصنف صيغ الاستدراك عند شيخ زاده إلى قسمين رئيسين: صيغ صريحة وصيغ غير صريحة.

أولاً :الصيغ الصريحة :

وقد استخدم شيخ زاده رحمه الله تعالى صيغاً صريحة مباشرة لاستدراكه على كلام البيضاوي، فمثلاً يقول بعد أن يستعرض الأوجه التي يذكرها البيضاوي:

١. والوجه أن يراد.

٢. وفيه بحث .

٣ . وذا لا يجوز والمعتمد هو .

٤ . وما يراه المصنف ليس بصحيح .

٥. وغير ما قال المصنف أولى بالقول . إلى غير من صيغ الاستدراك التي سأستعرضها ما وسعني الجهد من خلال هذه الحاشية القيمة .

ثانياً : الصيغ غير الصريحة :

وكثيرة هي هذه الصيغ ، بل من وجهة نظري لا يمكن عدها ، لأننا نجد أن شيخ زاده يناقش ويوضح ويبين كلام شيخه وهو بالتالي يستخدم كل الألفاظ التي تعينه على أداء دوره في هذا البيان والاستدراك ، ولكن يمكن أن نعطي أمثلة لهذه الصيغ التي سميناها غير صريحة ، فمثلاً تراه يقول بعد عرض أقوال شيخه في المسألة :

١. وهذا غير مرضي .

٢. وهذا تفسير المصنف .

٣. وليس المعنى على ذلك .

٤. ما ذكر في صورة الجواب إنما هو لتحرير المبحث وتوضيح المقام ، إلى غير ذلك .

المطلب الرابع

تعريف الحاشية لغة واصطلاحاً

الوقوف على معنى الحاشية لغة والمراد منها اصطلاحاً يصب في زيادة الفائدة وبيان أهمية هذه الدراسة، لذا أجد من المناسب أن أقف ولو سريعاً على معنى الحاشية.

ولعل أصل الحاشية من حوش ، والتي تأتي بمعنى الجمع ، يقول ابن فارس رحمه الله في مقاييسه : " حوش ، الحاء والواو والشين كلمة واحدة ، وأصل الكلمة إن صحت فمن التجمع والجمع، يقال حشت الصيد وأحشته، إذا أخذته من حواليه " [1] .

ومثله في اللسان ، حيث ذكر ابن منظور رحمه الله أن حوش : وحشنا الصيد حوشا وحياشا وأحشناه وأحوشناه: أخذناه من حواليه وضممناه " [2] .

إذن فالجمع والضم يمكن أن يكون المعنى اللغوي للحاشية ، على اعتبار أن المحشي يقوم بالجمع والضم لما يراه من تفسير لكلام المفسر الذي يقوم بالتحشية على تفسيره

وقد يطلق أيضاً على معنى الجانب والطرف ، وهو المكان الذي يضع المحشي فيه كلامه على كلام المفسر ، وكان هذا بداية الأمر في التحشية ، يقول ابن منظور رحمه الله في: " الحوش أن يأكل الإنسان من جانب الطعام " [3] .

وفي التوقيف للمناوي رحمه الله : " حاشية الثوب جانبه ومنه حاشية النسب وهو الذي على جانبه كالعم وابنه " [4] .

١. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مجلد ٢ ، ص ١١٩ .

٢. ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٦ ، ص ٢٩٠ . وانظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، مرجع سابق، مجلد ١، ص ١٥٥. وانظر : الزبيدي ،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ،تحقيق : مجموعة من المحققين ،الناشر : دار الهداية ، مجلد ٧ ، ص ١٦٣ .

٣. ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، مجلد ٦ ، ص ٢٩٠ .

٤. المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، مجلد ١ ، ص ٢٨٠ .

وقد وجدت معنىً لطيفاً للتحشية مفاده التقوية ، أي يقوى بـه ، فالمحشي – إن صح – يقوي كلام المفسر ويعضده كما ورد في شمس العلوم : " يقول وحش الشيء بالشيء: إذا قواه به " [1] .

الحاشية اصطلاحاً :

يكاد يكون المعنى الاصطلاحي متوافقاً مع المعنى اللغوي ، فالحاشية فيها الجمع والضم والطرف والجانب ، فمهمة المحشي تتمثل في جمعه للكلام الموضح لكلام المفسر وضم ذلك إلى تفسيره ووضعه على جانب التفسير ، وفي مكان محدد صار متعارفاً عليه بين المؤلفين .

وفي أبجد العلوم ما يشير إلى أن الحاشية جزء من فن يعرف بفن التصنيف فهو :" تأليف الكلام لتحريره نثراً ونظماً والمراد ما في العلوم ، فما لم يتعلق بغيره صريحاً فمتن ، أو تعلق متصلاً فشرح مدمج أو مفصولا ب " قال أقول" ونحوها ، أو على الطفرة فتعليق وحاشية ومن كل وجيز ووسيط وبسيط وله أغراض سياقه بحسبها" [2] .

أي أن أغراض التأليف تحدد كون المصنف تعليقاً أو حاشية إن يكن تصنيفاً أصيلاً بمعنى التأليف.

ويمكن القول بأن الحاشية – فيما يخص الدراسة من تعريف - هي عبارة عن كلام يسجله المحشي على المفسر سواء كان ذلك شرحاً أو تفصيلاً أو تدعيماً بالأدلة على قول المفسر ، وبالجملة فهو تتبع لكلام المفسر أو المحشى عليه .

---

١. اليمني ، شمس العلوم ، مجلد ٣ ، ص ٢٨٥ .

٢. القنوجي ، صديق بن حسن ، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ،الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨ ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، مجلد ١ ، ص ٢١٣ .

ويمكن أن يكون كلام المحشي - كما ذكرت - على هامش كلام المفسر ، يقول صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة : حشى الكتاب: جعل له حاشية ،هامشاً "حشى كتاباً بحاشية شرح: علق عليه، وحاشية الكتاب: ما علق على الكتاب من زيادات وإيضاح " [1] .

١. انظر : عمر ، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: ١٤٢٤هـ) ،معجم اللغة العربية المعاصرة ،الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م ، مجلد ١ ، ص ٥٠٣ .

الفصل الأول

الاستدراكات في علوم القرآن الكريم

مقدمة

هذا صلب موضوعنا في هذه الدراسة، وكل المقدمات السابقة إنما جاءت لتخدم الهدف الكلي من الدراسة وهو البحث في استدراكات شيخ زاده على الإمام البيضاوي في علوم القرآن الكريم.

وعليه فإنني معني هنا – بإذن الله – بان أبحث في استدراكات شيخ زاده فيما يختص بعلوم القرآن الكريم.

وعند الرجوع إلى الحاشية والبحث في علوم القرآن فيها وجدت أن من الصواب أن أعرض أولاً لعلوم القرآن الكريم عند البيضاوي في تفسيره المسمى " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " ، ثم أبين بعد ذلك قول شيخ زاده فيما عرضه البيضاوي مركزاً على محل استدراكه عليه إن توضيحاً أو زيادةً سواء كان هذا الاستدراك بالموافقة أو المعارضة ، كل هذا إنما يتأتى بتوفيق من الله وعون منه ، وإلا فإن الموضوع شاق ، والتتبع لا بد وأن يشوبه النقص ، فما كان من خير وحق وصدق وصواب ، فمن الله تعالى وحده لا شريك له ، وإن كانت الثانية فمني ومن الشيطان ،والعياذ بالله ، ولا حول ولا قوة إلا الله العلي العظيم .

وقد لا أوافق الإمام البيضاوي وشيخ زاده فيما يذهبا إليه سواء اتفقا أم اختلفا ، اللهم إلا بالنظر إلى الأدلة التي يسوقها كل واحد منهما وبالتالي يمكن الميل إلى أحدهما دون الآخر ، بل ربما لا أرى ما يقول به أياً منهما رحمهما الله ، فقد أخالفهما إذا لم أقنع بقول أحدهما ، وأذكر مثالاً على ذلك ، حيث يقول الإمام البيضاوي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١] : " وَاللَّهُ غَفُورٌ لك هذه الزلة فإنه لا يجوز تحريم ما أحله الله " [٢] . وفي هذا تجاوز لا أقبله ، مع الاعتذار عن الإمام البيضاوي بأنه لم يحسن التعبير بنسبة الزلل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

١. سورة التحريم ، الآية (١) .

٢. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٢٢٤.

والإشارة ولو من بعيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن أن يكون قد حرم ما أحل الله تعالى .

وعند الرجوع إلى شيخ زاده رحمه الله ، أجد أنه قد تجاوز كثيراً وخاض فيما لا ينبغي ، وعبر بألفاظ كان من الأولى – بحسبي – الابتعاد عنها وفي لغة العرب بدائل لكثير من الكلمات ، وشيخ زاده من هو في اللغة والأدب والبيان ، أقول تجاوز كثيراً ، كيف لا وهو ينسب الفعل المنكر للنبي صلى الله عليه وسلم في تعليقه على كلام البيضاوي رحمه الله تعالى في هذه الآية الكريمة ، يقول رحمه الله وغفر له : " فإن حقيقة الاستفهام لما لم تتصور منه تعالى حمل على المعاتبة على ارتكاب التحريم ، وعد ذلك منكراً منه عليه الصلاة والسلام " [1] .

ولست بصدد بيان معنى منكراً هنا ولكن أقل ما يقال فيها أنها ممتنعة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومرفوضة من كلام شيخ زاده.

بل وأكثر من ذلك فإن شيخ زاده رحمه الله يتعدى هذا القول إلى ما هو أشد وأشنع ، فيقول رحمه الله : " قوله : " فإنه لا يجوز تحريم ما أحله الله " فإن ما أحله الله تعالى لا يحرم إلا بتحريم الله تعالى إياه بوحي منزل متلو أو غير متلو ، فإن من اعتقد من عند نفسه حرمة شيء قد أحله الله فقد كفر ،فإن قيل : إذا لم يجز ذلك فما وجه تحريمه عليه الصلاة والسلام ذلك ؟ قلنا: المراد بهذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالاً لا اعتقاد كونه حراماً بعد ما أحله الله تعالى، فإن ذلك لا يتصور من عوام المسلمين فكيف من الأنبياء ؟ ولكنه يجوز أن يعد ذلك زلة يعاتب عليها لأن الامتناع عن الانتفاع بإحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول إحسانه، ففيه شائبة سوء الأدب، فلذلك عاتبه الله تعالى على ذلك بالاستفهام الإنكاري" [2] .

وهذا بداية مرفوض تماماً ولا يعقل ولا يقبل لا من البيضاوي رحمه اله الذي يصف فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالزلة، ولا من شيخ زاده رحمه الله الذي يصفها هنا بما لا أحب تكراره.

ولعلي أعتذر عن شيخ زاده هنا أنه لم يقصد بالشائبة هنا ما يسوء النبي صلى

---

١. شيخ زاده، الحاشية، مجلد ٨ ، ص ٢٥٣ .

٢. شيخ زاده، الحاشية، مجلد ٨ ، ص ٢٥٣

الله عليه وسلم فهو لا شك يحبه ويدافع عنه ويتبع نهجه ، ولكن ربما خانه التعبير وهو من البشر ، أو ربما أراد عموم الكلام ، وبالمحصلة فإن الباحث لا يوافق على كلام البيضاوي عندما وصف فعله صلى الله عليه وسلم بتحريم ما أحل الله له ، بالزلة ، ولا أقبل وصف شيخ زاده بما قال ، مع الاعتراف التام بأن الباحث يقف تلميذاً ليس له مكان بين يدي العالمين الجليلين رحمهما الله تعالى واسكنهما فسيح جناته ، اللهم آمين .

ثم إنه يجب أن أذكر هنا أنه قد أكتفي ببيان رأي البيضاوي في مسألة من مسائل علوم القرآن واستدراكات شيخ زاده عليه دون الحاجة إلى تقصي هذا في كل موضع من مواضع ورودها في الحاشية ، وإلا لاتسع البحث وطال ، وتعذر علي ، ولصعبت المهمة على اعتبار أن هذا التفسير بحر زاخر ، وتلك الحاشية تزخر بالفرائد والنفائس في كل صفحة من صفحاتها إن لم اقل في كل فقرة من فقراتها ، بل وأكثر من ذلك في كل سطر من سطورها ، أقول بأنني لن أستطيع تناول كل هذا بالعرض والتعليق والتفصيل ، وسأكتفي عندما أرى أن الموضوع قد اتضح وبان وجه الاستدراك فيه ، فإن الفائدة هنا قد تحققت ، والمرجو قد حصل بإذن الله ، فلا داعي للإعادة أو التكرار، أو التوسع ، والله المستعان .

الفصل الأول

الاستدراكات، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: استدراكات شيخ زاده على البيضاوي في الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: استدراكاته في أول ما نزل، وآخر ما نزل.

المبحث الثالث: استدراكاته في المكي والمدني.

المبحث الرابع: استدراكاته في القراءات.

المبحث الخامس : استدراكاته في المحكم والمتشابه.

المبحث السادس: استدراكاته في تعامله مع ما ظاهره الإشكال والتناقض.

المبحث السابع: استدراكاته في أقواله في الأحرف المقطعة في أوائل السور.

المبحث الثامن : استدراكاته في العام والخاص.

المبحث الأول

استدراكات شيخ زاده على البيضاوي في الناسخ والمنسوخ

وأجد أنه من المناسب أن أعرف النسخ لغةً واصطلاحاً ، تعريفاً موجزاً من أجل استحضار المعنى ، ليسهل علينا فهم النسخ عند الإمام البيضاوي من جهة، وبيان وجه الاستدراك عند شيخ زاده رحمهما الله تعالى من جهة أخرى ، وليس من ضرورات البحث التوسع في موضوع الناسخ والمنسوخ ،فهذا له مظانّه ، والدراسة ليست من هذه المظان ، هذا وإن كان قد بحث النسخ في كتب مستقلة ، وتم تعريفه تعريفاً دقيقاً يمكن الرجوع إليه عند الحاجة .

ومن المفيد أن أنقل في هذه العجالة كلاماً قيماً للإمام للسيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان عن النسخ ، وأن العلماء من أهل السنة والجماعة قد أجمعوا على جوازه وأن اليهود عليهم لعنة الله تعالى قد أنكروه ، مع العلم أن التوسع في هذا ليس مراداً هنا- كما مر قريباً - يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالى : " النوع السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ،وأبو داود السجستاني ،وأبو جعفر النحاس ،وابن الأنباري ،ومكي ،وابن العربي ،وآخرون ، قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، وقد قال علي رضي الله عنه لقاض: أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال: لا ، قال : هلكت وأهلكت "[1] .

النسخ لغة :

بعد الرجوع إلى معاجم اللغة المختلفة يمكن القول إن تعريفات النسخ في اللغة تكاد تدور حول ما عرفه به إبن فارس رحمه الله في مقاييس اللغة ، حيث قال : " النون والسين والخاء أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه، قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه، وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء ، قالوا: النسخ: نسخ الكتاب، والنسخ: أمر كان

١. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ، مجلد ٣ ، ص ٦٦ .

يعمل به من قبل ثم ينسخ بحادث غيره، كالآية ينزل فيها أمر ثم تنسخ بآية أخرى، وكل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه"[1] .

وفي لسان العرب أن النسخ هو إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه؛ وفي التنزيل: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ ؛ والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة ، والشيء ينسخ الشيء نسخا أي يزيله ويكون مكانه[2] .

والنسخ عند الراغب في مفرداته يتمثل في إزالة شيء بشيء يتعقبه ، وهذا لا يخرج عما سبق ، ثم يعلق على قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] أن معناها ما نزيل العمل بها، أو نحذفها عن قلوب العباد[4] .

وعلى هذا فإن النسخ في اللغة يدور حول النقل أو الإزالة، سواء أكان هذا النقل نقلاً مع بقاء الأصل أو عدم بقائه، أو إزالته نهائياً دون النظر إلى هذا.

النسخ اصطلاحاً :

تكاد تتفق التعريفات هنا وأقصد في الاصطلاح بأن النسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه نزولاً، ويكفي أن أشير إلى أقوال بعض العلماء في هذه المسألة.

---

١. ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، مجلد ٤ ، ص ٤٢٤ . وانظر الجوهري ، الصحاح ، مجلد ١ ، ص ٤٣٣ (فصل النون باب الخاء) .

٢. ابن منظور ، محمد ، لسان العرب ، مجلد ٣ ، ص ٦١ (باب الخاء فصل النون) .

. سورة البقرة ، الآية (٦) . ٣

٤. الراغب ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٨٠١ .

النحاس [1] رحمه الله تعالى وهو من المتقدمين ، ويعتبر من أوائل من كتب في الناسخ والمنسوخ ، باعتبار أن وفاته كانت في سنة ٣٣٨ هـ يقول : وأصله أن يكون الشيء حلالاً إلى مدة ثم ينسخ فيجعل حراماً أو يكون حراماً فيجعل حلالاً أو يكون محظوراً فيجعل مباحاً أو مباحاً فيجعل محظوراً، يكون هذا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والإباحة والمنع " [2] .

وقد قال هبة الله المقري في الناسخ والمنسوخ : إعلم أن النسخ في كلام العرب هو الرفع للشيء وجاء الشرع بما تعرف العرب إذ كان الناسخ يرفع حكم المنسوخ " [3] .

وقال الأصوليون: النسخ رفع الحكم الشرعي بخطاب، وقيل بيان لانتهاء أمده، والمختار الأول فلا نسخ بالعقل ولا بالإجماع [4] .

وعند الإمام الغزالي رحمه الله أن حد النسخ هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً به مع تراخيه عنه [5] .

وفي المصباح المنير أن النسخ الشرعي إزالة ما كان ثابتاً بنص شرعي ويكون في اللفظ والحكم وفي أحدهما سواء فعل كما في أكثر الأحكام أو لم يفعل كنسخ ذبح إسماعيل بالفداء لأن الخليل أمر بذبحه ثم نسخ قبل وقوع الفعل ، وتناسخ الأزمنة والقرون تتابعها وتداولها لأن كل واحد ينسخ حكم ما قبله ويثبت الحكم لنفسه فالذي يأتي بعده ينسخ حكم ذلك

---

١. أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر بن النحّاس المصري النحوي. من كبار العلماء بالنحو، والقرآن. توفي سنة (ثمان وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٨). له من التصانيف: «إعراب القرآن» و «الناسخ والمنسوخ» وغيرهما.

٢. النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) ،الناسخ والمنسوخ ،المحقق: د. محمد عبد السلام محمد ،الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ، مجلد ١ ، ص ٥٧ .

٣. المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي (المتوفى: ٤١٠هـ) ،الناسخ والمنسوخ ،المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان ،الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، مجلد ١ ، ص ٢١ .

٤. المناوي ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (المتوفى: ١٠٣١هـ) ، م، التوقيف على مهمات التعاريف ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ٤٢٣ .

٥. الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ،المستصفى ،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ،الناشر: دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، مجلد ١ ، ص ٨٦ .

الثبوت ويغيره إلى حكم يختص هو به ومنه تناسخ الورثة لأن الميراث لا يقسم على حكم الميت الأول بل على حكم الثاني وكذا ما بعده" [1] .

والنسخ شرعاً كما استخلصه صاحب قلائد المرجان أنه " إزالة حكم المنسوخ كله ببدل آخر أو بغير بدل في وقت معين فهو لبيان أزمنة العمل بالفرض الأول وانتهاء مدة العمل به وابتداء العمل بالثاني فكان انتهاؤه عند الله معلوماً وفي أوهامنا كان استمراره ودوامه ، وبالناسخ علمنا انتهاؤه فكان في حقنا تبديلاً وتغييراً " [2] .

وعند الشهاب رحمه الله أن وجه ذلك أن الوحي للمصالح وهي تختلف باختلاف الأزمنة كما نرى من احتياج الصيف إلى غير لباس الشتاء وغير ذلك [3] .

وباعتقادي أن هذا تعريف يفي بالغرض ويوضح المقصود وأكثر التعاريف إن لم أقل كلها تدور حول ما جاء به من مفردات وألفاظ .

أما تعريف إمامنا البيضاوي رحمه الله للنسخ فيمكن الوقوف عليه من خلال تناوله لأول ورود لهذه اللفظة في القرآن الكريم في سورة البقرة ، حيث يقول رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [4] يقول : " والنسخ في اللغة: إزالة الصورة عن الشيء وإثباتها في غيره، كنسخ الظل للشمس والنقل، ومنه التناسخ، ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك: نسخت الريح الأثر، ونسخت الكتاب ، ونسخ الآية بيان إنتهاء التعبد بقراءتها، أو الحكم المستفاد منها، أو بهما جميعاً، وإنساؤها إذهابها عن القلوب، والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الإنزال إذ الأصل اختصاص أن وما يتضمنها بالأمور المحتملة، وذلك لأن الأحكام شرعت والآيات نزلت

---

١. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير ،في غريب الشرح الكبير ،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ، مجلد ٢ ، ص ٦٠٢ .

٢. الكرمي ،مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد المقدسي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ) ،قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ،المحقق: سامي عطا حسن ،الناشر: دار القرآن الكريم – الكويت ، مجلد ١ ، ص ٤٠ .

٣. الشهاب ، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار النشر: دار صادر - بيروت، مجلد ٢ ، ص ٢١٩ .

٤. سورة البقرة ، الآية (٦) .

لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص، كأسباب المعاش فإن النافع في عصر قد يضر في عصر غيره ، واحتج بها من منع النسخ بلا بدل، أو ببدل أثقل، ونسخ الكتاب بالسنة، فإن الناسخ هو المأتي به بدلاً والسنة ليست كذلك والكل ضعيف، إذ قد يكون عدم الحكم، أو الأثقل أصلح ، والنسخ قد يعرف بغيره، والسنة مما أتى به الله تعالى، وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ ، والمعتزلة على حدوث القرآن فإن التغير والتفاوت من لوازمه، وأجيب: بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم" [1] .

وبالجملة فإن البيضاوي رحمه الله يلخص النسخ بقوله في غير هذا الموضع بأن النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الأزمان [2] .

ويمكن تسجيل عدد من الملاحظات من خلال تناول الإمام البيضاوي لتفسير هذه الآية فيما يتعلق بالنسخ تحديداً :

أنه أولاً يقول بالنسخ ، علماً بأن هذه مسألة خلافية بين العلماء قديماً وحديثاً ، فمنهم المثبت لها ومنهم المنكر ، ومنهم المكثر فيها ومنهم المقل ، وإن كانت قد ظهرت حديثا بشكل أكبر ، وأن النسخ عنده في المعنى الاصطلاحي هو بيان انتهاء التعبد بقراءتها، أو الحكم المستفاد منها، أو بهما جميعاً، وإنساؤها إذهابها عن القلوب .

ثانياً أن الحكمة عنده من النسخ مراعاة مصالح العباد وظروفهم فالآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص، كأسباب المعاش فإن النافع في عصر قد يضر في عصر غيره.

وثالثاً : يذكر أنواع النسخ ببدل أو بدون بدل ، أو نسخ للأثقل أو للأصلح .

ورابعاً: يبين نسخ القرآن بالقرآن أو نسخه بالسنة فكلٌ من عند الله تعالى، والسنة مما أتى به الله تعالى.

خامساً: في كلامه عن النسخ مجموعة ردود على أولئك الذين منعوا النسخ أو أرادوا به غير ما هو في معناه، فرد مثلاً على من منع النسخ إلا ببدل، ورد على المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن، كل هذا بأسلوب مختصر ودقيق.

---

١. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١، ص ٩٩ .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٨ .

وعند الرجوع إلى شيخ زاده في حاشيته وجدناه رحمه الله يشرح ويوضح ويضيف إضافات معتبرة في معنى النسخ والأمثلة عليه ، وعلى أقسامه والاستشهاد لكل قسم من الأقسام التي ذكرها البيضاوي بالأدلة الشرعية ، وفي هذا خير وعلم كثير ، وفي الحقيقة أن الاكتفاء بما قاله الإمام البيضاوي لا يغني بحال – من وجهة نظري – عن كلام شيخ زاده ، على اعتبار أن عبارة البيضاوي رحمه الله جاءت مختصرة وبليغة ، وإليك الدليل من كلام شيخ زاده رحمه الله حيث يقول تعليقاً على قول الإمام البيضاوي في استعراضه لمعنى النسخ والرد على قول الطاعنين :

يقول شيخ زاده رحمه الله : " يريدون الطعن في الإسلام وتوهين عزيمة من أراد الدخول فيه ، يقولون : إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، كما أمر في حد الزنا بإيذائهما باللسان حيث قال : ﴿ فَآذُوهُمَا ﴾ [1] ، ثم جعله منسوخاً وأمر بإمساكهن في البيوت ﴿ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [2] ، ثم جعله منسوخاً بقوله : ﴿ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [3] . فما كان هذا القرآن إلا من جهته ، ولهذا ناقض بعضه بعضاً ، كما أخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [4] ، وهنا يسوق كلامهم في الطعن بالقرآن الكريم من خلال القول بالنسخ ، وأن كلامهم هذا يثبت أن القرآن الكريم من عنده ومن جهته ، ولهذا بحسب زعمهم ناقض بعضه بعضاً " [5] .

---

١. سورة النساء، الآية (١٦).

٢. سورة النساء، الآية (١٥).

٣. سورة النور، الآية (٢).

٤. سورة النحل، الآية (١٠١).

٥. شيخ زاده، حاشية شيخ زاده على البيضاوي، مجلد ٢، ص ٢١٨- ٢١٦.

وقبل أن يشرع برد سهمهم إلى نحرهم يوصل شيخنا لرده ، يأتي بمعنى النسخ كما استخدمه إمامه البيضاوي ناقلاً عن الراغب ، فيقول : " النسخ في اللغة إزالة الصورة عن الشيء وإثباتها في غيره كنسخ الظل الشمس ، ثم يقال فيه إزالة الصورة من غير إثباتها في غيره نحو : ﴿ يَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] . ويقال أيضاً في إثبات مثل تلك الصورة في الغير من غير إزالتها عن الأول كنسخ الكتاب وهو إثبات مثل ما فيه في محل آخر.

وأصحاب التناسخ قوم زعموا أن النفوس تنتقل من هيكل إلى آخر إن كانت محسنة انتقلت إلى هيكل متنعمة فيه، وإن كانت مسيئة فإلى هيكل معذبة فيه، إلى هنا كلامه، وهذا من باب الإضافة من قبل شيخنا لتوضيح عبارة البيضاوي رحمه الله .

ثم يضيف : فقوله : " كنسخ الظل " من إضافة المصدر إلى مفعوله فإن الشمس تزيل صورة الظل عن محل وتثبتها في غيره ، وكذا التدبير الإلهي يزيل النفس الإنسانية من بدن شخص ويثبتها في بدن شخص آخر مناسب لحالها ، وضمير " منهما " في قول المصنف – والكلام لزاده ويقصد البيضاوي - : " ثم استعمل كل واحد منهما " ، راجع إلى الإزالة والإثبات ، وقوله : " نسخت الريح الأثر " مثال لاستعماله لمجرد إزالة الصورة عن المحل من غير إثباتها في غيره ، وقوله : " ونسخت الكتاب " مثال لاستعماله لمجرد إثبات صورة الشيء في غيره من غير إزالتها عنه " [2] .

والتعبد التكليف ، وفي الصحاح : التعبد الاستعباد وهو أن يتخذه عبداً ، وكذلك الاعتباد ، ثم يوضح أقسام النسخ فيقول بأنه على ثلاثة أقسام :

القسم الأول: نسخ الحكم دون التلاوة وهو المعروف من النسخ في القرآن، فتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة إلا أن المنسوخة لا يعمل بها.

وبالنظر إلى هذا التفصيل والشرح نلاحظ كيف يزيد عبارة البيضاوي وضوحاً.

وهو هنا لا يكتفي بهذا بل يضرب الأمثلة التي لم يذكرها البيضاوي فهو يقول هنا: مثل عدة المتوفى عنها زوجها كانت سنة، لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً

---

١. سورة الحج، الآية (٥٢).

٢. شيخ زاده، حاشية شيخ زاده على البيضاوي، مجلد ٢، ص ٢١٨- ٢١٩.

لأزواجهم مّتاعاً إلى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [1] . ثم نسخت بأربعة أشهر وعشرا" لقوله تعالى: ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ [2] . وكمصابرة الواحد لعشرة في القتال نسخت بمصابرة الواحد لاثنين ، قال تعالى أولا : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ ﴾ [3] . الآية ، ثم قال : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ ﴾ [4] ، الآية ، ثم قال : ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ ﴾ [5] . وكآية الإيذاء والإمساك ونحوها؛ ومعنى النسخ في مثلها بيان انتهاء التكليف بالحكم المستفاد منها عند نزول الآية المتأخرة عنها.

ولا يخفى أيضاً في هذا الموضع من تفسير وتوضيح لعبارة الإمام البيضاوي وقل مثل ما قلنا في القسم الأول من دور الشيخ زاده في الاستدراك على البيضاوي في القسم الثاني والثالث.

يقول شيخ زاده رحمه الله تعالى:"والقسم الثاني : نسخ التلاوة دون الحكم، كآية الرجم ، كما روي : كان مما يتلى عليكم في كتاب الله : { الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة } ، وروي عن عمر رضي الله عنه قال : " كنا نقرأ سورة تعدل سورة الأحزاب بسورة البقرة حتى رفع منها آيات منها : { الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله

---

١. سورة البقرة، الآية (٢٤٠).

٢. سورة البقرة ، الآية (٢٣٤) .

٣. سورة الأنفال، الآية (٦٥).

٤. سورة الأنفال، الآية (٦٦).

٥. سورة الأنفال، الآية (٦٦).

عزيز حكيم }[1] ، وسيأتي تفصيل الحديث عن الرجم في موضع آخر من هذه الدراسة بإذن الله تعالى .

وروي عنه - رضي الله عنه - أيضاً أنه قال : " كنا نقرأ : { لا ترغبوا عن آبائكم فان ذلك كفر بكم }[2] ، ومعنى النسخ في مثلها بيان انتهاء التكليف بقراءتها عند نسخ تلاوتها، وهذا عين ما ذكره البيضاوي عندما ذكر أن معنى النسخ عنده انتهاء العمل بأمر، والبدء بأمر جديد مراعاة لمصلحة العباد.

والقسم الثالث : نسخ الحكم والتلاوة جميعاً ، كقول عائشة رضي الله عنها : " كان مما يتلى عليكم في كتاب الله عشر رضعات يحرمن ، ثم نسخ بخمس رضعات تحرمن"[3] . وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال : كنا نقرأ سورة تعدل سورة التوبة ما أحفظ منها إلا

١. مسلم ، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مجلد ٣ ، ص ١٣١ ، باب رجم الثيب في الزنا ، حديث رقم ١٦٩١ . وانظر : الحاكم ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري ،المستدرك على الصحيحين الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، مجلد ٤ ، ص ٤٠٠ ، كتاب الحدود ، حديث رقم ٨٠٧٠ ، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة تعليق الذهبي في التلخيص : صحيح . وانظر : الدارمي ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، ، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ،المحقق: شعيب الأرنؤوط ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية ١٩٩٣م ، مجلد ١٠ ، ص ٢٧٣. وانظر : السمرقندي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ،تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م ، مجلد ٣ ، ص ١٤٩ ، باب في حد المحصنين بالزنا ، حديث رقم ٢٣٦٨ .

٢. البخاري، صحيح الجامع، مجلد ٨، ص١٥٦، باب من أدعى إلى غير أبيه ، حديث رقم ٦٧٦٨ . وانظر: مسلم، صحيح مسلم، مجلد ١، ص ٨٠، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه.

٣. مسلم ، الصحيح ، مجلد ٢ ، ص ١٠٦ ، باب الرضاع ، حديث رقم: ١٤٥٢. وانظر السِّجِسْتاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأردي (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٣ ، باب هل يحرم ما دون خمس رضعات ، حديث رقم ٢٠٦٢

هذه الآية " لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولو أن له ثالثا لابتغى إليه رابعاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب فيتوب الله على من تاب "[1].

ومعنى النسخ في مثلها بيان انتهاء التكليف بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها عند نسخها، فقوله: " بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعا " إشارة إلى الأقسام الثلاثة. والثالث قد يكون رفع الحكم والتلاوة بان ترفع الآية أصلاً من المصحف ومن القلوب جميعاً ، كما روي أن قوماً من الصحابة قاموا يقرؤون سورة فلم يذكروا منها إلا " بسم الله الرحمن الرحيم " فعادوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه ، فقال : " تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها " ، وحسن بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ورفعه ليبقى حصول الثواب بقراءتها، فإن القرآن كما يتلى لحفظ حكمه ليتيسر العمل به يتلى أيضا لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه ، وقيل : النسخ في الشرع عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرع متأخر عن رفعه ، وتقييد الحكم بالشرع احتراز عن العقلي فإنه ما لم ترد الأدلة الشرعية الناطقة بوجوب العبادات على المكلف بحكم العقل ببراءة الذمة ، ثم إذا وردت يرتفع ذلك الحكم العقلي بذلك الدليل الشرعي المتأخر ، ولا يسمى نسخاً بالإجماع .

وتقييد الدليل بالشرعي احتراز عن رفع الحكم الشرعي بالموت، فإن العبادات وسائر التكاليف الشرعية ترتفع عن الميت بموته ولا يسمى نسخاً ، وتقييده بالمتأخر احتراز عن رفعه بالدليل المتصل كالاستثناء والتقييد بالشرط والغاية لأنه يكون بياناً لا نسخاً.

وذكر صاحب الميزان – وما يزال الاستشهاد لزاده - : أن الحد الصحيح أن يقال هو بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي في تقدير أوهامنا استمراره بطريق التراخي، فتقييد الحكم بالمطلق احتراز عن الحكم المقيد بتأبيد أو توقيت فإنه لا يصح نسخه.

والشارع لما أطلق الحكم المنسوخ أي بأن لم يبين توقيته وانتهاءه في وقت كذا حين شرع كان ظاهره البقاء والاستمرار بالنسبة إلى البشر لأن إطلاق الأمر شيء يوهمنا بقاء ذلك على التأبيد فكان نسخه بالنسبة إلى العباد إزالة ، ورفعاً لما كان ظاهر الثبوت ، إلا أنه بالنسبة إلى صاحب الشرع بيان محض لانتهاء الحكم الأول ليس فيه معنى الرفع لأنه كان معلوماً عند الله تعالى أنه ينتهي في وقت كذا بالناسخ ، فكان الناسخ بالنسبة إليه تعالى بيانا لانتهاء

---

١. ابن حجر، فتح الباري، مجلد ١١، ص ٢٥٥، باب ما يتقي، حديث رقم ٦٠٧٢. وانظر :الترمذي ، سنن الترمذي ، مجلد ٤ ، ص ١٤٧ ، باب ما جاء لو كان لابن ادم واديان ، حديث رقم ٢٣٣٧ ، وقال الترمذي : . هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الحكم ، وأما نحن فلما توهمنا الثبوت والاستمرار كان نسخه بالنسبة إلينا رفعاً وتبديلاً .

وتوصيف صاحب الميزان هذا الحد بالصحة إشارة منه إلى أن تعريفه بالرفع غير صحيح بناء على أن ما ثبت من الحكم في الماضي لا يتصور إزالته ورفعه، وما في المستقبل لم يثبت بعد فكيف يرفع ويبطل ؟ ولذلك اختار المصنف تعريف صاحب الميزان حيث قال: " ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد " الخ، فإن من قال لعبده: إعمل كذا ثم منعه عنه نصف النهار كمن قال له بكرة : اعمل كذا إلى نصف النهار" [١] .

وهكذا فأنت تجد الكم الهائل من الفائدة والتوضيح على كلام البيضاوي رحمه الله تعالى الذي يكاد يكون مختصرا جدا خاصة في هذا المقام ، وبهذا تظهر الحاجة ماسة للوقوف على استدراكات شيخ زاده رحمه الله تعالى ولو على سبيل الشرح والتوضيح وضرب الأمثلة .

ومع هذا الشرح والبيان فيمكن أن تجد شيخ زاده يستدرك على البيضاوي ويناقشه ، فمثلا أسجل هنا أن شيخ زاده ناقش الإمام البيضاوي في مسألة منع النسخ إلا ببدل ، حيث رد الإمام البيضاوي على من لم يجز النسخ إلا ببدل ، فقال عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [٢] ،أنه احتج بها من منع النسخ بلا بدل أو ببدل أثقل وناقشهم في ذلك ، فذكر أن الناسخ هو المأتي به بدلا إذ قد يكون عدم الحكم، أو الأثقل أصلح ، والنسخ قد يعرف بغيره ، وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ [٣] ، وهذه عبارة الإمام البيضاوي رحمه الله .

ولكننا نجد أن شيخ زاده توقف عند قول إمامه ، ففصل وبين ووضح فيما لا غنىً عنه لعالم أو لطالب علم ، فقال : قال الإمام : قوله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ فيه قولان : أحدهما أنه الأخف والثاني انه الأصلح لحق كان بها ، والثاني أولى لأنه تعالى يصرف المكلف عن مصالحه لا على ما هو أخف لطباعه، فإن قيل: لو كان الثاني أصلح من

١. انظر : شيخ زاده، حاشية شيخ زاده على البيضاوي، مجلد ٢، ص ٢١٨- ٢١٩.

٢. سورة البقرة ، الآية (٦) .

٣. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٢ .

الأول لكان الأول ناقص الصلاح، فكيف أمر الله به ؟ قلنا: الأول كان أصلح من الثاني بالنسبة إلى الوقت الأول، والثاني على عكس الأول فزال السؤال ، والاستفهام في قوله تعالى : ﴿ ألم تعلم ﴾ لتقرير أنه تعالى لا يعجزه شيء ، ومعناه : قد علمت ، وفيه بحث لأنه إذا كان الخير أو المثل المأتي به مجرد نفي الحكم الأول وإسقاط التعبد به وهو معنى الشرط بعينه يلزم اتحاد الشرط والجزاء وهو لا يجوز ، لأن الجزاء لا بد أن كون أمراً مرتباً على الشرط ،إلا أن يقال فرق بين ما وقع النظم عليه وبين أن يقال : ما ننسخ من آية أو ننسها ، فإن الأول يفيد فائدة معتداً بها دون الثاني بناءً على قاعدة أن الأحكام تختلف باختلاف العنوان ، فمعنى الآية ما ننسخ من آية نأت بشي هو خير منها أي من إبقاء التعبد بها سواء كان ذلك الشيء الخير إسقاط التعبد بها أو ما يكون بدلا منها لانتهاء حكمها " [1] .

وقد ضعّف الإمام السيوطي نسخ الكتاب بالسنة واعتبره مردوداً ، فقال في نواهد الأبكار : " قوله: " واحتج بها من منع النسخ " إلى آخره، ما ذكره من تضعيف نسخ الكتاب بالسنة مردود، فإن المانع لذلك هو الإمام الشافعي، قال الطيبي: ذهب الإمام الشافعي إلى منع نسخ القرآن بالخبر، وهو موافق لما رواه الدارقطني عن جابر رضي الله عنه مرفوعا: " كلامي لا ينسخ كلام الله، وكلام الله ينسخ بعضه بعضا " [2] ، قال: رخيص لا يخفى على مثل الإمام هذا المعنى؟ وهو من أعلام المجتهدين وقد قال ابن الصلاح: أعيا الفقهاء وأعجزهم معرفة الناسخ من المنسوخ ، وكان للشافعي اليد الطولى والسابقة الأولى ، وقال الإمام أحمد ابن حنبل: ما عرفنا المجمل من المفصل، ولا الناسخ من المنسوخ حتى جالسنا الشافعي، والآية شاهدة لذلك لأن الناسخ لابد أن يكون خيراً من المنسوخ أو مثله لقوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ

1. شيخ زاده ،الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٤ .

2. الدار قطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي ، السنن ، المجلد الخامس ، الجزء الخامس ، ص ٢٥٥ .قال الشيخ الألباني رحمه الله : موضوع . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين ، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته ، المكتب الإسلامي ، حديث رقم ٤٢٨٥ .

مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} والسنة ليست بخير من القرآن ولا مثله، والضمير في نأت: لله، فيكون الآتي بالناسخ هو الله" [1].

فانظر إلى هذا البيان والتوضيح من شيخ زاده ، وتعديد الأقوال، هذا الجهد الذي لا يستغني عنه أحد ، ومن هنا بت أعلم الحكمة من التحشية وتدريس تفسير الإمام البيضاوي في المساجد وتداوله بين العلماء .

وقد يستبعد شيخ زاده رحمه الله بعض ما يذهب إليه إمامه البيضاوي في الآيات التي يرى فيها البيضاوي بأنها منسوخة ، حتى ولو كان ذكر البيضاوي لها على سبيل تعداد الأقوال ، فتجد شيخ زاده يتتبع ما يراه أقرب للصواب فإن قبل ما قرره الإمام ، وإلا فيذكر رأيه الذي سميناه نحن استدراكاً ، فمثلا عند قوله تعالى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [2] : قال البيضاوي : ولا تعجل بانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم، وقيل : هو منسوخ بآية السيف ، إن ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم، العليم بحالك وحالهم فهو حقيقٌ بأن تكل ذلك إليه ليحكم بينكم، أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم، وقد علم أن الصفح اليوم أصلح [3] .

يقول شيخ زاده رحمه الله : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [4] : أي فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً ملتبساً بحلمٍ وإغضاءٍ ، ولا تكافئهم بما آذوك قولا وفعلا ، فإن الساعة آتية فأنا أكافئهم عنك، ووصف الصفح الجميل للدلالة على معنى أن لا يترك نصحهم ودعاءهم إلى الحق مع ذلك ، والصفح بهذا المعنى لا يقبل النسخ والذي يقبله هو الصفح بمعنى الإعراض عن قتالهم ، وقيل هو منسوخ بآية السيف " وهو بعيد – يعني أن القول بالنسخ هنا بعيد – ويعلل ذلك بأن المقصود أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح ،

١. السيوطي ، جلال الدين ، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٢٩٤

٢. سورة الحجر، الآية (٨٥).

٣. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٣ ، ص ٢١٦ .

٤. سورة الحجر، الآية (٨٥).

فكيف يصير منسوخاً ؟ فإنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بالصفح في موضعه ، وبالقتال في موضعه [1] . وهكذا نجد أن شيخ زاده رحمه الله لم يسلم هنا أن الآية منسوخة وعلل ذلك وبينه.

وكما ذكرنا سابقاً فإن شيخ زاده رحمه الله تعالى قد يستدرك على إمامه البيضاوي رحمه الله بأن يضيف كلاماً يرى أن المصنف لم يذكره كان الأولى ذكره لبيان وتوضيح المسألة ، فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله : " قال أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ ، وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق، ومد عند فقهاء الحجاز، رخص لهم في ذلك أول الأمر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لأنهم لم يتعودوه، ثم نسخ [3] .

وهنا يفصل شيخ زاده في الاستدراك، فيقول رحمه الله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ ،ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هنا هم الأصحاء المقيمون ؛ خيّرهم الله تعالى في ابتداء الإسلام بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا ، وإنما خيّرهم الله تعالى بين الأمرين لئلا يشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة،وهي قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [4] ، وقيل هذه الآية نزلت في حق الشيخ الهرم الذي يطيق الصوم لكن مع الشدة والمشقة ، ثم يقول : " ثم إن الشيخ الهرم إذا افطر فعليه الفدية ، وأما

---

1. شيخ زاده ، محمد بن مصلح القوجوي ، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، مجلد ٥ ، ص ٢٣٢ .

2. سورة البقرة ، الآية (١٨٤) .

3. البيضاوي ، محمد بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ١٢٤ .

4. سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

الحامل والمرضع إذا أفطرتا فهل عليهما الفدية أو لا ؟ قال الإمام الشافعي : عليهما الفدية ، قال أبو حنيفة رحمه الله : لا تجب، حجة الشافعي رحمه الله أن قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فدية ﴾ يتناول الحامل والمرضع ، وأبو حنيفة فرّق فقال : الشيخ الهرم لا يمكن إيجاب القضاء عليه فلا جرم وجبت الفدية ، وأما الحامل والمرضع فالقضاء واجب عليهما فلو أوجبنا الفدية عليهما أيضاً كان ذلك جمعاً بين البدلين وهو غير جائز ، لان القضاء بدل والفدية بدل آخر ،وقيل أنها نزلت في حق المريض والمسافر أيضاً ، فإن المريض والمسافر منهما من يطيق الصوم ومنهما من لا يطيقه ، فقد ذكر الله تعالى حكم هذا القسم بقوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَر ﴾ [١] ،وذكر حكم القسم الأول منهما بقوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ فكأنه أثبت للمريض والمسافر حالتين في أحدهما يلزم أن يفطرا أو يقضيا وهي حالة الجهد الشديد لو صاما ، والثانية أن يكونا مطيقين للصوم لا يثقل عليهما فحينئذ يكونان مخيرين بين أن يصوما وبين أن يفطرا مع الفدية ولم يتعرض المصنف لهذين الاحتمالين . ثم يقول : ويحتمل أن يكون الخطاب عاماً لكل من تقدم ذكره من المريض والمسافر والذين يطيقونه ،وهذا أولى - والكلام لشيخ زاده - لأن كل واحد من اللفظ والمقام يساعد هذا الاحتمال فلا وجه لتخصيص اللفظ ببعض محتملاته [٢] .

وواضح هنا كل الوضوح دور شيخ زاده في بيان المراد وتفصيل كلام البيضاوي رحمه الله، من جهة، ومن جهة ثانية ظاهرٌ وواضحٌ غزارة علمه رحمه الله.

والظاهر هاهنا أن استدراك شيخ زاده على البيضاوي رحمهما الله تعالى بهذا الرأي الوجيه لبيان شمول الشريعة الإسلامية وأنها صالحة وأنها مراعية لجميع الأحوال والظروف .

---

١. سورة البقرة ، الآية (١٨٤) .

٢. شيخ زاده ، محيي الدين القوجوي ، حاشية شيخ زاده على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٤٤٧ ــ ٤٤٨ . - بتصرف -

وقد يزيد شيخ زاده كلاماً لم يتطرق إليه البيضاوي رحمه الله من باب الشرح ، فمثلاً عند كلام البيضاوي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾[1] ،

يقول البيضاوي رحمه الله تعالى: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي الجهة التي كنت عليها، وهي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها بمكة، ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود، أو الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما : "كانت قبلته بمكة بيت المقدس" إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينها فالمخبر به على الأول الجعل الناسخ، وعلى الثاني المنسوخ ، والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة "[2] .

وقد ناقش شيخ زاده رحمه الله تعالى عبارة البيضاوي هذه بإسهاب وربما رد عليه بأسلوبه الأدبي الرفيع ، ويظهر هذا من تقليبه لكلام الإمام البيضاوي على الوجوه المتعددة التي تنم عن دراية تامة بكلام البيضاوي ، استمع إلى شيخ زاده حيث يقول :

" قوله : " أو الصخرة " عطف على قوله : الكعبة لما روي أن القبلة التي كان عليه الصلاة والسلام يتوجه إليها وهو بمكة هي بيت المقدس إلا أنه عليه الصلاة والسلام كان يجعل الكعبة بين نفسه وبين بيت المقدس حتى كان يقصد أن يتوجه إليهما معاً فإن المدينة وقعت بين مكة وبين بيت المقدس على هذا الوضع مكة مدينة مقدس ، فمتى كان عليه السلام بمكة وتوجه إلى بيت المقدس تيسر له أن يجعل الكعبة بين نفسه وبين بيت المقدس ، وأما بعد ما هاجر إلى المدينة فلم يتيسر له ذلك لأنه إذا توجه فيها إلى بيت المقدس فبالضرورة تبقى مكة وراءه ومع ذلك صلى إليه بعدما قدم المدينة ستة عشر شهراً ، وقيل : سبعة عشر شهراً ، ثم حول الله تعالى وجهه الكريم شطر المسجد الحرام لأن الكعبة كانت معظمة من أول ما بنيت ، وكانت قبلة إبراهيم ومفخر العرب وأمثالهم ، فالمراد بقوله : ﴿ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾[3] على هذا الوجه هو بيت المقدس ، وبالقبلة ما كانت قبلة فيما مضى ، وبالجعل الجعل المنسوخ ، ويكون المقصود من الآية بيان الحكمة في جعل بيت المقدس قبلة ، والمعنى حينئذ : إنك الآن على ما

---

١. سورة البقرة ، الآية (١٨٤) .

٢. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ١١٢ .

٣. سورة البقرة ، الآية (١٨٤) .

ينبغي ان تكون عليه لأن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وإنما أمرناك قبل وقتك هذا بالتوجه إلى بيت المقدس لمصلحة عارضة وهي أن نمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه ، وما كان لعارضٍ يزول بزواله ، فظهر المراد بقوله : " والمعنى أن أصل أمرك .. " الخ ، فإنه معطوف بحسب المعنى على قوله : " وهي الكعبة " كأنه قيل : وعلى الأول معناه كذا ، وعلى الثاني كذا ، ومحصول المعنى على الثاني : وما جعلنا قبلتك الصخرة إلا لنمتحن أهل مكة ومن يحذو حذوهم من العرب فنعلم من يتبعك في الصلاة إليها أي إلى الصخرة ممن يرتد عن دينك إلفاً لقبلة آبائه إبراهيم وإسماعيل ومن بعدهما من الذين يتوجهون في صلاتهم إلى الكعبة ، فلأن العرب كانت فرقتين في استقبالهم إلى بيت المقدس حين ما كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، منهم من كان مقصوده مجرد اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أينما توجه ومنهم من كان اتباعه له عليه الصلاة والسلام في التوجه إلى بيت المقدس حيث كونه متضمناً لاتباع هواه الذي هو التوجه إلى الصخرة ، ووجه كونه متضمناً لاتباع هواه ما ذكر من أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي في مكة متوجهاً إلى الصخرة بأن يجعل الكعبة بين نفسه وبينها ، والفريق المذكور يتابعه عليه الصلاة والسلام في التوجه إليها من حيث تضمنه ما يوافق هواه من التوجه إلى الكعبة لا من حيث كونه معتقداً بأنه هو الحق من عند الله تعالى فامتحنهم الله تعالى بان أمر كافة الناس بالتوجه إلى الصخرة وان استلزم ذلك استدبار الكعبة ليتميز من يتبع الحق ممن يتبع الهوى ، وهذا على تقدير أن يكون المراد بالناس الممتحنين أهل مكة وأشباههم من العرب ممن يألفون قبلة آبائهم [1] .

ولا أدري من أين جاء رحمه الله بهذا التفصيل وكيف فهم من كلام البيضاوي كل هذا، اللهم إلا أن يكون ذلك دليل على سعة علمه وبعد نظره وتضلعه من العلوم الكثيرة رحمه الله تعالى ، وقد ذكرت هذا هنا من باب القول بنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وما دار حول هذه القضية من نقاش.

بل إن شيخ زاده رحمه الله تعالى يوضح ويرد على المخالف والطاعن الذي يدعي الخوف على صلاة الذين ماتوا وهم يتوجهون إلى القبلة الأولى المنسوخة ولم يصلوا إلى القبلة الثانية الناسخة ، وذلك لما روي: أنه عليه السلام لما وجه إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من إخواننا فنزلت إن الله بالناس لرؤوف رحيم فلا يضيع أجورهم ولا

---

1. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٣٥٤ .

يدع صلاحهم ، يرد ويوضح بأسلوب فذ وواضح ، فيقول عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [1] : " وما كان الله ليضيع إيمان من مات وهو يصلي إلى القبلة المنسوخة لان الأموات داخلون معهم في الملة فحكمهم واحد ، ولم يرض المصنف بهذين القولين لان الأول تخصيص بلا مخصص ، والثاني تجوز من غير تعذر للحقيقة مع أن ما روي في سبب نزول الآية من أن الذين صلوا إلى البيت المقدس وماتوا قبل تحول القبلة إلى الكعبة ظن عشائرهم أن ضاعت صلاتهم التي صلوها إلى البيت المقدس فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية [2] .

وشيخ زاده هنا يتدخل لكي يستبعد هذا ، ويقول إنه بعيد من العقل لأن الظاهر أن عشائر الذين ماتوا قبل التحول مسلمون يعرفون أن أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم واجب الامتثال . وكيف يخطر ببال المسلم أن يضيع صلاة قوم أدوها امتثالا لأمر الله تعالى وقصدا لطاعته ؟ فإن من مات على طاعة ربه فاعلاً ما أمر به وتاركاً ما نهى عنه، كيف يظن في حقه أنه قد ضاع عمله حتى يسأل عن ذلك ؟ [3] .

ويجلي شيخ زاده الأمر وضوحا ليعود إلى معنى النسخ أصلا كما قال به البيضاوي رحمهما الله تعالى ، فيقول أن غاية الأمر أنه قد نسخ التوجه إلى القبلة الأولى وذلك لا ينافي الائتمار بما أمر الله تعالى به عباده وكلفهم تكليفا صحيحا متضمنا لحكمة ومصلحة ، فإن نسخ الأحكام وتبديلها ليس مبنياً على البداء والغلط ، بل هو بيان لانتهاء الحكم الأول على الصحة والاستقامة وتكليف بحكم ثان كالأول في الصحة والاشتمال على الحكمة والمصلحة ، فكما أن القائم بالحكم الثاني والمعتقد بوجوب الائتمار به مستمسك بالدين محسن في اعتقاده وعمله ، فكذلك القائم بالحكم المنسوخ قبل نسخه والمصدق بحقيته وبوجوب الائتمار به ، ومن هذا حاله لا يضيع أجره [4] .

---

١. سورة البقرة ، الآية (١٤٥) .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٣٦٠ .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٣٦٠

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٣٦٠ .

وأوضح من هذا ما ساقه شيخ زاده في فكه لتعليق البيضاوي في بيان أول ما نسخ من القرآن فحيث يقول البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ : يقول شيخ زاده : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ نسخت هذه الآية ما كان قبلها من التوجه إلى بيت المقدس فصارت الكعبة قبلة المسلمين إلى يوم ينفخ في الصور ، والمشهور أن التوجه إلى بيت المقدس إنما صار منسوخاً بالأمر بالتوجه إلى الكعبة ، وقيل : إنه صار منسوخاً بقوله تعالى : ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] ، فإنه يقتضي كون المصلي مخيراً في التوجه إلى أي جهة شاء ، فيكون ناسخاً لحكم التوجه إلى جهة معينة ، ثم إن آية التخيير صارت منسوخة بقوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [2] ، احتجاجاً بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أمر القبلة أول ما نسخ من القرآن والأمر بالتوجه إلى بيت المقدس غير مذكور في القرآن بل مذكور في القرآن قوله تعالى : ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾فوجب أن يكون قوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ناسخاً لذلك الأمر ، وذكر شمس الدين الفناري نور الله مرقده المنير في تفسير الفاتحة : إن أول ما نسخ من المنسوخات هو خمسون صلاة نسخت إلى خمس للتخفيف حين طلبه صلى الله عليه وسلم بإلقاء موسى عليه السلام إليه ذلك الطلب ، ثم تحويل القبلة إلى بيت المقدس بمكة امتحانا للمشركين بعد أن

١. سورة البقرة ، الآية (١١٥) .

٢. سورة البقرة، الآية (١٤٤).

كان للمصلي أن يتوجه حيث شاء لقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ، ثم تحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة بالمدينة امتهاناً لليهود ، والله تعالى أعلم [1] .

فانظر إلى هذا التفصيل المفيد وتلك الزيادة الجديدة والزخم العلمي في كلام شيخنا شيخ زاده ، وبالله عليك قل لي إن لم يكن هذا هو الاستدراك فماذا عساه يكون ؟ .

وعند قوله تعالى: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [2] ، لم يزد الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى على أن يقول في تفسيره لهذا الجزء من الآية الكريمة إلا قوله : " أي بما هو خير للعباد في النفع والثواب، أو مثلها في الثواب " [3] .

ولنقف موقف الإعجاب والاحترام استمع إلى توضيح وشرح شيخ زاده على كلام شيخه الإمام ، يقول شيخنا : " قوله بما هو خير للعباد يعني أن تفضيل الآيات بعضها على بعض ليس بحسب أنفسها وألفاظها لان الآيات كلها كلام الله ووحيه وكتابه بل التفاضل فيها إنما هو بحسب ما يحصل منها للعباد في الآخرة أو في الدنيا أو فيهما ، وقال القرطبي : والمعنى بأنفع لكم أيها الناس في عاجل إن كانت الناسخة أخف، وفي آجل إن كانت أثقل، وبمثلها إن كانت مستوية، انتهى كلامه ، والحاصل أن النسخ قد يكون بأخف من الأول كنسخ الاعتداد بحول ونقله إلى الاعتداد بأربعة أشهر وعشر ، وكنسخ فرض قيام الليل إلى التهجد ، وقد يكون بمثله كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة ، وقد يكون بأشق منه على البدل كنسخ ترك القتال بإيجابه ، وكنسخ الإيذاء الذي هو الحد في الزنا بإمساكهن في البيوت ثم صار ذلك أيضا منسوخاً بالجلد ، ومثل هذا الناسخ وإن كان أشق من المنسوخ إلا أنه أكثر أجراً في حق من كلف به ، قال الإمام : قوله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ فيه قولان : أحدهما أنه الأخف ، والثاني أنه الأصلح لحق كان بها ، والثاني أولى لأنه تعالى يصرف المكلف عن مصالحه لا على ما هو أخف لطباعه ، فإن قيل : لو كان الثاني أصلح من الأول

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٣٦٧ .

٢. سورة البقرة ، الآية (١٠٦) .

٣. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، انوار التنزيل واسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ٩٩ .

لكان الأول ناقص الصلاح ، فكيف أمر الله به ؟ ، قلنا: الأول كان أصلح من الثاني بالنسبة إلى الوقت الأول، والثاني على عكس الأول فزال السؤال [1] .

وقد يعترض الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى على القول بالنسخ في آية معينة فتجد شيخ زاده يناقش هذا الاعتراض فإما يوافقه وإما يبدي شرحه وتعليقه واستدراكه على هذا ، من ذلك مثلا عند تفسير البيضاوي رحمه الله لقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [2] ، يقول : " وكان هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث ،وبقوله عليه الصلاة والسلام: " إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث" [3] ، وفيه نظر: لأن آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً ، والحديث من الآحاد، وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر، ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين بقوله يوصيكم الله، أو بإيذاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغنى، ولا يتجاوز الثلث [4] .

وهنا نلاحظ أن البيضاوي رحمه الله لم يقل بالنسخ في هذه الآية بآية المواريث أو بالحديث المذكور ، فهو يقول فيه نظر لإمكانية الجمع بين الآيتين وعدم التعارض من جهة ، ومن باب أن الحديث من الآحاد وعنده أن النسخ لا يقع من خلال حديث آحاد ، خلافاً لرأي الحنفية الذين يجوزون النسخ بالحديث المشهور على اعتبار أن المشهور هو أحد قسمي المتواتر عندهم كما سنرى في تفصيل شيخنا زاده رحمه الله تعالى حيث قال : " وأورد المصنف أن آية المواريث كيف تكون ناسخة لهذه الآية ، ومن شرط النسخ أن يكون الناسخ معارضاً للمنسوخ ومنافياً له بأن لا يمكن العمل بهما ، ولا معارضة ههنا إذ لا يمتنع مع أخذ الوارث حقه من الميراث أن يجب له قدر آخر بالوصية .

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٢ .

٢. سورة البقرة ، الآية (١٨٠) .

٣. البخاري ، صحيح الجامع ، مجلد ١٠ ، ص ١٠٣ ، باب " لا وصية لوارث " حديث رقم ٦٧٣٩ .

٤. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ١٢٣ .

وآية المواريث لاشتمالها على قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [1] ، تؤكد هذه

الآية من حيث دلالتها على تقديم الوصية مطلقا أي سواء كانت للأقرباء أو غيرهم ، وإذ لا منافاة فلا نسخ ، وإن جعلت منسوخة بقوله عليه الصلاة والسلام : " إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث " يرد عليه أن هذا خبر واحد فلا يجوز نسخ القرآن به ، وأجيب عن هذا الإيراد بأن هذا الخبر وإن كان خبر واحد إلا أن الأمة قد تلقته بالقبول ، والمصنف رد هذا الجواب بأن تلقي الأمة إياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر لأن قبولهم إياه على وجه الظن بصحة إسناده لا يخرجه عن كونه خبر الواحد ، وما أجمعوا على أنه خبر واحد كيف يلحق بالمتواتر في جواز نسخ القرآن به ؟ ولو قبلوه على سبيل القطع بصحته مع عدم اعتقادهم أنه من أخبار الآحاد لكانوا أجمعوا على الخطأ وهذا غير جائز" [2] .

وهنا يستدرك شيخ زاده على البيضاوي فيقول : " وقول المصنف : " وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر " في حيز المنع عند الحنفية ، فإنهم يجوزون النسخ بالحديث المشهور ، والمشهور أحد قسمي المتواتر عند أبي يوسف رحمه الله فيجوز نسخ الكتاب به ، والحديث المتواتر الذي اتفق العلماء على قبوله واعتباره في أمر الدين هو ما يرويه جماعة لا يتوهم تواطئهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم [3] .

وشيخنا شيخ زاده يوضح منهجه في قبول النسخ بالحديث المشهور ولو كان آحاداً ، على الرغم من اعتراضه على أن هذا الحديث المروي هنا مما تلقته الأمة بالقبول كما يقول البيضاوي ، فهو يذكر في آخر كلامه في هذا الموضوع [4] إن هذا الحديث لم يتفق عليه العلماء لا سلفاً ولا خلفاً ، فلم يرد له ذكر في البخاري ولا مسلم ولا النسائي ، ولا ذكر أيضاً عند الإمام مالك باعتباره من السلف ، فهو بهذا يقرر مبدأ من مبادئ الحنفية في التعامل مع الناسخ والمنسوخ ، باعتباره واحداً منهم .

---

١. سورة النساء ، الآية (١١) .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ١٤١ .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ١٤١ .

٤. المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٤١ .

وعند الإمام السيوطي رحمه الله أن الخلاف ظاهر في نسخ السنة للقرآن وإن كان له وجه صحة على أصول الحنفية، حيث يجعلون مثل هذا الحديث في حكم المتواتر، ويسمونه المشهور، ويجوزون به نسخ الكتاب [1] .

ونسخ القرآن للسنة قضية لا خلاف فيها وتوافرت الأدلة في ذلك ، ويكفي أن أسوق كلام الإمام البيضاوي رحمه الله في جواز نسخ السنة بالقرآن الكريم ، يقول الإمام رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾[2] : " روي أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا، ثم: أن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم ،وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه، فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت ، ثم يقول : فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه، وعفا عنكم ومحا عنكم أثره ، فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن" [3] .

وقال مثل ذلك عند قوله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [4]،فقد قال الإمام رحمه الله تعالى : " وقال النحاس: هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقرآن " [5] .

فنسخ القرآن للسنة ليست محل بحث وخلاف ، إنما القول بنسخ السنة للقرآن هو مثار الخلاف والنقاش ، وقد عددت أقوال العلماء في المراد بخير منها أو مثلها في قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6] وكانت نقطة النقاش

١. السيوطي ، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، مجلد ٢ ، ٣٧١ .

٢. سورة البقرة ، الآية (١٨٧) .

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ٣١٤ .

٤. سورة الأحزاب ، الآية (٥) .

٥. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٤ ، ص ١١٩ .

٦. سورة البقرة ، الآية (٦) .

هنا ؛ هل السنة مثل القرآن أو خير منه ، فمن قال أن مصدر القرآن والسنة واحد لم يثبت فرقاً ،وبالتالي أجاز إن صحت رواية السنة وثبت نقلها بالأسانيد المتصلة التي توافرت فيها الشروط المعتبرة ، أجاز نسخ السنة للقرآن ، ومن فرّق بينهما فإنه لا يرى الجواز .

ومسألة رجم الزاني المحصن بدل جلده، ومسألة لا وصية لوارث، وتحريم كل ذي ناب من السباع أمثلة دار بين العلماء حوار قيم بشأن إثبات أو نفي نسخ السنة للقرآن، وهذا ما سأتعرض لبيانه في القادم من الدراسة، بإذن الله تعالى.

وقد ذهب بعض العلماء إلى جواز نسخ الكتاب بالسنة، واستشهدوا لذلك بقوله تعالى:

﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾[1] ،فقالوا: إن الحكم في هذه الآية منسوخ بقوله - صلى الله عليه وسلم - " خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، الثيب ترجم والبكر تجلد" .

يقول أبو شوفه رحمه الله في كتابه القيم المعجزة القرآنية : " جواز نسخ القرآن بالسنة قال به المالكية والحنفية والأشاعرة والمعتزلة ولم يجزه الشافعية والحنابلة في أحد القولين وأهل الظاهر ولكل أدلته ، فرجم الزاني المحصن جاء بالسنة ناسخاً حكم جلده الوارد بالآية الكريمة :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ،وردّ عليهم أن هذا تخصيص لا نسخ.

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾[3] ، منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلّم: " لا وصية لوارث" ،وردّ على ذلك بأن الناسخ آيات المواريث وليس الحديث .

---

١ . سورة النساء ، الآية (١٤) .

٢ . سورة النور ، الآية (٢٤) .

٣ . سورة البقرة ، الآية (١٨٠) .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [1] .

قيل:منسوخ بقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: " خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم" [2].

وردّ عليهم بأن هذا تخصيصٌ لا نسخ لأن حكم الآية إلى أمد ، وهو قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾، وقيل على فرض النسخ فالناسخ هو الآية المنسوخة رسماً والباقية حكماً وهي " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة" [3] .

وعند قوله تعالى :﴿ قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [4] ، قيل : منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلّم: "يحرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير" [5] ،يقول أبو شوفه : " إن الآية الكريمة لم تتعرض لإباحة ما عدا المذكور بها " [6] .

---

١ . سورة النساء ، الآية (١٥) .

٢. مسلم ، صحيح مسلم ، باب حد الزنى ، مجلد ٣ ، ص ١٣١٦ ، حديث رقم ١٦٩٠ .

٣. الألباني ، محمد ناصر الدين ، السلسلة الصحيحة ، مجلد ٢ ، ص ٨١ ، أول الكتاب ، حديث رقم ٢٠٦٧ .

٤ . سورة الأنعام ، الآية (١٤٥) .

٥. رواه مسلم ، المسند الصحيح ، مجلد ٣ ، ص ١٥٣ ، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، حديث رقم ١٩٣٤ .

٦ . أبو شوفه ، أحمد عمر ،المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ، الناشر: دار الكتب الوطنية – ليبيا ،عام النشر: ٢٠٠٣ ، مجلد ١ ، ص ٢٦٣ .

ولا بد من بيان معنى التخصيص للتفريق بينه وبين النسخ لفهم ما مر من مسائل ، يقول العلامة الفاضل عبد الجواد خلف ، حفظه الله ورعاه ، في هذه المسألة : " معنى التخصيص: هو أن تقصر الحكم على بعض الأفراد دون الجميع، أو هو:قصر العام على بعض أفراده ، والتداخل هنا أن الذين توهموا أن النسخ يؤدى إلى البداء- بزعمهم- اخترعوا القول بالتخصيص للتخلص بدلا" من القول بالنسخ، أي أن ما وقع في القرآن من الآيات الناسخة إنما هي مخصصة للعموم في ما ظنّ أنه منسوخ.

وهذا خلط تماما" بين النسخ والتخصيص، والتخصيص أبدا" لا يقوم مقام النسخ ولا يسد مسده " [1] .

ولابن البارزي الحموي رحمه الله توجيه لكل ما سبق، فهو يقول : " نسخ الكتاب بالسنة جائز عند أبي حنيفة ممتنع عند الشافعي رحمهما الله فإن احتج الحنفي بأن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [3] ،رفع بقوله صلى الله عليه وسلم :" لا وصية لوارث " وبأن قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ [4] ، رفع عمومه بقوله صلى الله عليه وسلم : " أحلت لنا ميتتان و دمان السمك والجراد والكبد والطحال " [5] ، وبأن قوله تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [6] ،رفع بقوله صلى الله عليه وسلم : " الثيب بثيب جلد مائة ورجم والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام " ، أجاب الشافعي رحمه الله عن الأول بأن

---

١. عبد الجواد، عبد الجواد خلف محمد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، الناشر: دار البيان – القاهرة، مجلد ١ ، ص ٢١٣ .

٢. سورة البقرة ، الآية (٢٤٠) .

٣. سورة البقرة ، الآية (١٨٠) .

٤. سورة المائدة، الآية (٣).

٥. الألباني ، محمد ناصر الدين ، السلسلة الصحيحة ، مجلد ٢ ، ص٢١٦ ، أول الكتاب ، حديث رقم ٢٦٠٧ .

٦. سورة النساء ، الآية (١٥) .

الوصية للوارث نسخ بقوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ [1] ،وعن الثاني بأن تحريم الميتة والدم رفع عمومه بتحليل السمك والجراد والكبد والطحال من الله لا من رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه قال : أحلت لنا ولم يقل : أحلت لكم ، وفي هذا الجواب نظر ، وعن الثالث بأن إمساكهن في البيوت نسخ بقوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [2] ، [3]

.

وعند قوله تعالى: ﴿ أَيّاماً مَعْدُوداتٍ ﴾ [4] ، يقول الإمام البيضاوي إن المراد بها رمضان أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به، وهو عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر[5] .

في حين يرى شيخنا شيخ زاده أنه لا وجه لحمله على غيره وإثبات النسخ فيه ، فيقول : " قوله : والمراد بها أي بالأيام المعدودات ، أختلف في هذه الأيام : فقال بعضهم : إنها غير رمضان على اعتبار أن صوم رمضان نسخ كل صوم ، فإنه يدل على أنه قبل وجوبه كان صوم آخر واجباً ، واختلف في تعيين الواقعة في غير رمضان ، قيل : هي ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عاشوراء ، وقال أكثر المحققين : إن المراد بها شهر رمضان بناءً على أنه تعالى قال في أول الآية :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ وهذا محتمل ليوم ويومين وأيام ، ثم بينه بقوله تعالى : ﴿ أَيّاماً مَعْدُوداتٍ ﴾ فزال بعض الاحتمال .

---

١. سورة النساء ، الآية (١١) .

٢. سورة النور ، الآية (٢) .

٣ . البارزي ،هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن الجهنمي الحموي (المتوفى : ٧٣٨هـ) ،ناسخ القرآن العزيز ومنسوخة ، مجلد ١ ، ص ١٢ .

٤. سورة البقرة ، الآية (١٨٤) .

٥. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ١٢٤ .

ثم بينه بقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [1] ، فعلى هذا الترتيب

يمكن أن تجعل الأيام المعدودات بعينها ، ثم قال : فإن أمكن ذلك فلا وجه لحمله على غيره وإثبات النسخ فيه لأن كل زيادة لا يدل اللفظ عليها لا يجوز أن يقال بها ، وإنما والتمسك بالقول بأن صوم رمضان نسخ كل صوم ،يجاب عليه بأنه ليس فيه ما يدل على أن صوم رمضان نسخ من الصوم ما أوجبه الله تعالى على هذه الأمة لجواز أن يكون شرعه ناسخاً للشرائع المتقدمة [2] .

وانظر أيضاً إلى شيخ زاده رحمه الله كيف يتوسع في تحشيته على كلام إمامه رحمهما الله تعالى ، فيكتفي في كثير من الأحيان أن يذكر كلمة واحدة فيقول : إن هذه الآية مثلاً منسوخة ، ثم يأتي دور شيخ زاده ليفك رموز هذه الكلمة فيأتي بالتوضيح والأدلة والشواهد ، ومثال واضح على ذلك ، عند تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله لقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً ﴾ [3] ، يقول البيضاوي رحمه الله

بعد أن روى أن الآية نزلت في الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق شرح المدينة ، يقول : وعلى هذا فالآية منسوخة [4] .

ويعلق شيخ زاده رحمه الله تعالى على كلام البيضاوي فيقول : " فعلى هذا تكون الآية منسوخة ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ [5] ، يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام ، وذلك منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [6] ،

---

١. سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

٢. انظر : شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٤٤٦ .

٣. سورة المائدة ، الآية (٣) .

٤. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٣ ، ص ٤٦٨ .

٥. سورة المائدة ، الآية (٢) .

٦. سورة التوبة ، الآية (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ يقتضي حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام ،

وذلك منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [1] ، وهو قول كثير من

المفسرين ، حتى قال الشعبي : لم ينسخ من سورة المائدة إلا هذه الآية " [2] .

ويستدرك شيخ زاده على البيضاوي رحمهما الله تعالى في القول بنسخ وراثة الحليف للسدس من مال حليفه ، حيث يقول البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾ [3] .

كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾ [4] .

أقول: يستدرك شيخ زاده هنا على البيضاوي فيفصل بقوله: " والآية منسوخة في حق من له وارث قريب، وغير منسوخة في حق من لا وارث له " [5] .

وقد حث الله تعالى أهل الميراث أنه إذا حضر قسمة الميراث من اليتامى والمساكين ومن غير من يجب لهم الميراث أن يرزقوهم منه ويقولوا لهم قولاً معروفاً دون منّ ولا أذى.

وقد ناقش العلماء عموماً والمفسرون خصوصاً هذه المسألة فمن قائل بوجوب إعطاء اليتامى والمساكين حظاً من الميراث ومن قال بالندب، ومن قائل بنسخ هذه الآية، ومنهم من اعترض على نسخها.

---

١. سورة التوبة ، الآية (٢٨) .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٤٤٦ .

٣. سورة النساء ، الآية (٣٣) .

٤. سورة الأنفال ، الآية (٧٦) .

٥. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٣ ، ص ٣١٣ .

و هنا أستعرض ما قاله الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى في هذه المسألة وما رجحه فيها، ثم وعلى منهجي في هذه الدراسة أعرض ما قاله شيخ زاده لبيان الاستدراك – إن وجد – في هذه المسألة الهامة.

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[1] ،يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى : " وإذا حضر القسمة أولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ،فأعطوهم شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم ، وتصدقاً عليهم، وهو أمر ندب للبالغ من الورثة، وقيل أمر وجوب، ثم اختلف في نسخه ،وقولوا لهم قولا معروفا وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم" [2] .

والإمام البيضاوي رحمه الله لا يقطع في هذه المسألة برأي – هنا على الأقل – غير أنه يقدم أن الأمر للندب ،باعتبار تقديمه في الذكر من جهة ،وباعتبار ذكره على سبيل التقرير من جهة أخرى ،حيث يقول أن الأمر أمر ندب للبالغ من الورثة، ثم يذكر الآراء الأخرى في المسألة فيقول : وقيل ، ثم اختلف في نسخه.

ومما يدعم هذا القول ما أثبته الإمام البيضاوي رحمه الله عند شرحه للآية التالية لهذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾[3] ، فهو يقول كلاماً قيماً يؤكد فيه على خلق العطاء والإنفاق في سبيل الله تعالى ،وأن الله تعالى حث الوارث المالك للمال على التصدق على اولئك الذين يحضرون القسمة ، على اعتبار أن لهم أولاداً قد يقفون مثل هذا الموقف ، أفلا يحبون أن ينفق عليهم ؟ ، يقول رحمه الله : " وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ، أمرٌ للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى ، فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب

١. سورة النساء ، الآية (٨) .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ٦١ .

٣. سورة النساء ، الآية (٩) .

واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون حرمانهم، وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع، وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه، وبعث على الترحم ،وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده ، وتهديد للمخالف بحال أولاده " [1] .

والقول بالندب مما يؤيده شيخ زاده بشكل واضح ويؤكد على كلام البيضاوي رحمه الله تعالى ، فهو يقول إنه لا جرم أمر ندب وأن قوله " منه " أي فأعطوهم شيئاً من المقسوم " صح هذا التفسير ، سواء جعل ضمير " منه " لما ترك أو للمال المقسوم ، فإن الذين لا يرثون من الأقارب وكذا الأيتام والمساكين إذا حضروا وقت القسمة فإن تركوا محرومين بالكلية ثقل عليهم ذلك - والكلام لشيخ زاده - فلا جرم أمر الله سبحانه أمر ندب بتطييب قلوبهم بأن يدفع إليهم شيء من المال المقسوم ويلطف لهم القول" [2] .

وعند تعرضه لهذه المسألة فقد أيد ابن عاشور رحمه الله في تحريره وتنويره أن الأمر للندب لا للوجوب ، وأن جمهور العلماء يرون ذلك ، وأن الآية الكريمة منسوخة بآية المواريث إذا قلنا بالوجوب، وإلا فإن كانت للندب فلا نسخ وهو أمر لتطييب النفوس ،يقول رحمه الله : " وهذا أمر بعطية تعطى من الأموال الموروثة: أمر الورثة أن يسهموا لمن لم يحضر القسمة من ذوي قرابتهم غير الذين لهم حق في الإرث، ممن شأنهم أن يحضروا مجالس الفصل بين الأقرباء والأمر في قوله : ﴿ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ محمول عند جمهور أهل العلم على الندب من أول الأمر ، وبهذا قال مالك وأبو حنيفة وفقهاء الأمصار، وجعلوا المخاطب بقوله ﴿ فَارْزُقُوهُمْ ﴾ الورثة المالكين أمر أنفسهم، والآية عند هؤلاء محكمة غير منسوخة،

وذهب فريق من أهل العلم إلى حمل الأمر بقوله :﴿ فَارْزُقُوهُمْ ﴾ على الوجوب، فعن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والزهري، وعطاء، والحسن، والشعبي: أن ذلك حق واجب على الورثة المالكين أمر أنفسهم المخاطبون بقوله : ﴿ فَارْزُقُوهُمْ ﴾ وعن ابن عباس، وأبي موسى

---

١. انظر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ٦٢ .

٢. انظر : شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ،مجلد٣ ، ص ٢٦٨ .

الأشعري، وسعيد بن المسيب: وأبي صالح: أن ذلك كان فرضاً قبل نزول آية المواريث، ثم نسخ بآية المواريث، ومآل هذا القول إلى موافقة قول الجمهور أهل العلم ،وعن ابن عباس أيضاً ، وزيد بن أسلم: أن الأمر موجه إلى صاحب المال في الوصية التي كانت مفروضة قبل شرع الميراث واجب عليه أن يجعل في وصيته شيئاً لمن يحضر وصيته من أولي القربى واليتامى والمساكين من الذين أوصى لهم، وأن ذلك نسخ تبعاً لنسخ وجوب الوصية، وهذا يقتضي تأويل قوله: ﴿ الْقِسْمَةَ ﴾ بمعنى تعيين ما لكل موصى له من مقدار ،وعن سعيد بن جبير: إن الآية في نفس الميراث وأن المقصود منها هو قوله : ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[1] قال: فقوله: ﴿ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ هو الميراث نفسه ،وقوله :﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾ أي قولاً لغير الورثة بأن يقال لهم إن الله قسم المواريث ،وقد علمت أن موقع الآية تمهيد لتفصيل الفرائض، وأن ما ذهب إليه جمهور أهل العلم هو التأويل الصحيح للآية" [2] .

والقول بالندب كما تبين هو الأقرب للصواب من القول بالوجوب، والأمر مندفع بتحقيق مصالح العباد وأن الميراث له أحكامه ومصارفه المحددة والمقررة تحقيقاً لما فيه خير العباد من لدن حكيم خبير.

وقد ذكر الإمام القرطبي من قبل تحقيق هذه المسالة ورجح أن هذه الآية محكمة وأن لا نسخ فيها ، وأن الأمر فيها للندب أرجح من أن يكون للوجوب ، وقد عرض رحمه الله أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء ، ملخص كلامه أن الله تعالى بين أن من لم يستحق شيئاً إرثاً وحضر القسمة ، وكان من الأقارب أو اليتامى والفقراء الذين لا يرثون أن يكرموا ولا يحرموا ، إن كان المال كثيراً ؛ والاعتذار إليهم إن كان عقاراً أو قليلاً وإن كان عطاءً من القليل ففيه أجر عظيم ؛ فرب درهم سبق مائة ألف ، فالآية على هذا القول محكمة ، وروى أيضاً أنها منسوخة،نسخها قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [3] ،وقال سعيد بن

---

١. سورة النساء ، الآية (٨) .

٢. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مجلد ٤، ص ٣٩.

٣. سورة النساء، ، الآية (٥) .

المسيب : نسختها آية الميراث والوصية ، وممن قال إنها منسوخة أبو مالك وعكرمة والضحاك ، والأول أصح ؛ فإنها مبينة استحقاق الورثة لنصيبهم ، واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم، قال ابن جبير : ضيع الناس هذه الآية. قال الحسن : ولكن الناس شحوا، وفي البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ ﴾ قال : "هي محكمة وليست بمنسوخة"، وفي رواية قال : "إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت ، لا والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها ؛ هما واليان : وال يرث وذلك الذي يرزق ، ووال لا يرث وذلك الذي يقول بالمعروف ، ويقول : لا أملك لك أن أعطيك" [1] ، قال ابن عباس : "أمر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم ، وأيتامهم ومساكينهم من الوصية ، فإن لم تكن وصية وصل لهم من الميراث" ، قال النحاس : فهذا أحسن ما قيل في الآية ، أن يكون على الندب والترغيب في فعل الخير ، والشكر لله عز وجل" [2] .

وقد أخذ شيخ زاده رحمه الله على شيخه الإمام البيضاوي أنه لم يفرق بين زواج المتعة والنكاح المؤقت ، فعند تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله لقوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [3] ، يقول : " فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات، أو فما استمعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن. فآتوهن أجورهن مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع" [4] .

---

١. البخاري ، صحيح الجامع ، مجلد ٤ ، ص ١٠ ، ١٨ باب قول الله تعالى : {وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه} حديث رقم ٢٧٥٩ .

٢. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القران ، مجلد ٥ ، ص ٤٩ .

٣. سورة النساء ، الآية (٢٤) .

٤. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ٦٩ .

وبالفعل فإن كلام البيضاوي رحمه الله هنا يساوي بين المتعة المدفوعة الأجر وبين المعقود عليها ، وهناك فرق ، فبعد أن ذكر شيخ زاده وجوه التمتع في المنكوحات والتي هي عند الإمام الشافعي رحمه الله ، وجهان : الجماع وعقد النكاح عليهن ، وعند أبي حنيفة رحمه الله ثلاثة أوجه بإضافة الخلوة الصحيحة فإنها تقرر المهر عندهم ، يقول شيخ زاده رحمه الله مستدركاً : " وصورة النكاح المؤقت أن يتزوج رجل إمرأة بلفظ النكاح أو ما يقوم مقامه إلى مدة معلومة وهو في حكم المتعة في البطلان لأن توقيت النكاح لم يثبت في الشريعة وما لم يكن مشروعاً فهو باطل ، ولذلك لم يفرق المصنف بينهما "[١].

يقول شيخ زاده أن قوله تعالى :﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾[٢] نزل لبيان حكم النكاح الصحيح وهو قول أكثر العلماء لا لاباحة نكاح المتعة "[٣].

وصورة نكاح المتعة كما قال شيخ زاده رحمه الله: " أن يقول الرجل لامرأة : متعيني نفسك على عشرة دراهم مثلاً في مدة معلومة ، فتقول : متعتك نفسي ، ولا بد فيه من ذكر لفظ التمتع ، واتفقوا على أن النكاح بهذه الصورة كان مباحاً ثم نسخ "[٤].

وجمهور العلماء من أهل السنة على حرمة نكاح المتعة بخلاف الروافض ممن يدعون نسبتهم لآل البيت ، فهؤلاء الشيعة يتجرؤون على الأحكام الشرعية الكثيرة وهذه واحدة منها ، فهم يقولون بإباحة نكاح المتعة على إطلاقها وأنه ما زال يعمل بها وسيعمل بها كحكم ثابت في نظرهم من أحكام الشريعة الإسلامية الغراء .

و هنا فلست بصدد مناقشة أقوال المبيحين أو المحرمين لنكاح المتعة، ولكن من الضرورة بمكان أن أسوق القول الفصل بهذه المسألة – باختصار - من خلال أقوال بعض العلماء ولو على جناح السرعة.

وقبل البدء لا بد من الإشارة إلى أن هذا الموضوع أقصد نكاح المتعة من الأهمية بمكان ، لأنه بات اليوم مطروقاً أكثر من أي وقت مضى لاتساع رقعة العالم الإسلامي من

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٣٠٠ .

٢. سورة النساء ، الآية (٢٤) .

٣. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤، ص ٣٠٠.

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٣٠٠ .

جهة ولاغتراب الكثير من المسلمين في البلاد غير الإسلامية ، تلك البلاد التي ينتشر فيها الفسق والفجور والزنا ، فكان من الضروري البت في الحكم الشرعي لهذه المسألة الهامة .

ومن المقرر – كما ذكرت – أن الخلاف قد نشب بين أهل السنة والجماعة من جهة ، وأولئك الروافض الذين اصطلح على تسميتهم بالشيعة من جهة ثانية ، وكان منبع الخلاف في القول بالنسخ لهذه الصورة من النكاح حيث كان معمولاً به في بداية الأمر – كم مر سابقاً – وخاصة بعد فتح مكة .

والعلماء من أهل السنة يقولون بالإجماع بنسخ نكاح المتعة بدليل القرآن والسنة والإجماع، في حين يتشبث الشيعة بعدم النسخ فيه وأنه باقٍ والذي حرمه هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتهاداً منه.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في الجامع لأحكام القرآن : " قال ابن خويز منداد: ولا يجوز أن تحمل الآية على جواز المتعة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وحرّمه، ولأن الله تعالى قال: ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾[1] ، ومعلوم أن النكاح بإذن الأهلين هو النكاح الشرعي بولي وشاهدين، ونكاح المتعة ليس كذلك ، وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، وقرأ ابن عباس وأبي وابن جبير ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ثم نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه : " نسختها آية الميراث، إذ كانت المتعة لا ميراث فيها ، وقالت عائشة والقاسم بن محمد: تحريمها ونسخها في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

---

١. سورة النساء ، الآية (٢٥) .

حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [1] ، " وليست المتعة نكاحاً ولا ملك يمين، وعن ابن مسعود قال: المتعة منسوخة نسخها الطلاق والعدة والميراث" [2] .

وقد ساق صاحب التحرير والتنوير رحمه الله اختلاف العلماء في هذه المسألة فبعد أن ساق روايات كل فريق من القائلين بالإباحة أو التحريم ، واستقرار الأمر فيها إلى التحريم من عدمه ، يذكر رحمه الله أن الذي استخلصه من هذه الروايات أن فيها اضطراباً كبيراً ، وأن الجمهور إلى أن الأمر استقر على تحريمه .

ولكن لا يتفق في النهاية ابن عاشور مع جمهور العلماء رحمهم الله جميعاً ليحكم بإباحة نكاح المتعة ، وعنده أن ذلك مباح للضرورة ،واشترط لذلك شروطاً ، ليس المجال ذكرها هنا ، غير أني أرى أن القول بتحريم جمهور العلماء لنكاح المتعة هو الأقرب والأصوب ، وأن كلام ابن عاشور مجانب للصواب ،لأن نكاح المتعة غير منسجمٍ مع روح هذا الدين من جهة ومن جهة أخرى مخالفة نكاح المتعة للغرض الأساس من الزواج .

يقول ابن عاشور رحمه الله ما نصه : " والذي يستخلص من مختلف الأخبار أن المتعة أذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين، ونهى عنها مرتين، والذي يفهم من ذلك أن ليس ذلك بنسخ مكرر ولكنه إناطة إباحتها بحال الاضطرار، فاشتبه على الرواة تحقيق عذر الرخصة بأنه نسخ ، وقد ثبت أن الناس استمتعوا في زمن أبي بكر، وعمر، ثم نهى عنها عمر في آخر خلافته، والذي استخلصناه في حكم نكاح المتعة – والكلام لابن عاشور - أنه جائز عند الضرورة الداعية إلى تأجيل مدة العصمة، مثل الغربة في سفر أو غزو إذا لم تكن مع الرجل زوجه ، وأرجح الأقوال أنها رخصة للمسافر ونحوه من أحوال الضرورات" [3] .

---

١. سورة المعارج ، الآية (٢٩ – ٣٠) .

٢. القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة: الثانية، ١٩٦٤ م ، مجلد ٥ ، ص ١٣٠ .

٣. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ، مجلد ٤ ، ص ٨٨ .

ورحم الله تعالى سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه لولا أنه نهى عن المتعة، لصار الزنا جهارا [1] .

وفي البخاري بسنده أن عليا رضي الله عنه، قال لابن عباس: " إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية، زمن خيبر" [2] .

وفي صحيح البخاري أيضا أن سيدنا علي رضي الله عنه ذكر أنه منسوخ – أي نكاح المتعة - حيث يروي البخاري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيما رجل وامرأة توافقا، فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا تزايدا ، أو يتتاركا تتاركا" فما أدري أشيء كان لنا خاصة أم للناس عامة، قال أبو عبد الله: «وبينه علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ " [3] .

وبالجملة فإنني أوافق صاحب زهرة التفاسير عند وقوفه على قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [4] ، بأن في هذا إشارة إلى هؤلاء الذين يبتغون غير الحلال، والإشارة إلى الموصوف بصفة فيها بيان أن هذه هي علة الحكم، والحكم أنهم عادون، أي ظالمون ومتجاوزون، فقد تجاوزوا حد الحلال وهو واسع: يجوز زواج أربع، والتسري بمن يشاء من الإماء، وهو ظالم لنفسه بارتكاب الحرام، وظالم لنسله، وظالم للمجتمع، والظلم مرتعه وخيم، ولا شك أن نكاح المتعة مما وراء ذلك؛ لأنها ليست زواجا، ولا ملك يمين، وبها احتجت

١. إبن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، المحقق: كمال يوسف الحوت ،الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، مجلد ٣ ، ص ٣٥٥ .

٢. البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، مجلد ٧ ، ص ١٢ ، حديث رقم ٥١١٥ .

٣. البخاري، الجامع المسند الصحيح، مجلد ٧ ، ص ١٣ ، حديث رقم ٥١١٩ .

٤. سورة المؤمنون ، الآية (٧) ، وسورة المعارج ، الآية (٣١) .

عائشة على ابن عباس رضي الله عنهما ، وأخطأ الزمخشري ومن تبعه إذ عدها زواجاً، وما هي بزواج، وما سماها أحدٌ من السلف زواجاً[1] .

وأجد أن من الضرورة التطرق إلى قضية مهمة وهي قضية الرجم للزاني المحصن،وتكمن الأهمية في طرحها من جهتين : أولاً أن لها علاقة مباشرة بموضوع النسخ ، فقد اختلط الأمر على الكثيرين وكثر اللغط فيها ، وثانياً : هي قضية قديمة حديثة متجددة يجد فيها الطاعنون الحاقدون فرصة لتوجيه السهام وإثارة الفتن .

وقد ذكرت عند الحديث عن النسخ أنه على ثلاثة أقسام ، وكان القسم الثاني منها : نسخ التلاوة دون الحكم ، وقد ضربت مثلاً لذلك في موضعه " آية الرجم " ، وقد وعدت أن أفصّل في هذه المسألة ، فكما روي : كان مما يتلى عليكم في كتاب الله : { الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة } ، وروي عن عمر رضي الله عنه قال : " كنا نقرأ سورة تعدل سورة الأحزاب بسورة البقرة حتى رفع منها آيات منها : { الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم } ، وروي عنه أيضاً أنه قال: " كنا نقرأ: { لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم } ، ومعنى النسخ في مثلها بيان انتهاء التكليف بقراءتها عند نسخ تلاوتها، وهذا عين ما ذكره البيضاوي رحمه الله عندما ذكر أن معنى النسخ عنده انتهاء العمل بأمر، والبدء بأمر جديد مراعاة لمصلحة العباد.

ومن الضرورة هنا أن أنقل بعض الروايات في مسألة الرجم، وسأقتصر على روايتي البخاري ومسلم لاستحضار هذه المسألة قبل أن أناقشها من حيث التفسير عند البيضاوي وشيخ زاده رحمهما الله تعالى.

ففي رواية البخاري رحمه الله قال : " حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة قد زنيا ، فقال لهم : كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟ قالوا : نحممهما ونضربهما ،فقال : لا تجدون في التوراة الرجم؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئاً ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم ،فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ

[1]. انظر : أبي زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: ١٣٩٤هـ) زهرة التفاسير دار النشر: دار الفكر العربي ، مجلد ١٠ ، ص (٥٠٤ ــ ٥٠٥) .

فرعبت فرجعت إلى خديجة فقلت: دثروني، فنزل جبريل ، وقال: ﴿يا أيها المدثر﴾ ، ولذلك قيل هي أول سورة نزلت "[1] .

ومما قد يشير إلى إن البيضاوي رحمه الله يرجح أن سورة المدثر هي أول ما نزل من القرآن ، ويساعد على هذا الفهم ، أنه لم يات بأقوال أخرى في هذه المسألة ، من جهة ، ومن جهة ثانية لم يذكر شيئاً على سبيل القطع عند تفسيره لسورة العلق التي اختلف العلماء بينها وبين المدثر في تقرير أيهما نزل أولاً .

ويمكن أن يفهم – دون القطع - من كلام البيضاوي رحمه الله ما يشير إلى أن أول الآيات نزولا هي سورة العلق من خلال قوله : " ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه وتعالى نزل أولاً ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته [2] ، كما ذهب إليه الشهاب رحمه الله تعالى في حاشيته ، حيث يقول : " قوله: نزل أوّلاً هذا بناء على أنّ أوّل هذه السورة أوّل نازل كما مرّ فالمراد نزل في أوّل ما أوحي للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وبين وجهه بأنّ أوّل واجب على المكلف معرفة الله تعالى وهذه الآيات دالة عليه والدال على وجوده كونه رباً وعلى فرط قدرته كونه خالقاً وكمال حكمته في جعله علقة المشار به ، وقيل: المراد نزل في أوّل السورة ما يدل على معرفة الله وبعده ما يدل على عبادته "[3] .

ولعل القول الأخر الذي ساقه الشهاب وهو أن المراد نزل في أوّل السورة ما يدل على معرفة الله وبعده ما يدل على عبادته أقرب إلى المعنى الذي أراده البيضاوي رحمه الله تعالى ، وإلا فإن اعتبار أن هذه الآيات هي أول ما نزل من القرآن الكريم هو رأي الشهاب وفهمه، لا ما قال به البيضاوي صراحة ، ويدعم رأيي أن الشهاب رحمه الله لم يجزم بذلك بل ذكر في بداية تحشيته على تفسير هذه السورة اختلاف العلماء في هذه المسألة فقال : " وهي أول سورة نزلت ، وقيل: الفاتحة ، ثم هذه ، وقيل: صدرها أول آية نزلت في غار حراء ،

---

١. انوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي ، مجلد ٥ ، ص ٢٥٩ .

٢. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٣٢٥ .

٣. الخفاجي ، حاشية الشهاب ، مجلد ٨ ، ص ٣٧٨ .

آية الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم ،فقال : ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريباً من حيث توضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يحني عليها يقيها الحجارة " [1].

وفي رواية مسلم رحمه الله قال :" حدثني الحكم بن موسى أبو صالح حدثنا شعيب بن إسحاق أخبرنا عبيد الله عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتي بيهودي ويهودية قد زنيا ،فانطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاء يهود ،فقال : " ما تجدون في التوراة على من زنى ؟ "، قالوا : نسود وجوههما ،ونحملهما ،ونخالف بين وجوههما ،ويطاف بهما ، قال : ﴿ فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين ﴾ ، فجاءوا بها فقرءوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : مره فليرفع يده فرفعها ،فإذا تحتها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه" [2] .

ومن هاتين الروايتين يتبين لنا ثبوت حكم الرجم في الإسلام وهو مما توافق مع حكم التوراة التي لم يطالها التحريف ، وقد حاول اليهود عليهم لعنة الله أن يحرفوها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم إلا إنهم فشلوا ، وقضى الله ما أراد رغم أنف يهود .

واليهود اليوم – وفي كل يوم – يحاولون وبكل ما أوتوا من وسائل وأساليب أن يلصقوا الاتهام بالإسلام وبالمسلمين ، وبأن المسلمين رجعيون وظالمون ففي دينهم قطع اليد للسارق والجلد والرجم للزاني ، والقصاص بالقتل من القاتل المتعمد ، وغير ذلك ، وهم يثيرون الشبه كثيراً فيما يتعلق بأية الرجم ،لذا نقول وبالله التوفيق .

---

١. العيني ، بدر الدين الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ط ٢٠٠٦ م . مجلد ١٢ ، ص ٤٣٢ ، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ، حديث رقم ٩٢٣١

٢. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن القشيري النيسابوري ،الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ،الناشر : دار الجيل بيروت + دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ، مجلد ٥ ، ص ١٢١ ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ، حديث رقم ٤٥٣٣ .

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] : " والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم " [2] .

إذن فالجلد يختص بحكم الزاني غير المحصن ، وهذا بالطبع على العموم فيشمل الزاني المحصن وغير المحصن ، ولكن فعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي نقل إلينا بالتواتر يعتبر حكماً مقطوعاً به ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [3] .

يقول شيخ زاده رحمه الله تعالى شارحاً ومفصلاً لكلام البيضاوي رحمه الله : " قوله : " وهو حكم يخص من ليس بمحصن " يعني أن الآية تتناول جميع الزناة والزواني من المحصن وغيره ، إلا أن ما نقل إلينا بطريق التواتر من أنه صلى الله عليه وسلم رجم من زنى محصناً ، خص الآية بغير المحصن ، فإن تخصيص القرآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقاً ، قال الإمام رحمة الله تعالى عليه : واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك " [4] .

وكما مر في الحديثين السابقين للإمامين الجليلين البخاري ومسلم ،فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ، وقد صدق حدس سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه حين خشي إن تطاول الزمان أن ينسى الناس أو يتناسوا أو حتى يتعدوا في القول ويجتهدوا في

---

١. سورة النور ، الآية (٢) .

٢. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٤، ص٩٨.

٣. سورة الحشر ، الآية (٧) .

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦ ، ص ١٩٠ .

غير موضع الاجتهاد ، خشي إن تطاول الزمان أن يقول الناس أنهم لا يجدون الرجم في كتاب الله ، فلله در عمر رضي الله عنه .

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده قال :حدثني أبو الطاهر وحرملة بن يحيى قالا : حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه سمع عبد الله بن عباس يقول : قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف" [1] .

أما بالنسبة للقول بالنسخ في هذه القضية فإنه لا يلجأ بالقول فيها بالنسخ إلا إذا كان هناك تعارض ولا يمكن الجمع والتوجيه بين الآيات ، ولا يوجد شيء من ذلك هنا فلا يوجد نسخ ، يقول شيخ زاده رحمه الله تعالى : " واعلم أن عقوبة الزنى كانت في أول الإسلام – كما مر سابقاً - أن يحبس إلى أن يموت في حق الثيب ، وأن يؤذى بالكلام في حق البكر ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً، وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ [2] ، ثم نسخ ذلك فجعل حد الثيب على الزنى الرجم وحد البكر الجلد والتغريب " [3] .

وليس التحريف والتزوير بغريب على اليهود والكفار ، فها هم يمرون من أمام النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي قد حمموه وجلدوه ، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، فقال: "

---

١. مسلم ، الصحيح ، مجلد ٥ ، ص ١١٦ ، باب رجم الثيب في الزنا ، حديث رقم ٤٥١٣ .

٢. سورة النساء ، الآية (١٥ – ١٦) .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦ ، ص ١٩٢ .

هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" ، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: " أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قال: لا ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم، والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»، فأمر به فرجم" [1] .

فلولا أن الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهودي وهو من علمائهم الذي أقسم عليه الرسول بما هو معظم عنده لحرف وبدل ، وهو قد صرح بهذا أصلاً ، فانظر إلى جرأتهم على الله ، عليهم لعنة الله .

وللإمام العيني رحمه الله كلاما قيماً في المسألة فعند تناوله للحديث السابق الذي رواه البخاري رحمه الله تعالى ، قال : " اعلم أن العلماء أجمعوا على وجوب حد جلد الزاني البكر مائة ورجم المحصن وهو الثيب ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه ، فإنهم لم يقولوا بالرجم ، واختلفوا في جلد الثيب مع الرجم فقالت طائفة : يجب الجمع بينهما ، فيجلد ثم يرجم ، وبه قال علي بن أبي طالب والحسن البصري وإسحاق ابن راهويه وداود وأهل الظاهر وبعض أصحاب الشافعي وقال جماهير العلماء الواجب : الرجم وحده " [2] .

وفي ختام هذه المسألة فإن الحكمة والمصلحة وما ينفع الناس ويصلح شؤون حياتهم هو في شرع الله تعالى ، فهو الخالق والمدبر والمشرع لهذا الكون وهو وحده الأعلم والأحكم بما يتوافق مع مصلحة العباد ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [4] ، ولا التفات بعد هذا إلى طعن الطاعنين أو مؤامرات الحاقدين .

---

١. مسلم ، الصحيح ، مجلد ٣ ، ص ٣٢٧ ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ، حديث رقم ١٧٠٠ .

٢. العيني ، عمدة القاري ، مجلد ١٢ ، ص ٤٣٦ ، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ، حديث رقم ٦٠ .

٣. سورة الملك ، الآية (١٤) .

٤. سورة المائدة ، الآية (١) .

المبحث الثاني

استدراكاته في أول ما نزل، وآخر ما نزل

ومن علوم القرآن الكريم التي استخدمها الإمام البيضاوي رحمه الله في تفسيره ما يسمى بعلم أول ما نزل وآخر ما نزل.

وقد توقف علماء التفسير كثيراً عند هذا المبحث، وأعني به مبحث أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل، حيث دار خلاف بينهم في تحديد مطلبه.

وهذا من العلوم المهمة التي تعين المسلم على فهم كتاب الله تعالى باعتبار أن علم أول ما نزل وأخر ما نزل يشكل تصوراً على تدرج نزول القرآن القران الكريم ومراعاة أحوال الناس وحاجاتهم ، وبالتالي يعتبر قاعدة مهمة في التعامل مع الآيات التي نزلت أولا باعتبارها تؤسس للمجتمع الإسلامي الناشئ ، وأن أخر ما نزل تشكل التصور النهائي لما يجب أن تكون علية الأمة المسلمة من أنظمة وقواعد وأحكام .

وقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله تعالى اختلاف العلماء [1] في أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم وساق لكل أدلته ، ليس المجال هنا لبسطها واستعراضها ، ولكن في هذا إشارة إلى أن هذا الموضوع يجدر تناوله لنرى رأي العلماء فيه خاصة ما قاله الإمام البيضاوي وما استدركه عليه شيخنا شيخ زاده رحمهما الله تعالى .

فمثلاً ، يذكر الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أن سورة المدثر هي أول سورة نزلت ويوجه ذلك ، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [2] ، أي المتدثر وهو لابس الدثار ، روي أنه عليه الصلاة والسلام قال «كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي فإذا هو على عرش بين السماء والأرض- يعني الملك الذي ناداه -

١. السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مجلد ١ ، ص ١٠٧ .

٢. سورة المدثر ، الآية (١) .

والفاتحة أول سورة نزلت ، وبه جمع بين الحديثين، وقيل: أول ما نزل المدثر، وعليه فلا يفهم على السبيل القطع ، ويترك الأمر لكل ذي لب [1] ،ورحم الله الشهاب .

بل إن الشهاب رحمه الله يصرح أن أول سورة نزلت هي الفاتحة ويرجح هذا القول فهو يقول عند تحشيته على كلام البيضاوي في تفسيره لسورة المدثر ما نصه : " قوله: ولذلك قيل هي أول سورة نزلت أي لما وقع في هذه الرواية فإنها تدل على أنه لم يعرف الوحي وجبريل قبله ووجه تمريضه ظاهر فإنه لا دلالة فيه على أنه أول وحي لأن ارتعاده لرؤيته له على صورة مهيبة لم يرها قبل، وقيل: لغير ذلك على وجوه، في شرح البخاري ولا يجاب عما أورد عليه كما روي من أن أول نازل :﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ بأن هذه أول سورة نزلت بتمامها، وتلك أول آيات نزلت منها لأنه غير مسلم أيضاً لأن أول سورة نزلت سورة الفاتحة كما مر ، واتفاقهم على نزول ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ الآيات في الوليد يقتضي أنها لم تنزل بتمامها إذ هذه الآيات نزلت بعد محاورة، وأمر جرى بعد الدعوة والتحدي فتتأخر عن بدء البعثة [2] .

أما شيخنا شيخ زاده فيستدرك هنا ويوجه في أن هذه السورة – الفاتحة - ليست أول ما نزل ، فيقول : " والظاهر أنها " إقرأ " إلى قوله تعالى : " ما لم يعلم " للأحاديث الصحاح في ذلك ولأنها كانت في حراء ، وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام : لست بقارئ ، فإنه لا يتصور إلا إذا أنزل ذلك أولا ، وإلا لكان الامتناع عنه معصية ،والوجه أن يراد بالسورة في قول من قال أنها أول سورة نزلت كاملة " [3] .

---

١. الخفاجي ، حاشية الشهاب ، مجلد ٨ ، ص ٣٧٨ .

٢. الخفاجي ، حاشية الشهاب ، مجلد ٨ ، ص ٢٦٩ .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٥٦٨ .

والذي أراه أقرب للصواب والمعمول به عند أكثر أهل العلم أن أول ما نزل من القرآن هي الآيات الأولى الخمس من سورة العلق، وهي قوله تعالى:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ،اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ،عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [1] .

ولست هنا بصدد تحقيق هذه المسألة بقدر ما أنا بحاجة لعرض قول الإمام البيضاوي، واستدراك شيخ زاده عليه، وإلا فإن المسألة بين العلماء محل بحث ونظر.

ومن المفيد هنا أن أنقل كلاماً قيماً لابن حجر رحمه الله صب في صف القائلين بأن هذه الآيات من سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن الكريم ، يقول رحمه الله تعالى : " والحكمة في هذه الأولية أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن ففيها براعة الاستهلال وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله وهذا بخلاف الفن البديعي المسمى العنوان فإنهم عرفوه بأن يأخذ المتكلم في فن فيؤكده بذكر مثال سابق وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن أنها تنحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله وفي هذه الإشارة إلى الأحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا إشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله علم الإنسان ما لم يعلم " [2] .

وبالجملة فإن ابن حجر رحمه الله تعالى يفرق بين الأولية المطلقة والأولية المخصصة ، فيقول : " أول ما نزل سورة المدثر أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي أو مخصوصة بالأمر بالإنذار لا أن المراد أنها أولية مطلقة ،فكأن من قال أول ما نزل إقرأ أراد أولية مطلقة ،ومن قال إنها المدثر أراد بقيد التصريح بالإرسال " [3] .

وقد ساق ابن حجر رحمه الله أقوال العلماء في تحديد أول ما نزل ووجه أقوالهم وذلك عند استعراضه للأحاديث في تفسير سورة المدثر ليصل في النهاية إلى أن أوائل سورة

---

١. سورة العلق ، الآية (١ – ٥) .

٢. ابن حجر ، احمد بن علي ابو الفضل العسقلاني الشافعي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ،الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، مجلد ٨ ، ص ٧١٩ .

٣. ابن حجر ، فتح الباري ، مجلد ٨ ، ص ٦٧٨ .

العلق هي أول ما نزل من القرآن ، أنصح من أراد التوسع في هذه المسألة الرجوع إليه لأهميته [1].

وقد ذكر الأستاذ الفاضل عبد الجواد خلف حفظه الله ورعاه وهو من العلماء المعاصرين تحقيقاً قيماً لهذه المسألة رجح من خلالها أن ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أن أول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [2] ، اختصر كلامه هنا مع النصيحة بالرجوع إليه لتمام الفائدة [3].

يعدد حفظه الله ورعاه الأقوال الأربعة ، فيقول :

القول الأول : أخرج الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «دلائل النبوة». عن عائشة- رضي الله عنها قالت: «أول سورة نزلت من القرآن: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، وصححاه.

القول الثاني : روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن، قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿ يا أيها المدثر ﴾، قلت: أو ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾؟ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " إني جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري نزلت ، فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو- يعني جبريل عليه السلام - فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ، وهذا الحديث صحيح الرواية، ودليل قوى لمن يقول أن أول ما نزل: ﴿ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾.

---

١ . ابن حجر ، فتح الباري ، مجلد ٨ ، ص ٦٧٨ .

٢ . سورة العلق، الآية (١).

٣ . انظر: عبد الجواد، عبد الجواد خلف محمد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، الناشر: دار البيان – القاهرة، مجلد ١، ص ١٧٩.

القول الثالث : أن الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن الكريم وساق لذلك دليلا من حديث الغار إلى ان وصل إلى أن ناداه: يا محمد: قل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ولا الضالين﴾ وهذا حديث مرسل، ورجاله ثقات.

القول الرابع: أن أول ما نزل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾.

وأنه ثبت أن أصحها – والكلام لشيخنا عبد الجواد - هو رواية عائشة- رضي الله عنها- في أن أول ما نزل هو (﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، وهو ما أرجحه لهذه الأدلة جميعها.

وأكثر من ذلك فقد يذكر الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى قولاً ولو على سبيل التعداد للأقوال في المسألة ، نجد أن شيخ زاده رحمه الله تعالى قد استدرك فيه على إمامه ، فقد ذكر البيضاوي عند تفسيره لبدايات سورة المزمل عند قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ [1] ،عدة تفسيرات، فقال : ﴿ يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ أصله المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها، سمي به النبي عليه الصلاة والسلام تهجيناً لما كان عليه ،فإنه كان نائماً، أو مرتعداً مما دهشه من بدء الوحي متزملاً في قطيفة أو تحسيناً له ، إذ روي: أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلفعاً بمرط مفروش على عائشة رضي الله تعالى عنها فنزلت، أو تشبيهاً له في تثاقله بالمتزمل لأنه لم يتمرن بعد في قيام الليل، أو من تزمل الزمل إذا تحمل الحمل أي الذي تحمل أعباء النبوة " [2] .

وقد وقف شيخ زاده رحمه الله عند هذه الرواية ، أقصد رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متلفعاً بمرط مفروش على عائشة رضي الله عنها ، وأن الإمام البيضاوي عد هذا من أسباب النزول ، يقول شيخ زاده : " إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان متزملاً في مرط لعائشة رضي الله عنها وهو يصلي ، قيل فيه : إن هذه السورة مكية وهذه الرواية تدل

---

١. سورة المزمل ، الآية (١) .

٢. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٢٥٥.

على أنها مدنية لأنه عليه الصلاة والسلام لم يبن بها إلا بالمدينة" [1] .

وهذا استدراك لطيف من شيخ زاده رحمه الله فكون هذه السورة من أول ما نزل يمنع أن تكون مدنية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ثابت لم يبن بعائشة إلا بالمدينة أي بعد الهجرة.

غير أن شيخ زاده رحمه الله لم يقف عند هذا الحد فقد أخذ يوجه كلام الإمام البيضاوي رحمه الله توجيها يخرج فيه عن الوهم الذي وصفه به ابن المنير رحمه الله عندما كان يعلق على كلام الزمخشري الذي تابعه البيضاوي رحمه الله في إيراد الحديث هنا ، حيث قال ابن المنير رحمه الله: " هذا وهم فإن هذه السورة مكية، وبناء النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة إنما كان بالمدينة ، وقال بعضهم : هذه السورة من أول ما نزل فنزولها قبل ولادة عائشة بسنين" [2] .

أقول إن شيخ زاده رحمه الله أخذ يوجه كلام البيضاوي فقال مكملاً ما سبق : " واجيب بأنه يجوز أن يكون عليه الصلاة والسلام قد بات في بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة وهي طفلة والباقي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس في الرواية ما يدل على أن هذه الواقعة كانت بعد البناء بها " [3] .

وفي الحقيقة لو أن شيخ زاده رحمه الله تعالى لم يجب عن هذه الرواية بهذا الجواب وبأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتغطى بمرط واحد مع عائشة وهي طفلة ، لكان أولى وأحسن ، والله تعالى أعلم .

وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن تزميل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان هذا بعد فترة من الوحي وليست في بدايات النزول ، فقالت رضي الله عنها : كان مرطاً طوله أربعة عشر ذراعاً نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي " [4] .

---

١. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨، ص ٣٧٣.

٢. ابن المنير، احمد بن محمد الاسكندرى المالكى ، الانتصاف من الكشاف ، الناشر جامعة أم القرى ، مجلد ٢ ، ص ٣٠٦ .

٣. انظر : . شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨، ص ٣٧٣.

٤. الزيلعي ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى : ٧٦٢هـ)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ،المحقق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ،الناشر : دار ابن خزيمة – الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، تفسير سورة المزمل ، مجلد ٤ ، ص ١٠٧ . حديث رقم ١٤١٦ ، قال الزيلعي : قلت غريب .

والمعلوم والمقرر أن سورة المزمل من أول ما نزل ، وليس ثمة من يسأل عن التزميل بعد ، وفي الرواية " وهو يصلي " ولا يتناسب هذا مع السياق الذي نزلت فيه سورة المزمل ، حيث ذكر ابن المنير رحمه الله تبعاً لما سبق أن ذلك كان في بيت خديجة رضي الله تعالى عنها عند ما لقيه جبريل أول مرة ، فبذلك وردت الأحاديث الصحيحة ، والله أعلم " [١] .

وعند الشهاب رحمه الله أنّ هذا الحديث المذكور لم يقع في الكتب الصحيحة كما قاله ابن حجر قال أبو حيان: إنه كذب صريح ، فترك الاشتغال بالقيل والقال فيه هو الصواب" [٢] .

أما قول البيضاوي رحمه الله تعالى أن مناداة النبي صلى الله عليه وسلم بالمزمل تهجيناً له فقد تابع في ذلك جار الله الزمخشري رحمه الله تعالى ، ولا أدري لم فعل رحمه الله تعالى ذلك ، وقد استدرك عليه شيخ زاده رحمه الله بأن ذلك ليس تهجيناً لحاله بل كان تهويناً عليه وتحسيناً لحاله" [٣] ، هذا إذا علمنا أن التهجين يعني التقبيح أو المؤاخذة ، مع الاعتذار للبيضاوي عن أي سوء فهم لكلامه .

وقد أوردت هذا الاستدراك المتعلق بالتفسير هنا لأقارنه مع ما ذكره ابن المنير رحمه الله عند تعليقه على كلام الزمخشري رحمه الله ، حيث علق على كلمة " تهجيناً " ، هذه الكلمة التي أغضبت ابن المنير رحمه الله ، حيث قال : " أما قوله الأول أن نداءه بذلك تهجين للحالة التي ذكر أنه كان عليها واستشهاده بالأبيات المذكورة ، فخطأ وسوء أدب، ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والاحترام : علم بطلان ما تخيله الزمخشري ، فقد قال العلماء : أنه لم يخاطب باسمه نداء ، وأن ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكراماً له وتشريفاً ، فأين نداؤه بصيغة مهجنة ، باسمه ، واستشهاده على ذلك بأبيات قيلت ذماً في جفاة حفاة من الرعاء ، فأنا أبرأ إلى الله من ذلك وأربأ به صلى الله عليه وسلم " [٤] .

١. انظر: ابن المنير ، الانتصاف ، مجلد ٤ ، ص ٢١٤ .

٢. الشهاب ، حاشية الشهاب ، مجلد ٨ ، ص ٢٦٢ .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٣٧٣ .

٤. انظر : ابن المنير ، الانتصاف من الكشاف ، مجلد ٤ ، ص ٣٠١ .

أما بالنسبة لآخر ما نزل من القرآن الكريم فيكاد الإجماع ينعقد على أن قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [1] ، هي آخر آية نزلت من القرآن الكريم .

والمفسرون على أن هذه الآية هي آخر ما نزل بالاتفاق فيما بينهم، إلا إن هناك ثمة نقاش حول قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ [2] ، وبأنها آخر ما نزل .

وفي هذا يسوق إمامنا البيضاوي رحمه الله تعالى رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها آخر آية – أي آية البقرة - نزل بها جبريل عليه السلام وقال : ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة ، وأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عاش بعدها أحداً وعشرين يوماً وقيل أحداً وثمانين يوماً. وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات [3] .

ولم يذكر إمامنا البيضاوي رحمه الله شيئاً بالنسبة لآية المائدة سوى قوله : " إن المراد باليوم ليس يوماً بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية، وقيل أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة حجة الوداع " [4]، وبالتالي لم يشر إلى أنها آخر آية نزلت أو أن ثمة أقوال في هذه المسألة عنده .

وشيخنا شيخ زاده رحمه الله يوافق البيضاوي رحمه الله فيما ذهب إليه من أن آية البقرة هي آخر آية نزولاً ، ولكنه يضيف إضافات تشير إلى آية المائدة بما يزيل الإبهام الذي طرأ ويدفع الخلاف الذي حصل بين العلماء حول هذه المسألة ، وهذا ما لم يفعله البيضاوي رحمه الله ، فيقول شيخ زاده : " قوله :" وعن ابن عباس رضي الله عنهما " ، أنه عليه الصلاة

١. سورة البقرة ، الآية (٢٨١) .

٢. سورة المائدة ، الآية (٣) .

٣. البيضاوي ، عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ١ ، ص ١٦٣ .

٤. البيضاوي ، عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٢ ، ص ١١٥ .

والسلام لما حج نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ [1] ، وهي آية الكلالة ، ثم نزل وهو واقف بعرفة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [2] ، ثم نزل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [3] ، فقال جبرائيل عليه الصلاة والسلام: يا محمد ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة [4] .

هذا الكلام باعتبار أول ما نزل وآخر ما نزل مجملاً أو بشكل عام ، أما على وجه التفصيل فقد أورد العلماء أقوالاً كثيرةً في المخصوصات لأول ما نزل وآخر ما نزل ، فذكروا أول ما نزل في الأحكام ، والمعاملات ، وغير ذلك .

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى إن آخر آية في سورة النساء هي آخر آية نزولاً في الأحكام ، وهي قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [5] .

---

١. سورة النساء ، الآية (١٧٦) .

٢. سورة المائدة ، الآية (٣) .

٣. سورة البقرة ، الآية (٢٨١)

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٦٧٧ .

٥. سورة النساء ، الآية (١٧٦) .

يقول رحمه الله : " روي أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت " [1] ،وهي آخر ما نزل من الأحكام" [2] .

ويستدرك شيخ زاده بتفصيل مفيد في هذه المسألة ، ولا يقف عند القول بأن هذه الآية هي آخر ما نزل من الأحكام فيأتي بروايات أخرى تفيد أن آية الربا هي آخر ما نزل ، فيقول رحمه الله تعالى ما نصه : " قوله " وهي آخر ما نزل في الأحكام " وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آخر آية نزلت : آية الربا ، وآخر سورة نزلت : إذا جاء نصر الله والفتح ، وروي أنه بعدما نزلت سورة النصر عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم عاماً ، ونزلت بعدها براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي بعدها ستة أشهر ، ثم نزل في طرق حجة الوداع : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ .

وقيل : نزلت وهو عليه الصلاة والسلام يتجهز لحجة الوداع فسميت آية الصيف ، لأنها نزلت في الصيف ،ثم نزل وهو عليه الصلاة والسلام واقف بعرفات : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ [3] ،فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً ، ثم

١. رواه الأئمة الستة في كتبهم من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعودني فأغمي علي فتوضأ ثم صب علي من وضوئه فأفقت فقلت يا رسول الله كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ، انظر : المناوي ، الفتح السماوي في تخريج أحاديث القاضي البيضاوي ، مرجع سابق ، مجلد ٢ ، ص ٥٤٤ ، باب سورة النساء ، حديث رقم ٤٢٦ . وانظر الزيلعي ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى : ٧٦٢هـ) ، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ،المحقق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ،الناشر : دار ابن خزيمة – الرياض ،الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، مجلد ١ ،ص ٣٦٩ .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١١٢ .

٣. سورة المائدة ، الآية (٣) .

نزلت آية الربا ، ثم نزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [1] ، فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً ، والله أعلم " [2] .

وعند الشهاب رحمه الله أن قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ هي آخر ما نزل في الأحكام أي هذه الآية آخر آية نزلت متعلقة بالأحكام كما أنّ آخر ما نزل سورة براءة كما ذكره المحدثون" [3] .

---

١. سورة البقرة ، الآية (٢٨١) .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٣ ، ص ٤٥٩ .

٣. الخفاجي ، حاشية الشهاب ، مجلد ٣، ص ٢٠٧.

المبحث الثالث

استدراكاته في المكي والمدني

ساق الإمام السيوطي رحمه الله تعالى كلاماً مهماً على لسان النيسابوري في كتابه القيم " التنبيه على فضل القرآن " عند حديثه عن معرفة المكي والمدني ،هذا نصه : " قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً وما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً والآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكيات في السور المدنية وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة وما نزل مجملا وما نزل مفسراً وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى" [1] .

ولعل التشدد من الإمام النيسابوري رحمه الله تعالى في تحريم التكلم بالتفسير إلا لمن وعى هذه الوجوه جميعاً له وجاهته وصحته ، على اعتبار أن العلم بمجموع هذه العلوم يؤهل صاحبه لتشكيل تصور يكاد يكون الأقرب والأصوب لبيان مراد الله تعالى من كلامه ، طبعاً بحسب الطاقة البشرية .

وقد اعتنى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعرفة المكي من المدني ، وتبعهم في ذلك من جاء بعدهم ممن سار على دربهم بإحسان ، وفي هذا دليل واضح على أهمية هذا العلم ، يقول ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: "وَالله الَّذي لاَ إِلَهَ غَيرُهُ! مَا أُنزِلَت سُورَةٌ من كتَاب الله إلاَّ أَنَا أَعلَمُ أَينَ أُنزِلَت، وَلاَ أُنزِلَت آيَةٌ من كتَاب الله إلاَّ أَنَا أَعلَمُ فيمَ أُنزِلَت، وَلَو أَعلَمُ أَحَدًا أَعلَمَ منّي بكتَاب الله تُبَلِّغُهُ الإبلُ لَرَكبتُ إلَيه" [2] .

١. السيوطي ، الإتقان في علوم القران ، مجلد ١ ، ص ٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم (٥٠٠٢).

وعليه، فعلم المكي والمدني من المباحث المهمة في علوم القرآن الكريم ، والتي تعتبر – على حد علمي - من العلوم الوقفية بمعنى أن لا سبيل إلى معرفتها إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، الذين شهدوا التنزيل وعاصروه ، وهذا يعطي لهذا العلم خصوصية وأهمية واضحة ، وكما قيل: ليس بعد العيان بيان .

مع الإشارة هنا إلى أن لكل من المكي والمدني خصائص يعرف بها ويتميز بها احدهما على الآخر، تقع ضمن فهوم العلماء ومناقشاتهم ، كلها منضبطة بضوابط تجعل هذا العلم على درجة كبيرة من الأهمية .

وأرى أن من الضروري أن أعرج على تعريف المراد بالمكي والمدني عند العلماء حيث أورد الإمام السيوطي رحمه الله تقسيمات العلماء لها إلى ثلاثة أقسام [1] ، أذكرها باختصار ، مع العلم أن من جاء بعده لا يكاد يخرج عن هذه التقسيمات :

أولها : وهو الأشهر – على رأي الإمام السيوطي رحمه الله - أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة .

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة .

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة .

والأشهر بحسب الإمامين الزركشي والسيوطي رحمهما الله هو القول الأول والذي يعتبر الهجرة هو الحد الفاصل بين المكي والمدني ، فما نزل قبل الهجرة مكي ، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني ولو نزل بمكة [2].

ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى أسباب كثيرة إذا ما ذكرنا أن أحداً من الصحابة لم ينص تحديداً على بيان المكي من المدني عوضاً عن عدم التنصيص من الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هذا الأمر، فلم يرد عنه صلى الله عليه وسلم نص صريح في ذلك .

١. السيوطي ، الإتقان في علوم القران ، مجلد ١ ، ص ٣٨ .

٢ .الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١ ص١٨٧. والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١ ص٤٥. وانظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ج١ ص١٩٤.

ومن أهم الكتب التي اعتنت بالمكي والمدني على سبيل الذكر لا الحصر [1] :

١- "نزول القرآن" للضحاك بن مزاحم الهلالي (ت /١٠٤ هـ).

٢- "نزول القرآن" لعكرمة أبي عبد الله القرشي البربري (ت /١٠٥ هـ).

٣- "نزول القرآن" للحسن بن أبي الحسن البصري (ت /١١٠ هـ).

٤- "تنزيل القرآن" لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت /١٢٤ هـ)، مطبوع.

٥- "التنزيل في القرآن " لعلي بن الحسن بن فضال الكوفي (ت /٢٢٤ هـ).

٦- "فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة" لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (ت /٢٩٤ هـ)، مطبوع.

٧- "بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه" لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت /٤٠٠هـ تقريبًا)، وهو من الكتب التي اعتمدت عليها اللجنة التي أشرفت على طباعة "مصحف المدينة النبوية".

٨- "تنزيل القرآن" لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة المقرئ (ت /٤٠٣ هـ تقريبًا)، مخطوط.

٩- "التنزيل وترتيبه" لأبي القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (ت /٤٠٦ هـ)، مخطوط، وهو جزء من كتابه الكبير "التنبيه على فضل علوم القرآن".

١٠- "كتاب المكي والمدني" لمكي بن أبي طالب القيسي (ت /٤٣٧هـ).

١١- "المكي والمدني في القرآن واختلاف المكي والمدني في آية" لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني المقرئ (ت/٤٧٦ هـ).

وكما ذكرت سابقاً فليس المحل هنا بسط الحديث عن المكي والمدني إلا بالقدر المعين على استحضار المعنى العام للمصطلح، وبالقدر المعين على فهم المراد به عند الإمام البيضاوي ووجه استدراك شيخ زاده عليه، رحمهما الله تعالى.

ففي حين يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أن الفاتحة مكية، وقد صح لديه ذلك، فهو يقول: " .... أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، وبالمدينة حين

---

[1] . احمد ، عبد الرزاق حسين ، المكي والمدني في القرآن الكريم ، من منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، مجلد ١ ، ص ٦٣ .

حولت القبلة، وقد صح أنها مكية لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ ، وهو مكي بالنص " [١] .

أقول في حين يقول الإمام البيضاوي هذا ، أشار بهذا التشكيك إلى أنه لم يثبت في ذلك حديث ولا أثر، كما ذكر الإمام السيوطي رحمه الله [٢] ، نجد أن شيخ زاده يوضح عبارة البيضاوي بما ينفي المشكوك فيه ليصل إلى المقطوع به ، فقول الإمام البيضاوي إن صح أنها نزلت بمكة ، ونزلت بالمدينة ، يفسره شيخ زاده بأنه ليس بمجزوم فيه ، لضعف دليله ، ثم يشير إلى أن البيضاوي رحمه الله أشار إلى المختار عند جمهور الصحابة والتابعين ، من كونها مكية فقط ، واستدل على نزولها بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] .

فقول الإمام البيضاوي رحمه الله عن هذه الآية " هذا مكي بالنص " يعلق عليه شيخ زاده رحمه الله بقوله : " فإن ما قبله وما بعده إلى آخر السورة نازل في حق المشركين من أهل مكة ،وظاهر أن الله تعالى لم يمنّ على النبي صلى الله عليه وسلم بما سيؤتيه في المدينة ، ويبعد أيضاً أن يصلي عليه الصلاة والسلام بمكة بلا فاتحة الكتاب بضع عشرة سنة وقد فرضت الصلاة بمكة فقلنا بأنها مكية للدليل [٤] .

وبمثل هذا يقول السيوطي رحمه الله في حاشيته على البيضاوي رحمهما الله تعالى : " وأي مانع من تقدم الامتنان على الإيتاء تعظيماً للمؤتى وتفخيماً لشأنه؛ لتتشوف النفس إلى حصوله، ولتتلقى عند حصوله بغاية الإقبال والقبول كما امتن عليه بأمور قبل إيتائه إياها ،

---

١. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ٢٥ .

٢. السيوطي ، نواهد الإبكار وشوارد الأفكار ، مجلد ١ ، ص ٤٩ .

٣. سورة الحجر ، الآية (٨٧ – ٨٨) .

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ١ ، ص ٢٨ .

كقولـه تعـالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴾ [1] ، وذلـك قبـل حـصول الفـتح بـسنتين، والتعبيـر بالماضي في المقيس والمقيس عليه تحقيقاً للوقوع" [2] .

يقول الإمـام البيضاوي رحمـه الله عند البدء بتفسيره لسورة الأنعـام بأنهـا مكيـة غيـر ست آيات أو ثلاث آيات من قولـه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [3] ، نجد شيخ زاده رحمـه الله يستدرك عليـه فيقول : " قال ابن عبـاس إنهـا مكيـة نزلـت بمكـة جملـةً واحدةً ليلاً ومعهـا سبعون ألـف ملك ولهم زجل أي صوت بالتسبيح والتحميد حتى كادت الأرض ترج " [4] ، [5] .

غير أنني يمكن أن أسجل هنا أن شيخ زاده رحمه الله تعـالى كـان يتجـاوز أحيانـاً عن مواطن معينة ينبغي أن يقف عندها ولو إشارة ، ولكنـه يتجاوزهـا دون أي تعليق ،فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [6] ، يقول الإمـام البيضـاوي رحمـه الله : " قيل إنهـا نزلـت فـي طائفـة من المشركين قالوا: إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنـا وطوينا صدورنا علـى عداوة محمد كيف يعلم ، وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة [7] .

فقول البيضاوي رحمه الله فيه نظر يستدعي – برأيـي البـاحث – أن يقـف شيخ زاده مناقشاً أو شارحاً كعادته ، إلا أننا لا نجد شيخ زاده رحمـه الله تعـالى تطرق لهذا الكلام أبداً

1. سورة الفتح ، الآية (١) .
2. السيوطي ، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، مجلد ١ ، ص ٥١ .
3. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٥٣ .
4. الطبراني ، سليمان بن أحمد ، المعجم الصغير ، الناشر : المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير ، مجلد ١ ، ص ١٤٥ ، باب من اسمه إبراهيم ، حديث رقم ٢٢٠ . ، وانظر الزيلعي ، تخريج أحاديث الكشاف ، مجلد ١ ، ص ٤٥٠، باب سورة الأنعام ، حديث رقم ٤٥٦ .
5. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٤ .
6. سورة هود ، الآية (٥) .
7. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٣ ، ص ١٣٤ .

بل سار عنه دون أن يتكلم بكلمة واحدة ، وقل مثل ذلك عند الآية الثامنة من سورة النحل ، وغير ذلك ، وإن شئت مثالاً واضحاً بيناً فارجع إلى تفسير البيضاوي لأواخر سورةً مريم حيث تجاوز شيخ زاده عن التعرض لكثير من الآيات جملة واحدة .

وسأحاول تالياً أن أتتبع سور القرآن الكريم سورة سورة لأثبت ما قاله الإمام البيضاوي عند بداية كل سورة من كونها مكية أم مدنية، ومن خلال ذلك أرجع إلى كلام شيخ زاده لأبين استدراكاته على كلام شيخه البيضاوي، والله الموفق.

استدراكات شيخ زاده على الإمام البيضاوي

في المكي والمدني من القرآن الكريم

رقم السورة	اسم السورة	رأي البيضاوي	استدراك شيخ زاده
١.	سورة الفاتحة	مكية وآيها سبع	لم يعلق
٢.	سورة البقرة	مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية	لم يعلق
٣.	سورة آل عمران	مدنية وآيها مائتان	لم يعلق
٤.	سورة النساء	مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية	لم يعلق
٥.	سورة المائدة	مدنية وآيها مائة وعشرون آية	مدنية كلها إلا قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم) إلى قوله (غفور رحيم) فإنها نزلت بعرفات عشية في عام حجة الوداع ؛ روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن سورة المائدة كانت من آخر القرآن نزولا ، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها)

٦.	سورة الأنعام	مكية غير ست آيات أو ثلاث آيات من قوله: قُلْ تَعالَوْا وهي مائة وخمس وستون آية	سورة الأنعام مكية ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ، مكيةٌ نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون ألف ملك وله زجل أي صوت بالتسبيح والتحميد حتى كادت الأرض ترتج ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " سبحان ربي العظيم " وخر ساجدا . ثم روى شيخ زاده عن الكلبي فقال : وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : ونزلت سورة الأنعام كلها بمكة إلا قوله تعالى : " وما قدروا الله حق قدره " إلى أخر ثلاث آيات نزلت في رد مقال اليهود ، وقوله تعالى :" قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم " إلى قوله :" لعلكم تعقلون " فهذه الست آيات مدنيات .
٧.	سورة الأعراف	مكية غير ثمان آيات من قوله: وَسْئَلْهُمْ إلى قوله: وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ محكمة كلها. وقيل إلا قوله تعالى: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ وآيها مائتان وخمس أو ست آيات	مائتان وست آيات
٨.	سورة الأنفال	مدنية وآياتها خمس وسبعون	مدنية
٩.	سورة التوبة	مدنية وقيل إلا آيتين من قوله: " لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ " .	مدنية
١٠.	سورة يونس	مكية وهي مائة وتسع آيات	مكية إلا قوله : " ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين " فإنها نزلت في اليهود
١١.	سورة هود	مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية	سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية
١٢.	سورة يوسف	مكية وآيها مائة وإحدى عشرة آية	سورة يوسف عليه السلام كلها مكية

١٣.	سورة الرعد	مدنية وقيل مكية إلا قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... الآية وهي ثلاث وأربعون آية.	قيل مدنية بالإجماع سوى قوله : " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " وقيل : مكية سوى قوله تعالى : " ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة " وقوله تعالى : " ويقول الذين كفروا لست مرسلا "
١٤.	سورة إبراهيم	مكية وهي إحدى وخمسون آية	مكية وهي إحدى وخمسون أية
١٥.	سورة الحجر	مكية وهي تسع وتسعون آية	مكية بالإجماع ، وهي تسع وتسعون أية
١٦.	سورة النحل	مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية	مائة وعشرون وثمان آيات ، وهي مكية إلا آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وهي قوله : " وإن عاقبتم " إلى آخر السورة .
١٧.	سورة الإسراء	مكية وقيل إلا قوله تعالى: " وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ " إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وإحدى عشرة آية.	مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية
١٨.	سورة الكهف	مكية وقيل إلا قوله (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) الآية وهي مائة وإحدى عشرة آية	وهي مكية
١٩.	سورة مريم	مكية إلا آية السجدة وهي ثمان أو تسع وتسعون آية	هي مكية
٢٠.	سورة طه	مكية وهي مائة أربع وثلاثون آية	سورة طه عليه الصلاة والسلام
٢١.	سورة الأنبياء	مكية وآيها مائة واثنتا عشرة آية	مكية وآيها مائة واثنتا عشرة آية
٢٢.	سورة الحج	مكية إلا ست آيات من : "هذانِ خَصْمانِ" إلى: " صِراطِ الْحَمِيدِ" وهي ثمان وسبعون آية	سبعون وأربع آيات مدنية
٢٣.	سورة المؤمنون	مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين	وهي مائة وثماني عشر آية

.٢٤	سورة النّور	مدينة وهي ثنتان أو أربع وستون آيةّ	مدنية وهي ستون وآيتان أو أربع آيات
.٢٥	سورة الفرقان	مكية وآيها سبع وسبعون آية	مكية غير آية نزلت بالطائف وهي قوله تعالى :" الم تر ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا "
.٢٦	سورة الشعراء	مكية إلا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالشُّعَرَاءُ يَتَبِعُهُمُ الغَاوُونَ) إلى آخرها وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية	مائتان وست أو سبع وعشرون أية
.٢٧	سورة النّمل	مكية وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية	تسعون وخمس آيات مكية
.٢٨	سورة القصص	مكية وقيل إلا قوله: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ" إلى قوله : " الْجَاهِلِينَ" وهي ثمان وثمانون آية	مكية
.٢٩	سورة العنكبوت	مكية وهي تسع وستون آية	لم يعلق
.٣٠	سورة الرّوم	مكية إلا قوله : " فسبحان الله" الآية وهي ستون أو تسع وخمسون آية	وهي مكية

٣١.	سورة لقمان	مكية ، وقيل : إلا الآية وهي : " الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزكاة" فإن وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لأنه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل: إلا ثلثاً من قوله : " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام " وهي أربع وثلاثون آية، وقيل ثلاث وثلاثون.	سورة لقمان عليه السلام
٣٢.	سورة السجدة	مكية وآيها ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية	وهي مكية
٣٣.	سورة الأحزاب	مدنية وآيها ثلاث وسبعون آية	لم يعلق
٣٤.	سورة سبأ	مكية وقيل إلا قوله: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) الآية، وآيها أربع وخمسون آية	لم يعلق
٣٥.	سورة فاطر	مكية وآيها خمس وأربعون آية	لم يعلق
٣٦.	سورة يس	مكية وعنه عليه الصلاة والسلام «يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة» وآيها ثلاث وثمانون آية	ثمانون وثلاث آيات مكية
٣٧.	سورة الصافات	مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون آية	مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية
٣٨.	سورة ص	مكية وآيها ست أو ثمان وثمانون آية	ثمانون وثمان آيات مكية
٣٩.	سورة الزمر	مكية إلا قوله: (قُلْ يا عِبادِيَ) الآية وآيها خمس وسبعون أو اثنتان وسبعون آية	سبعون وخمس آيات مكية
٤٠.	سورة غافر	مكية وآيها خمس وثمانون	ثمانون وخمس آيات مكية
٤١.	سورة فصّلت	وآيها خمسون وأربع آية مكية	خمسون وأربع آية مكية

٤٢.	سورة الشورى	سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية وتسمى سورة «الشورى»	خمسون وثلاث آيات مكية
٤٣.	سورة الزخرف	مكية وقيل إلا قوله: (وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا) وآيها تسع وثمانون آية	ثمانون وتسع آيات مكية . قال مقاتل : إلا قوله : " وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا " .
٤٤.	سورة الدّخان	مكية إلا قَوْلَهُ تَعَالَى: (إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ) الآية، وهي سبع أو تسع وخمسون آية	ست أو سبع وخمسون أية مكية
٤٥.	سورة الجاثية	مكية وآيها سبع أو ست وثلاثون آية	ثلاثون وسبع آيات مكية
٤٦.	سورة الأحقاف	مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية	آياتها ثلاثون وخمس آيات مكية
٤٧.	سورة محمد	وتسمى سورة القتال وهي مدينة وقيل مكية وآيها سبع أو ثمان وثلاثون آية	ثلاثون وثمان آيات مدنية
٤٨.	سورة الفتح	مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلّى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون	لم يعلق
٤٩.	سورة الحجرات	مدينة وآيها ثماني عشرة آية	وهي مدنية
٥٠.	سورة ق	مكية، وهي خمس وأربعون آية	سورة ق مكية
٥١.	سورة الذاريات	مكية وآيها ستون آية	لم يعلق
٥٢.	سورة الطور	مكية وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية	مكية
٥٣.	سورة النجم	مكية وآيها إحدى أو اثنتان وستون آية	لم يعلق
٥٤.	سورة القمر	مكية وآيها خمس وخمسون آية	لم يعلق

٥٥.	سورة الرحمن	مكية أو مدنية أو متبعضة وآيها ثمان وسبعون آية	مكية ، ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ، قوله مكية ، أي عند ابن عباس والضحاك ، ومدنية عند مقاتل وابن حبان والواقدي ، وقيل مكية إلا أية وهي قوله تعالى : " يسئله من في السموات والأرض " الآية ، فإنها مدنية .
٥٦.	سورة الواقعة	مكية وآيها ست وتسعون آية	هي مكية غير قوله : " ثلة من الأولين " وقوله : " أفبهذا الحديث " إلى آخر الآيتين فإنهما نزلتا في سفره عليه السلام إلى المدينة .
٥٧.	سورة الحديد	مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية	مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون
٥٨.	سورة المجادلة	مدنية وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني، وآيها ثنتان وعشرون.	مدنية في قول الجميع إلا في رواية عن عطاء انه قال : العشر الأول مدني وباقيها مكي . وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى:"ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم " نزلت بمكة.
٥٩.	سورة الحشر	مدينة وآيها أربع وعشرون آية	أربع وعشرين أية مدنية
٦٠.	سورة الممتحنة	مدينة وآيها ثلاث عشرة آية	لم يعلق
٦١.	سورة الصف	مدينة، وقيل مكية وآيها أربع عشرة آية	مدنية
٦٢.	سورة الجمعة	مدنية وآيها إحدى عشرة آية	مدنية
٦٣.	سورة المنافقون	مدنية وآيها إحدى عشرة آية	مدنية
٦٤.	سورة التغابن	مختلف فيها وآيها ثماني عشرة آية	مدنية وقيل مكية

٦٥.	سورة الطلاق	مدنية وآيها اثنتا عشرة أو إحدى عشرة آية	مكية
٦٦.	سورة التحريم	مدنية وآيها اثنتا عشرة آية	مدنية
٦٧.	سورة الملك	مكية، وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي قارئها وتنجيه من عذاب القبر، وآيها ثلاثون آية	مكية
٦٨.	سورة القلم	مكية وآيها ثنتان وخمسون آية .	مكية
٦٩.	سورة الحاقة	مكية، وآيها اثنتان وخمسون آية	لم يعلق
٧٠.	سورة المعارج	مكية وآيها أربع وأربعون آية	مكية
٧١.	سورة نوح	مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون آية	مكية
٧٢.	سورة الجن	مكية، وآيها ثمان وعشرون آية	مكية
٧٣.	سورة المزّمّل	مكية، وآيها تسع عشرة أو عشرون .	مكية
٧٤.	سورة المدّثر	مكية، وآيها خمس وخمسون آية	لم يعلق
٧٥.	سورة القيامة	مكية وآيها تسع وثلاثون آية	لم يعلق
٧٦.	سورة الإنسان	مكية وآيها إحدى وثلاثون	مكية
٧٧.	سورة المرسلات	مكية وآيها خمسون	لم يعلق
٧٨.	سورة النبأ	مكية، وآيها أربعون	لم يعلق
٧٩.	سورة النازعات	مكية وآيها خمس أو ست وأربعون	لم يعلق
٨٠.	سورة عبس	مكية وآيها ثنتان وأربعون آية	مكية
٨١.	سورة التكوير	مكية وآيها تسع وعشرون آية	مكية
٨٢.	سورة الإنفطار	مكية وآيها تسع عشرة آية	مكية

٨٣.	سورة المطففين	مختلف فيها وآيها ست وثلاثون آية	قال مقاتل:هي أول سورة نزلت بالمدينة. وقيل هي مدنية إلا ثمان آيات وهي من قوله تعالى : " إن الذين أجرموا " إلى آخر السورة . وقيل : مكية . وقال الكلبي : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لأنفسهم ، فنزلت الآيات فخرج عليه السلام فقراها عليهم . وقال : " خمس بخمس " إلى آخر الحديث . فأحسنوا الكيل بعد ذلك . وقال السدي : قدمها وبها رجل يسمى أبا جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما للغير ويكيل بالآخر لنفسه ، فنزلت فأحسنوا الكيل . انتهى
٨٤.	سورة الانشقاق	مكية وآيها خمس وعشرون آية	مكية
٨٥.	سورة البروج	مكية وآيها ثنتان وعشرون آية	مكية
٨٦.	سورة الطارق	مكية وآيها سبع عشرة آية	مكية
٨٧.	سورة الأعلى	مكية وآيها تسع عشرة آية	مكية
٨٨.	سورة الغاشية	مكية وهي ست وعشرون آية	مكية
٨٩.	سورة الفجر	مكية وآيها ثلاثون آية	مكية
٩٠.	سورة البلد	مكية، وآيها عشرون آية	مكية، قد اجمع المفسرون على أن المراد بالبلد الحرام مكة، وان السورة نزلت بها
٩١.	سورة الشمس	مكية، وآيها خمس عشرة آية .	مكية
٩٢.	سورة الليل	مكية، وآيها إحدى وعشرون آية	مكية
٩٣.	سورة الضحى	مكية، وآيها إحدى عشرة آية	مكية
٩٤.	سورة الشرح	مكية، وآيها ثمان آيات	مكية
٩٥.	سورة التين	مختلف فيها، وآيها ثمان آيات	مكية ، وقال ابن عباس وقتادة مدنية
٩٦.	سورة العلق	مكية، وآيها تسع عشرة آية	مكية
٩٧.	سورة القدر	مختلف فيها، وآيها خمس آيات	قيل إنها أول سورة نزلت بالمدينة ، وقيل إنها مكية .
٩٨.	سورة البينة	مختلف فيها، وآيها ثمان آيات	لم يعلق

٩٩.	سورة الزلزلة	مختلف فيها، وآيها ثمان آيات	مكية وقيل مدنية
١٠٠	سورة العاديات	مختلف فيها، وآيها إحدى عشرة آية	مدنية وقيل مكية
١٠١	سورة القارعة	مكية، وآيها ثمان آيات	مكية
١٠٢	سورة التكاثر	مختلف فيها، وآيها ثمان آيات	مكية
١٠٣	سورة العصر	مكية، وآيها ثلاث آيات	مكية
١٠٤	سورة الهمزة	مكية، وآيها تسع آيات	مكية
١٠٥	سورة الفيل	مكية، وهي خمس آيات	مكية
١٠٦	سورة قريش	مكية، وآيها أربع آيات	مكية
١٠٧	سورة الماعون	مختلف فيها، وآيها سبع آيات	مكية وقيل مدنية
١٠٨	سورة الكوثر	مكية، وآيها ثلاث آيات	مكية
١٠٩	سورة الكافرون	مكية، وآيها ست آيات	مكية
١١٠	سورة النصر	مدينة، وآيها ثلاث آيات	مكية وقيل مدنية فإنه روي أنه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها سنتين.
١١١	سورة المسد	مكية، وآيها خمس آيات	مكية
١١٢	سورة الإخلاص	مختلف فيها، وآيها أربع آيات	مكية وقيل مدنية
١١٣	سورة الفلق	مختلف فيها، وآيها خمس آيات	مكية وقيل مدنية
١١٤	سورة النّاس	مختلف فيها، وآيها ست آيات	مكية وقيل مدنية

ويمكن تلخيص ما سبق بأهم النقاط التالية، مع التعليق بما يناسب، فأقول والله المستعان:

أولاً : لم يعلق شيخ زاده رحمه الله على واحد وعشرين سورة من سور القرآن من حيث مكيتها أو مدنيتها ، ففي حين يذكر الإمام البيضاوي رحمه الله أن هذه السورة مكية أو مدنية نجد أن شيخ زاده لم يعلق بكلمة وإنما بدأ بشرح كلام البيضاوي في التفسير ، وقد كان من نهج الإمام البيضاوي كما هو معروف في تعامله مع المكي والمدني أن يبدأ كلامه بذكر مكية السورة أو مدنيتها ، وذلك في كل سور القران الكريم ، والسور الكريمة التي لم يعلق عليها شيخ زاده ، أو حتى لم يذكر أنها مدنية أو مكية مكتفياً بكلام الإمام البيضاوي عنها ، وهذه السور هي : الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والأعراف والعنكبوت والأحزاب وسبا

وفاطر والفتح والذاريات والنجم والقمر والممتحنة والحاقة والمدثر والقيامة والمرسلات والنبأ والنازعات والبينة ، مع الإشارة هنا إلى أن شيخ زاده وان لم يعلق على سورة الفاتحة في بدايتها إلا أنه علق على كلام البيضاوي في الحديث عن الخلاف الذي دار حول مكية السورة من مدنيتها ، على اعتبار القطع بمكيتها بالأدلة ، أو مدنيتها على اعتبار تكرر نزولها ، ولأنها موضع نقاش بين العلماء كما مر قريباً ، وهذا لا ينسحب على بقية السور التي لم يعلق عليها شيخ زاده رحمه الله تعالى .

ثانياً : وافق شيخ زاده رحمه الله تعالى الإمام البيضاوي في القول بمكية السورة من مدنيتها في خمس وستين سورة من سور القرآن الكريم ، فحيثما ذكر الإمام البيضاوي أن هذه السورة مكية قال شيخ زاده بأنها مكية وحيثما قال بأنها مدنية قال بأنها مدنية كذلك ، وقد اختار الإمام البيضاوي رحمه الله القول في بعض الأحيان بان هذه السورة مختلف في مكيتها من مدنيتها لنجد أن شيخ زاده قد وافقه على ذلك أما بالقول كما قال أو ببيان الاختلاف في هذه السور ، وهذه السور هي : الأنفال وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنمل والأنبياء والنور والسجدة ويس والصافات وص وغافر وفصلت والشورى والزخرف والجاثية والأحقاف والحجرات وق والطور والرحمن والحديد والحشر والجمعة والمنافقون والتغابن والتحريم والملك والقلم والمعارج ونوح والجن والمزمل والإنسان وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والبروج والطارق والأعلى والغاشية والفجر والبلد والشمس والليل والضحى والشرح والعلق والزلزلة والعاديات والعصر والهمزة والفيل وقريش والماعون والكوثر والكافرون والمسد والإخلاص والفلق والناس .

ثالثا : وقد اختلف شيخ زاده مع الإمام البيضاوي رحمهما الله في واحد وعشرين سورة ، ففي حين يذكر البيضاوي أن هذه السورة مكية يقول أنها مدنية والعكس ، وقد يذكر البيضاوي أن هذه السورة مكية إلا الآيات ، يرى شيخ زاده أنها مكية بالإجماع، وغير ذلك من وجوه الاستدراك التي قررها شيخ زاده ، وهذه السور هي : التوبة ويونس والرعد والإسراء والكهف ومريم والحج والفرقان والقصص والروم والزمر والدخان ومحمد والواقعة والمجادلة والصف والطلاق والتين والقدر والتكاثر والنصر .

والخلاصة في هذا المطلب أن القول بمكية السور من مدنيتها كان وما زال محل نقاش بين العلماء ، ويعتمد كل صاحب قول على مجموعة من الأدلة يراها تتناسب مع ما ذهب

إليه ، بل إن الأقوال اختلفت في القول بوجود آيات مكية في السور المدنية وعكس ذلك كما ذكر ابن حجر رحمه الله ، حيث ذكر أنه لا مانع من وجود آيات مدنية في السور المكية وعكس ذلك [1] ، ويكفي أن نرجع إلى سورة الكوثر – كأحد الأمثلة- لنجد الكم الهائل من الاختلاف بين العلماء حول مكيتها من مدنيتها ، وقد حرر المسألة وناقشها بتوسع شيخنا الفاضل الدكتور المرحوم بإذن الله تعالى فضل عباس حيث ساق أدلة كل فريق وناقشهم في ذلك ليقرر في نهاية الأمر أن السورة مكية وأن هذا ما ترجح لديه [2].

ومن الملاحظ أن استدراكات شيخ زاده رحمه الله في المكي والمدني لا يتبع فيه منهاجاً واضحاً ، فمرة يوافق على كلام البيضاوي دون زيادة ومع زيادة أحياناً ، ومرة أخرى لا يعلق بكلمة ، وثالثة يعارضه ، ورابعة يكتفي بذكر مكية السورة من مدنيتها بدون ذكر عدد الآيات في السورة بخلاف البيضاوي ، وخامسة يذكر ان السورة مكية إلا آيات منها وهي آية كذا وكذا ، أو العكس ، وسادسة يعتمد التفريق بين المكي والمدني بالنسبة للهجرة ، لا للمكان ، ومرة عكس ذلك ، ومثال هذا عند سورة المائدة يقول البيضاوي رحمه الله : " إنها مدنية وآيها مائة وعشرون آية " كما مر ، في حين نجد ان شيخ زاده يقول إنها مدنية كلها إلا قوله تعالى : { اليوم أكملت لكم دينكم }إلى قوله { غفور رحيم } فإنها نزلت بعرفات عشيةً في عام حجة الوداع ؛ وهذا استدراك من شيخ زاده على البيضاوي في غير محله فلا عبرة بالمكان ، على ما قررنا في التعريف المعتمد للفصل بين المكي والمدني إلا وهو الهجرة النبوية الشريفة ، وقل مثل ذلك في استدراكه على البيضاوي في سورة الفرقان .

---

١. انظر : ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مجلد ٩ ، ص ٤١ وما بعدها .

٢. انظر : عباس ، حسن فضل ، إتقان البرهان في علوم القرآن ، مجلد ١ ، ص (٤٠٧ – ٤١١) .

المبحث الرابع

استدراكاته في القراءات

القراءات جمع قراءة ، وهي من الفعل قرأ ، وتدور كلمة قرأ في لسان العرب حول معنى الجمع والاجتماع والضم ، يقول ابن فارس رحمه الله في مقاييس اللغة :" " قرى " القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع ، وإذا همز هذا الباب كان هو والأول سواء ، ويطلق لفظ قرأ ، ويراد منه عدة معان، فإذا قلت : قرأت القرآن ، معناه لفظت به مجموعاً ، وقرأت الشيء قرآناً ، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومنه القُرآن كأنَّه سمِّي بذلك لجَمعِه ما فيه من الأحكام والقِصَص وغيرِ ذلك " "[1] .

وقال الراغب: القراءة : ضم الحروف، والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل[2] ، وقال ابن منظور: وقرأت الشيء قرآناً : جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، ومعنى القُرآن معنى الجمع وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها[3] ، ومثله في الصحاح : فقرأت الشيء قرآناً أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً ، ومنه سمِّي القرآن[4] .

وعمدة ومرجعية القراءات هو الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره من الصحابة ، وهو الحديث المشهور والمعروف بحديث الأحرف السبعة ، حيث أخرج البخاري رحمه الله تعالى بسنده قال : حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله، أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حدثه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف "[5] ، ومثله قوله صلى الله

١. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مجلد ٥، ص ٧٨ .

٢. الراغب ، مفردات القران الكريم ، مجلد ١ ، ص ٦٦٨ .

٣. ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١ ، ص ١٢٨ .

٤. الجوهري ، الصحاح ، مجلد ٢ ، ص ٦٧ .

٥. ابن حجر ، فتح الباري ، باب قوله انزل القرآن على سبعة أحرف ، مجلد ٩ ، ص ٢٤ ، حديث رقم ٤٩٩١ .

عليه وسلم: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه " [1] .

وأما تعريف القراءات اصطلاحاً فقد عرفها جماعة من الأئمة العلماء القراء ، وتدور هذه التعريفات بعد استعراضها من مظانها حول كيفية قراءة ونطق وأداء ألفاظ القرآن الكريم ، فقد عرفها الإمام بدر الدين الزركشي رحمه الله بقوله إن القراءات هي : " اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها " [2] .

ويعرفه ابن الجزري رحمه الله وهو من هو في علم القراءات فيقول بأن القراءات هي : " العلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة [3] .

وقد وضع علماء القراءات شروطاً ضبطوا فيها قبول القراءة وتمييز الصحيح منها من الشاذ والمقبول منها من المردود ، فقالوا إن كلّ قراءة وافقت اللغة العربية، ولو بوجه من الوجوه المقبولة ، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، ووافقت كذلك رسم أحد المصاحف العثمانية ولو من باب الاحتمال ، والرسم العثماني هو الخط الذي كتبت به المصاحف في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وصح سندها واتصالها ، مع ضرورة الشهرة والاستفاضة ، وقد صرح بعض العلماء بضرورة التواتر ، فإذا اجتمعت هذه الأركان فهي القراءة الصحيحة المقبولة والمعتمدة التي لا يجوز ردّها ولا يحل إنكارها ، وإذا اختل منها ركن أطلق عليها القراءة الشاذة .

يقول ابن الجزري رحمه الله تعالى في طيبة النشر [4] :

وكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصحَّ إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة

فكن على نهج سبيل السّلف ... في مجمع عليه أو مختلف

وأصل الاختلاف أنّ ربّنا ... أنزله بسبعة مهوّنا

---

١. حجر ، فتح الباري ، باب قوله انزل القرآن على سبعة أحرف ، مجلد ٩ ، ص ٢٤ ، حديث رقم ٤٩٩٢.

٢. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مجلد ١ ، ص ٣١٨ .

٣. ابن الجزري ، منجد المقرئين ، ص ٣٤ .

٤. ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) ،شرح طيبة النشر في القراءات ،ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م ، مجلد ١ ، ص ٨ .

ولست هنا في مقام تحقيق هذا الموضوع والتفصيل فيه فهو موضوع طويل وشائك ، وليس هذا مظانه ، وهناك كتب كثيرة أفردته بالبحث والدرس والتفصيل فذكرت التعاريف الكثيرة للقراءات ومنشأ هذه القراءات وأول من صنف فيها ، ومن فصّل فيها إلى غير ذلك من موضوعات القراءات المتعددة .

ويهمني هنا أن أقف على كلام الإمام البيضاوي رحمه الله في القراءات وبيان استدراكات شيخ زاده عليه في ذلك.

وقبل البدء بهذا تجدر الإشارة إلى أن الإمام البيضاوي رحمه الله له باع طويل في القراءات لا ينكره أحد ، حتى اولئك الذين يرون أنه قد يستشهد بالقراءات الشاذة ، وهو الذي قال في مقدمة تفسيره أنه يجمع في هذا التفسير القيم فرائد وفوائد وأنه يعرب فيه عن وجوه القراءات المشهورة المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين ، والشواذ [1] المروية عن القراء المعتبرين .

ولقد تمكن الإمام البيضاوي رحمه الله من القراءات فكان رحمه الله يأتي بالكلمة ويبين وجه القراءة فيها ثم يأتي بالقراءات التي تعضد ما رجحه واعتمده ، وهو كثيراً ما يستشهد للقراءة التي يرجح بقوله : ويشهد لهذه القراءة ، ويعضده قراءة ، ويؤيد ذلك قراءة ، وتنصره قراءة من قرأ ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدل دلالة واضحة على تمكنه من القراءات رحمه الله تعالى .

والقراء كما مر قريباً عند الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى ثمانية فهو يذكر القراءات السبعة المتفق عليها ويذكر معها قراءة يعقوب الحضرمي كجزء من القراءة المتفق عليها ، مع العلم أن قراءة يعقوب الحضرمي عند الجمهور من القراءات الثلاثة المتممة للعشرة ، وليست من السبعة المتفق عليها ، مع كونها من القراءات المعتبرة والمعتمدة .

وطالما أن يعقوب ضمن العشرة فلا يؤخذ على الإمام البيضاوي إلا أنه خرج عن المألوف بالاستشهاد بالسبعة ، على اعتبار الجزم بهؤلاء القرآء جميعاً رحمهم الله تعالىً ، والذي يؤخذ على البيضاوي رحمه الله أنه يضعّف قراءة حتى من هم من القرآء السبعة ، كما

---

١. القراءة الشاذة: هي القراءة التي اختل فيها ركن من الأركان المعتمدة في القراءة الصحيحة على ما مر.

سنرى بالأمثلة ، وبالتالي وجب الإشارة إلى هذه الملاحظة .

ولا نجد أن شيخ زاده رحمه الله قد التفت إلى مثل هذا أو علق عليه - أقصد إضافة قراءة يعقوب - ربما كان ذلك لان البيضاوي يذكر قراءة يعقوب مع القرآء المتفق عليهم وبالتالي فلا ضرورة لذكره ، أي أنه رحمه الله يذكر قراءة نافع والكسائي وابن عامر وغيرهم من القرآء السبعة ثم يذكر معهم قراءة يعقوب ، تلك القراءة الموافقة للقراءات السبعة ، فعندها لا حاجة – ربما – عند شيخ زاده ولا عند غيره للاحتجاج أو الاستدراك على البيضاوي في هذا .

فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ [1] ، يقول البيضاوي رحمه الله تعالى : " فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء، والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أي فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم " [2] ، يقول شيخ زاده رحمه الله موضحاً:" قوله " برفع الجزاء " أي أن الكوفيين وهم عاصم وحمزة والكسائي قرأوا : " فجزاء " مرفوعاً منوناً على أنه مبتدأ حذف خبره ، أي فعليه جزاء ، أو خبر لمبتدأ محذوف ؛ أي فواجبه جزاء " [3] .

وهو أيضاً رحمه الله يذكر أنه يستشهد بالقراءة الشاذة ويخصصها بتلك القراءة المروية عن القراء المعتبرين .

ومن الضروري أن أشير هنا إلى صدور كتاب " القراءات الشاذة وتوجيهها في تفسير القاضي البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل " ، وقد حققه وقيد نصه وعلق عليه فضيلة الشيخ محمد غياث الجنباز حفظه الله ، ويحتوي الكتاب على ٧٦٠ صفحة ، بين فيه صاحبه وجوه استخدام القراءات الشاذة عند الإمام البيضاوي ، وقد قام المؤلف باستخراج القراءات الشاذة من تفسير البيضاويّ فعلّق عليها ، ووجّه كلّ قراءة وردت ، ثمّ عزاها إلى قارئها ، وإلى من نسبت إليه ، أو قرأ بها ، كتاب قيم في بابه ينصح بالرجوع إليه .

" والباحث لم يكتف بإخراج القراءات الشاذّة من تفسير البيضاوي ، وتوجيهها

---

١. سورة المائدة ، الآية (٩٥) .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٤٤ .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٣ ، ص ٥٨٦ .

والتعليق عليها ، ولكنه ضمّن عمله مقدّمة مفيدة موجزة ، تحدّث فيها عن نشأة علم القراءات ، وأول من صنّف فيها، وأبرز أعلامها ، وأقطارهم وأزمانهم ، ومن أقرأ بقراءتهم ، وعن الفصل بين القراءة الصحيحة القوية والشاذة الضعيفة، وأورد قول أبي محمد مكي في مصنفه الشهير الذي ألحقه بكتاب الكشف عما يقبل الآن من القرآن فيقرأ به ، وما لا يقبل ولا يقرأ به ، وما يقبل ولا يقرأ به" [1] .

وحتى لو صح هذا فإن الإمام البيضاوي رحمه الله قد اعتمد على القرآء المشهورين والقراءات المتواترة والمشهورة ، ووجه القراءات واختار في توجيهها بما يراه الأنسب والأقرب إلى الصواب ، وإن كان قد رجع إلى بعض القراءات الشاذة ، فإن هذا لا يقلل من كونه البارع والمتمكن من القراءات على ما سنرى .

والبيضاوي رحمه الله لتضلعه في اللغة ، فهو من هو في الفصاحة والبلاغة - كما ذكرت - فإنه يخضع هذه القراءات للنحو ، وأقيسة اللغة ، وعليه فإنه يمكن أن يرد القراءة ويصفها باللحن حتى لو كانت من القراءات المتواترة المشهورة التي اتفق عليها العلماء ، وهذا في ظني مأخذ واضح يسجل على الإمام في القراءات ، وسأذكر – بإذن الله تعالى - كيف استدرك عليه شيخ زاده في هذا الأمر وسأبينه عند إيراد الأدلة ذات الصلة والشأن .

ولنبدأ بعرض الأدلة على ما مر ، على أنني يجب أن أشير هنا إلى أن استقراء كلام الإمام البيضاوي رحمه الله في القراءات غير ممكن وغير مراد هنا ، لأنه رحمه الله تعامل مع كل كلمة في القرآن الكريم ورد فيها أكثر من قراءة ، وبهذا فان البحث يطول في غير ما وضع له ، ويكفي أن أذكر العديد من الأمثلة - ما استطعت - بما يبين ويوضح دور شيخ زاده في استدراكاته على الإمام البيضاوي في القراءات ،فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه العون .

مثلاً عند قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يذكر البيضاوي رحمه الله

تعالى أوجه القراءات فيها مع توجيه سريع لبعضها ، فهو يقول هنا : ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قراءة

١. http://www.tafsir.net/vb/tafsir

عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [1]،

وقرأ الباقون: مَلِكِ،وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين،ولقوله تعالى: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [2]

ولما فيه من التعظيم، والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك ، والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك ، وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ، ومالكا بالنصب على المدح أو الحال، ومالك بالرفع منوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، وملك مضافاً بالرفع والنصب " [3] .

ففي حين نجد أن البيضاوي رحمه الله تعالى يذكر القراءات في الآية ويختار من بينها ، فيقول : وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين، ثم هو يعمد إلى توجيه اختياره ، نجد أن شيخ زاده رحمه الله لم يرض عن هذا الاختيار طالما أن القراءات متواترة فيوضح ما ذهب إليه شيخه البيضاوي ويزيد عليه بل ويخالفه في الترجيح لنجد أن شيخ زاده يرى أن كلا الوجهين في القراءة مراد دون اختيار قراءة على أخرى ، حتى أنه ساق شهادة أبي شامة في أنه كان يقرأ في الأولى بقراءة ، وفي الركعة الثانية بالوجه الآخر للقراءة ، يقول شيخ زاده موضحاً ومستدركاً على البيضاوي :"ويرجح المصنف قراءة ملك بدون الألف بوجوه ثلاثة ، الأول أنها قراءة أهل الحرمين،والثاني:أن الآية بهذه القراءة تكون مناسبة لقوله تعالى : " لمن الملك " [4] ، والثالثة : لان الملك أدل على التعظيم بالنسبة إلى المالك ، ثم قال: وقد رجح كل

---

١. سورة الانفطار ، الآية (١٩) .

٢. سورة غافر ، الآية (١٦) .

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ٢٨ .

٤. سورة غافر ، الآية (١٦)

فريق إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً ظاهراً يسقط القراءة الأخرى وهذا غير مرضي لان كلتيهما متواترة " [1] .

وهذا غير مرضي ، بهذا يستدرك شيخ زاده رحمه الله تعالى على البيضاوي في التفضيل بين القراءات المتواترة بعدم الرضى عن التفضيل بينهما .

لكن البيضاوي رحمه الله تعالى لم يرد القراءات الأخرى ولكنه فيما يبدو اختار قراءة ملك يوم الدين ، والفرق واضح وبيّن ، بين من يختار من بين القراءات وبين من يسقط القراءة الأخرى ، فللقراء أن يختاروا بحسب توجيههم للقراءات ما يرون أنه أقرب إلى مرادهم وفهمهم للآية الكريمة ، ومبحث الاختيار في القراءات مبحث معروف ومتداول بين علماء هذا الفن ، وقد كتب عبدالله بن علي البغدادي والذي توفي في ٥٤١هـ كتاباً أسماه الاختيار في القراءات العشر، وقد صدر بتحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، جامعة الإمام محمد بن سعود.

ولعل شيخنا الإمام البيضاوي رحمه الله وجد أن معنى " ملك " تعني التفرد والسلطة أقرب إلى ما يفهمه من سياق الآية، فلذلك نجده اختار هذه القراءة بالإضافة إلى الأسباب التي ذكرها رحمه الله تعالى.

وقد علق السيوطي رحمه الله في نواهد الأبكار على قول البيضاوي رحمه الله بأن قراءة ملك هي المختارة ، بأن هذه عبارة غير حسنة ، حيث قال البيضاوي رحمه الله تعالى : " وقرأ الباقون ملك، وهو المختار" وعلل ذلك بأن كلتا القراءتين متواترة ، فلا يحسن أن يقال في إحداهما: إنها المختارة؛ لما يشعر به من أن الأخرى بخلاف ذلك ، وقد أنكر جماعة من الأئمة على من رجح قراءة على قراءة [2] .

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ١ ، ص ٧٣ .

٢. السيوطي ، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، مرجع سابق ، مجلد ١ ، ص ١٨٧ . وانظر : السمين الحلبي ، الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، مجلد ١ ، ص ١٧ .

قال السمين رحمه الله تعالى: " وقد رجح كل فريق إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي، لأن كلتيهما متواترة "[1].

وإنني أرجح كلام شيخ زاده رحمه الله على كلام البيضاوي رحمهما الله تعالى لأن القراءات المتواترة الصحيحة كلها بنفس الدرجة من حيث قرآنيتها والاحتجاج بها ، وهو ما أجمع عليه علماء القراءات .

ونجد كذلك أن الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى يضعّف بعض القراءات حتى ولو كانت من السبعة ولعله يوافق في ذلك الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى ويتابعه ، فهو يقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[2] .

يقول البيضاوي : " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم ، شُرَكاؤُهُمْ من الجن أو من السدنة، وهو فاعل زَيَّنَ ، وقرأ ابن عامر زَيِّنَ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر"[3] .

وهكذا نرى أن الإمام البيضاوي رحمه الله يخضع القراءة ولو كانت صحيحة إلى أقيسة اللغة وضرورات الشعر ، وهذا ما لم يقبله شيخ زاده رحمه الله ، واستدرك فيه على إمامه .

فها هو شيخ زاده رحمه الله تعالى يتدخل ويستدرك بكل ما أوتي من بيان وقوة للرد على مثل هذا الكلام فيقول ، وقوله : " " وهو ضعيف في العربية ، معدود من ضرورات الشعر " إشارة إلى أن الفصل بالمفعول ليس بضعيف في نفسه بل هو حسن ويدل على حسنه

---

١. الحلبي، السمين، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، مجلد ١، ص ١٧.

٢. سورة الأنعام، الآية (١٣٧).

٣ .البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٨٤ .

ورود القرآن عليه ، والطريق إثبات حسن التراكيب بوقوعها في القرآن لا إثبات حسن ما وقع فيه بوقوعها في غيره " [1] .

وأكثر من ذلك فإن شيخ زاده هنا يسوق أقوال الكثير من العلماء في الاحتجاج بالقراءة المتواترة ويقدمها على القياس بالعربية في استدراكه على إمامه البيضاوي فيسوق قول الكرماني بأن قراءة ابن عامر عالية ، وكذا يستشهد بكلام صاحب المفتاح وصاحب الانتصاف في الاحتجاج بهذه القراءة المتواترة .

ولقد ساق شيخ زاده رحمه الله تعالى كلاماً قاسياً لصاحب الانتصاف في الرد على صاحب الكشاف الذي يبدو أن الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى قد تابعه أيضاً في تضعيف هذه القراءة بالنظر إلى العربية، فيقول ابن المنير : " لقد ركب المصنف – ويقصد الزمخشري - في هذا الفصل عمياء وتاه في تيهاء ، وأنا أبرأ إلى الله تعالى وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به ، فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا نقلاً ولا سماعاً فلذلك غلّط ابن عامر في قراءته هذه " [2] .

كل هذا في إشارة من شيخ زاده إلى الغلط الذي وقع فيه الإمام الزمخشري وتابعه فيه البيضاوي في عدم الاحتجاج بهذه القراءة الصحيحة ، أقصد قراءة ابن عامر رحمه الله تعالى ، وهو من القراء السبعة المشهورين والمعتبرين والمتفق على قراءتهم .

ويخلص شيخ زاده رحمه الله تعالى في استدراكه على البيضاوي هنا عند قوله : " وهو ضعيف في العربية " ، فيقول : " وهذا كله كما ترى ظن من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه ، وكان الصواب خلافه ، ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه مما نعلم ضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الأمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرأون بها خلفاً عن سلف إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها أيضاً كما سمعها ، وهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملةً وتفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد ، أي عن أفصح العرب فإن النطق بحرف الضاد

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ١٥٠ .

٢٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ١٥٠

مختص بلغة العرب ، فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري ولا بقول أمثاله ممن لحّن قراءة ابن عامر"[1] .

ولم يقف شيخ زاده رحمه الله تعالى في استدراكه عند هذا الحد بل أثبت هذه القراءة التي ضعفها البيضاوي من حيث اللغة وساق الأدلة الشرعية والأمثلة الشعرية الكثيرة بما يؤيد ما ذهب إليه .

ومما لا شك فيه أن محل النزاع هنا هو الاستشهاد بالقراءات المتواترة الصحيحة وتقديمها على أقيسة النحو واللغة ، فالبيضاوي رحمه الله تبع في ذلك كلام الزمخشري وأخضع القراءة إلى اللغة وأقيسة النحاة ، في حين أن شيخ زاده رحمه الله كان يقدم القراءات المتواترة الصحيحة على أقيسة النحو واللغة باعتبار أن القراءات توقيفية لا مجال فيها لرأي القراء اللهم إلا الأداء بحسب ما تناقلوه عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي تلقاه عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله .

وفي اعتقادي أن الحق كل الحق في استدراك شيخ زاده رحمه الله تعالى على البيضاوي طالما أن القراءات متواترة وصحيحة ، فالقرآن الكريم حجة على اللغة العربية وأقيستها وليس العكس .

وأكثر من ذلك فقد ضعف الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أيضاً قراءة حمزة وهو من القراء السبعة ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2] .

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله : " وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة "[3] .

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ١٥١ .

٢. سورة النساء ، الآية (١) .

٣. البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،مجلد ٢ ، ص ٥٨ .

وهنا يستدرك شيخ زاده رحمه الله تعالى على البيضاوي بأن حمزة من القراء السبعة ، وأنه لم يأت بذلك من عند نفسه ، بل رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول شيخ زاده ما نصه : " قوله " وهو ضعيف " لأنه عطف الظاهر على المضمر المجرور من غير إعادة الجار وهو لا يجوز عند البصريين فلا بد للعطف من إعادة الخافض لأنهم لم يستحسنوا عطف الظاهر على الضمير المرفوع من غير تأكيده بمنفصل ، فلم يقولوا : إذهب وزيد ، بل قالوا : إذهب أنت وزيد لئلا يلزم العطف على ما هو بمنزلة الجزء من الكلمة وهو الضمير المرفوع المتصل ، والضمير المجرور أقوى اتصالاً بالجار من المرفوع المتصل إذ المرفوع المتصل قد ينفصل والضمير المجرور لا ينفصل البتة ، فإذ لم يجز العطف على الضمير المرفوع لكونه كبعض الكلمة فلأن لا يجوز العطف على الضمير المجرور مع أنه لا ينفصل البتة أولى ، وأجيب عنه بأنه جره أحد القراء السبعة والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القطع بصحة هذه القراءة ولا التفات إلى أقيسة النحاة عند تحقق السماع " [1].

وهذا استدراك قوي وواضح على البيضاوي رحمه الله الذي يرد القراءة السبعية هذه في حين يرفض شيخ زاده ردها ولا يلتفت إلى أقيسة النحاة طالما أنها ثبتت بالسماع وكانت من السبعية .

وقد سلك شيخ زاده رحمه الله تعالى في استدراكه على كلام البيضاوي رحمه الله طريقين اثنين: أولهما: طريق النقض: حيث أثبت بطلان مدعى البيضاوي أنها ضعيفة، وثانيهما الإثبات: حيث ساق دليل المعارضة المثبت لهذه القراءة ،هذا فوق أن هذه القراءة لها شاهد في قول الشاعر حيث أنشد سيبويه إمام العربية – كما يقول شيخ زاده – :

فاليوم قد صرت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب [2]

حيث إنه قد أعاد العطف على الضمير دون إعادة حرف الجر، فقال وما بك والأيام، ولم يقل وبالأيام ، ومع هذا فالذي نجزم به وندين الله تعالى عليه أن القراءة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي قرآن ولا يحل لأحد كائناً من كان إنكارها.

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص(٢٤٧ – ٢٤٨) .

٢. البيت من الكامل ، وتفعيلته : متفاعل متفاعل متفاعل ، وقائله : وقيل : لعمرو بن معد يكرب. وقيل : لخفاف بن ندبة. وقيل : لعباس بن مرداس.

وأجد من المناسب أن أسوق كلاماً قيماً لأبي حيان رحمه الله تعالى في بحره المحيط بما يثري البحث ويقرب الفائدة ويشهد للمطلوب ، يقول رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [1] ، ما مختصره : " العطف المضمر المجرور فيه مذاهب :

أحدها: أنه لا يجوز إلّا بإعادة الجار إلّا في الضرورة، فإنه يجوز بغير إعادة الجار فيها، وهذا مذهب جمهور البصريين.

الثاني: أنه يجوز ذلك في الكلام، وهو مذهب الكوفيين، ويونس، وأبي الحسن، والأستاذ أبي علي.

الثالث: أنه يجوز ذلك في الكلام إن أكد الضمير، وإلّا لم يجز في الكلام، نحو: مررت بك نفسك وزيد ، وهذا مذهب الجرمي.

والذي نختاره – والاختيار لأبي حيان رحمه الله تعالى - أنه يجوز ذلك في الكلام مطلقاً ، لأن السماع يعضده ، والقياس يقويه ، أما السماع فما روي من قول العرب : ما فيها غيره وفرسه ، بجر الفرس عطفاً على الضمير في غيره ، والتقدير : ما فيها غيره وغير فرسه ، والقراءة الثانية في السبعة : ﴿ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ أي : وبالأرحام ، وتأويلها على غير العطف على الضمير ، مما يخرج الكلام عن الفصاحة ، فلا يلتفت إلى التأويل. قرأها كذلك ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والنخعي ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، وأبي رزين ، وحمزة.

ومن ادعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب – وما زال الكلام لأبي حيان رحمه الله - وقد ورد من ذلك في أشعار العرب كثير يخرج عن أن يجعل ذلك ضرورة ، وأنشد سيبويه رحمه الله :

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

---

1. سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

فأنت ترى – وما زال الكلام لأبي حيان - هذا السماع وكثرته ، وتصرّف العرب في حرف العطف ، فتارةً عطفت بالواو ، وتارةً بأو ، وتارةً ببل ، وتارةً بأم ، وتارةً بلا ، وكل هذا التصرف يدل على الجواز ، وإن كان الأكثر أن يعاد الجار كقوله ، تعالى : ﴿ عَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [1] ، ﴿ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ [2] ، ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [3] ، وقد خرج على العطف بغير إعادة الجار قوله : ﴿ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ ﴾ [4] ، عطفاً على قوله : ﴿ لَكُمْ فِيها مَعايِشَ ﴾ [5] أي : ولمن. وقوله: ﴿ وَما يُتْلى عَلَيْكُمْ ﴾ [6] ،عطفاً على الضمير في قوله : فيهنّ ، أي : وفيما يتلى عليكم.

وأما القياس فهو أنه كما يجوز أن يبدل منه ويؤكد من غير إعادة جار ، كذلك يجوز أن يعطف عليه من غير إعادة جار ، ومن احتج للمنع بأن الضمير كالتنوين ، فكان ينبغي أن لا يجوز العطف عليه إلّا مع الإعادة لأن التنوين لا يعطف عليه بوجه ، وإذا تقرّر أن العطف بغير إعادة الجار ثابت من كلام العرب في نثرها ونظمها بل هو متعين ، لأن وصف الكلام ، وفصاحة التركيب تقتضي ذلك" [7] .

وفي الحقيقة فإن شيخ زاده رحمه الله تعالى لم يقف في كل مرة نفس هذا الموقف عندما يتكلم البيضاوي عن قراءة سبعية بأنها ضعيفة ، أو مخالفةً لأقيسة النحاة ، بل نجده أحياناً يوجه ويحلل ما ذهب إليه البيضاوي دون موافقته طبعاً على رد أو تضعيف القراءة

---

١. سورة المؤمنون ، الآية (٢٢) .

٢. سورة فصلت ، الآية (١١) .

٣. سورة الأنعام ، الآية (٦٤) .

٤. سورة الحجر ، الآية (٢٠) .

٥. سورة الأعراف ، الآية (١٠) .

٦. سورة النساء ، الآية (١٢٧) .

٧. انظر : أبي حيان ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، الناشر : دار الفكر ـ بيروت سنة الطبع : ١٤٢٠ هـ ، مجلد ٢ ، ص ٣٨٩ .

السبعية ، ومثال ذلك عند تفسير البيضاوي رحمه الله لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] .

يقول البيضاوي رحمه الله تعالى : ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ بمغيثكم من العذاب ، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ ، بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الأصل في التقاء الساكنين، وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع أن حركة ياء الإضافة الفتح، فإذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحري أن لا تكسر وقبلها ياء ، أو على لغة من يزيد ياء على ياء الإضافة إجراء لها مجرى الهاء والكاف في: ضربته، وأعطيتكه، وحذف الياء اكتفاء بالكسرة " [2] .

يقول شيخ زاده على غير عادته: " قوله: " أو على لغة من يزيد ياء على ياء الخ " عطف على قوله: " على الأصل في التقاء الساكنين " فهو توجيه ثان لقراءة حمزة " [3] .

ويكتفي شيخ زاده بهذا التوجيه دون الوقوف على كلام البيضاوي عندما قال : " وهو أصل مرفوض في مثله " حيث كنت أتوقع أن يهب شيخ زاده في الرد بحسب عادته ولكن لم يكن منه ما توقعت .

ويمكن كذلك القول إن شيخ زاده رحمه الله قد يخالف البيضاوي في توجيه القراءة والخروج منها برأي ، أنظر إليه كيف وجه رحمه الله اختياره بالقول بأن التتابع في قضاء الصوم هو الأولى على خلاف رأي البيضاوي من خلال توجيهه للقراءات ، فعند تفسيره لقوله

---

١. سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٣ ، ص ١٩٧ .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٥ ، ص ١٥٩ .

تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١] .

يقول البيضاوي رحمه الله: " فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فكفارته صيام ثلاثة أيام، وشرط فيه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه التتابع لأنه قرأ «ثلاثة أيام متتابعات»، والشواذ ليست بحجة عندنا إذا لم تثبت كتاباً ولم ترو سنة" [٢] .

فنحن نرى أن البيضاوي رحمه الله لا يحتج بالقراءة الشاذة ، على غير عادته ، فهو لا يرى وجوب التتابع في صيام الكفارة ، في حين يستدرك شيخ زاده رحمه الله فيقول : " واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصيام ، فذهب جماعة إلى أنه لا يجب التتابع فيه إن شاء تابع وإن شاء فرق ، والتتابع أفضل ، وهو أحد قولي الإمام الشافعي ، وذهب جماعة إلى وجوب التتابع فيه قياساً على كفارة القتل والظهار ، وهو قول الثوري وأبي حنيفة رحمه الله ، وعليه تدل قراءة ابن مسعود : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ متتابعات ﴾ [٣] " [٤] .

وأكتفي بذكر هذا المثال الذي يدل من جهة على تضلع الإمام البيضاوي في علم القراءات ، ومن جهة أخرى بإخضاعه القراءات على أقيسة النحو ، وهذا ما قلنا بخلافه فيما سبق ، فعند قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [٥] ، يقول رحمه الله : " والإرجاء التأخير أي أخر أمره، وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت، وكذلك «أرجئهوه» على قراءة ابن كثير على الأصل في الضمير، أو أرجهي من

١. سورة المائدة ، الآية (٨٩) .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٤٢ .

٣. سورة المائدة ، الآية (٨٩) .

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٣ ، ص ٥٧٥ .

٥. سورة الأعراف ، الآية (١١١) .

أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي، وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها، وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل أرجه كابل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان «أرجئه» بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة، ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها" [1] .

فانظر إلى علمه بالقراءات وتبحره فيها من خلال تعداد القراءات في الكلمة الواحدة ، ولكن انظر أيضاً إلى عدم رضاه بحسب رأي النحاة عن قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان وقوله :" فلا يرتضيه النحاة " .

ولم أجد تعليقاً لشيخ زاده في رده على كلام البيضاوي في إخضاعه القراءة المتواترة لما يرتضيه النحاة، اللهم إلا إن شيخ زاده وجه القراءات وأخذ ببيان مراد البيضاوي مما ذكر [2] .

مع أن هذا الوجه الذي ذكر البيضاوي رحمه الله تعالى أنه لا يرتضيه النحاة له وجه وجيه في العربية كما ذكر ابن خالويه في الحجة فهو يقول رحمه الله في تعليقه على هذا الكلام : " وله وجه في العربية، وذلك أنّ الهمزة لما سكنت للأمر، والهاء بعدها ساكنة على لغة من يسكن الهاء، كسرها لالتقاء الساكنين " [3] .

ومن أمثلة ذكره للقراءة الشاذة ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [4] ، يقول البيضاوي [5] رحمه الله تعالى : " في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم : {إنا أعطيناك } ،

---

١. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٣ ، ص ٢٧ .

٢. انظر : شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٢ .

٣. ابن خالويه ، الحسين بن احمد (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، الحجة في القراءات السبع ، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الأداب - جامعة الكويت ،الناشر: دار الشروق – بيروت ،الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ ، مجلد ١ ، ص ١٦٠ .

٤. سورة الكوثر ، الآية (١) .

٥. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،مرجع سابق ، مجلد ٤ ، ص ٨٠٦ .

بالنون "[1] ، أي أنطيناك ، وهي لغة أهل اليمن كما يقول شيخ زاده الذي تابع البيضاوي رحمه الله تعالى ، ولم يرد على هذه القراءة الشاذة[2] .

والأمثلة في القراءات لا يمكن حصرها في هذا التفسير القيم ، بل إنني أزعم أن القراءات في تفسير الإمام البيضاوي يمكن أن تشكل مادة درسية وبحثية تصلح لرسائل علمية متقدمة لما يحويه هذا التفسير من كم هائل في علوم القراءات ، فأكتفي بما ذكرت ، ولعل ذلك يكون فيه الفائدة بإذن الله تعالى ، وقد ذكرت أنني لست بصدد دراسة كل كلمة في القرآن الكريم من حيث القراءات فيها ، اللهم إلا بالقدر الذي يبين كلام البيضاوي رحمه الله تعالى في القراءات واستدراكات شيخ زاده عليه فيها ، رحمهما الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .

١. أخرجه الطبراني والدارقطني في المؤتلف والحاكم وابن مردويه والثعلبي من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة وعمرو بن عبيد واهي الحديث . قرأ النبي {صلى الله عليه وسلم} إنا أنطيناك الكوثر ، قلت رواه الحاكم في المستدرك في كتاب القراءات من حديث عمرو بن عبيد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قرأ إنا أنطيناك انتهى وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي في مختصره وقال عمرو بن عبيد واه ، انظر : الزيلعي ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد ، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ،تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار النشر / دار ابن خزيمة - الرياض - ١٤١٤هـ ،الطبعة : الأولى

٢. انظر : شيخ زاده ، الحاشية ، مرجع سابق ، مجلد ٨ ، ص ٧٠٠ .

المبحث الخامس

استدراكاته في المحكم والمتشابه

ومن الضروري هنا أن أقف ولو سريعاً على معنى المحكم والمتشابه في اللغة والاصطلاح، بما يتناسب مع هذه الدراسة والمنهج فيها.

تعريف المحكم لغة :

ويمكن رد المحكم إلى فعله الثلاثي حكم وفيه يقول ابن فارس رحمه الله في مقاييس اللغة: «الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك: الحُكم، وهو المنع من الظلم وسُمِّيت حَكَمَة الدابة لأنها تمنعها" [1] .

وفي لسان العرب تفصيل مفيد ، مفاده أن المحكم هو الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب فَعِيلٌ بمعنى مُفْعَلٍ أُحْكِمَ فهو مُحْكَمٌ وفي حديث ابن عباس قرأت المُحْكَمَ على عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد المُفَصَّلَ من القرآن لأنه لم يُنْسَخْ منه شيء وقيل هو ما لم يكن متشابهاً لأنه أُحْكِمَ بيانُه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره والعرب تقول حَكَمْتُ وأَحْكَمْتُ وحَكَّمْتُ بمعنى مَنَعْتُ ورددت ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكِمٌ لأنه يَمْنَعُ الظالم من الظلم " [2] .

ويمكن القول أن المحكم هو الواضح البين الذي لا يقع فيه لبس لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى.

المحكم اصطلاحاً :

وقبل أن أورد التعريف الاصطلاحي للمتشابه أرى من الضروري أن أسوق كلاماً قيماً للإمام الزركشي رحمه الله في مجمل الحديث عن المحكم والمتشابه في القرآن الكريم حيث حكى الإمام الزركشي في برهانه عن الحسين بن محمد بن حبيب النيسابوري في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

١. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مجلد ٢ ، ص ٩١ .

٢. ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١٢ ، ص ١٤٠ .

أحدها: أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [1].

والثاني: كله متشابه لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً ﴾ [2].

والثالث: - وهو الصحيح - أن منه محكماً ومنه متشابهاً لقوله تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وأخر متشابهات ﴾ [3].

فأما المحكم فأصله لغة المنع تقول أحكمت بمعنى رددت ومنعت والحاكم لمنعه الظالم من الظلم وحكمه اللجام هي التي تمنع الفرس من الاضطراب وأما في الاصطلاح فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام وقيل هو مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [4]، وقيل: هو الذي لم ينسخ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [5]، وقوله: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [6]، إلى آخر الآيات وهي سبعة عشر حكماً مذكورة في سورة الأنعام وفي سورة بني إسرائيل وقيل: هو الناسخ وقيل: الفرائض والوعد والوعيد وقيل: الذي

---

١. سورة هود ، الآية (١) .

٢. سورة الزمر ، الآية (٢٣) .

٣. سورة آل عمران ، الآية (٧) .

٤ . سورة البقرة ، الآية (٤٣) .

٥ . سورة الأنعام ، الآية (١٥١) .

٦. سورة الإسراء ، الآية (٢٣) .

وعد عليه ثوابا أو عقابا وقيل: الذي تأويله تنزيله بجعل القلوب تعرفه عند سماعه كقوله: ﴿قل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [1] ، و ﴿لَيسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ﴾ [2] ، وقيل: مالا يحتمل في التأويل إلا وجها واحدا " [3] .

يقول صاحب التوقيف أن المحكم ما خلا المراد به عن التبديل والتغيير أي التخصيص والتأويل والنسخ من قولهم بناء محكم أي متقن مأمون الإنتقاض كقوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [4] ، والنصوص الدالة على ذات الله وصفاته لأن ذلك لا يحتمل النسخ فإن اللفظ إذا ظهر منه المراد فإن لم يحتمل النسخ فمحكم " [5] .

وبهذا يتبين أن المحكم هو الواضح البين الذي لا لبس فيه ، وما توفر فيه اللبس واشتبه الأمر فيه يسمى متشابه .

أما المتشابه لغة ، فيمكن رده إلى الفعل الثلاثي شبه ، وقد قال ابن فارس رحمه الله أن : " الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا ، والمشبهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا" [6] .

وفي اللسان : " الشبه والشبه والشبيه المثل والجمع أشباه وأشبه الشيء الشيء ماثله وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم ، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد صاحبه وفي التنزيل : ﴿ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ [7] ، وشبهه إياه وشبهه به مثله

---

١. سورة الصمد ، الآية (١) .

٢ . سورة الشورى ، الآية (١١) .

٣. الزركشي ، البرهان في علوم القران ، مجلد ٢ ، ص ٦٩ .

٤. سورة البقرة ، الآية (٢٣١) .

٥. المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، مجلد ١ ، ص ٦٤٢ . وانظر : الجرجاني ، التعريفات ، مجلد ١ ، ص ٢٦٣ .

٦. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مجلد ٣ ، ص ٢٤٣ .

٧. سورة الأنعام، الآية (٩٩).

والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات ، وأما قوله وأتوا به متشابها فإن أهل اللغة قالوا معنى متشابها يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن وقال المفسرون متشابها يشبه بعضه بعضاً في الصورة ويختلف في الطعم ودليل المفسرين قوله تعالى : ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ [1] ، لأن صورته الصورة الأولى ولكن اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة أبلغ وأغرب عند الخلق لو رأيت تفاحا فيه طعم كل الفاكهة لكان نهاية في العجب " [2] .

أما المتشابه اصطلاحاً فقد ذكر له العلماء تعريفات كثيرة أيضًا ليس المراد بسطها هنا إلا بقدر ما يكفي ويغني، فقد ذكر صاحب التوقيف أن المتشابه هو المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل [3] .

أما صاحب التعاريف فيرى أن المتشابه لا يمكن دركه ،فيقول : " المتشابه هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلا كالمقطعات في أوائل السور" [4] .

ومن تمام الفائدة أن اذكر هنا ما قاله الإمام الزركشي عن المتشابه أسوة بما فعلت مع المحكم ، يقول رحمه الله تعالى : " وأما المتشابه فأصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني ، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ [5] ، أي متفق المناظر مختلف الطعوم ويقال للغامض: متشابه لأن جهة الشبه فيه ، كما تقول لحروف التهجي والمتشابه مثل المشكل لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره وشاكله واختلفوا فيه فقيل: هو المشتبه الذي يشبه بعضه بعضا وقيل: هو المنسوخ الغير معمول به وقيل: القصص والأمثال وقيل: ما أمرت أن تؤمن به وتكل علمه إلى عالمه وقيل: فواتح السور ، وقيل: ما لا

---

١. سورة البقرة، الآية (٢٥).

٢. ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١٣ ، ص ٥٠٣ .

٣. المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، مجلد ١ ، ص ٦٣٣ .

٤. الجرجاني ، التعاريف ، مجلد ١ ، ص ٢٥٣ .

٥. سورة البقرة ، الآية (٢٥) .

يدرى إلا بالتأويل ولا بد من صرفه إليه كقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [1] ،وقوله تعالى :﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [2] وقيل: الآيات التي يذكر فيها وقت الساعة ومجيء الغيث وانقطاع الآجال كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [3] ،وقيل: المتشابه ما يحتمل وجوهاً والمحكم ما يحتمل وجهاً واحداً، وقيل: مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره وقيل: غير ذلك وكلها متقارب " [4] .

قال البيضاوي رحمه الله تعالى عن حكمة المتشابه في القرآن : " ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها ، وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها ، فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها ، والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات" [5] .

وليس تفصيل ذلك محل هذا البحث ، وإلا لطال البحث في غير موضوعه الذي هو له .

ففي بيان معنى المحكم والمتشابه، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله عند تفسيره للآية الخامسة من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [6] :

" هو الذي انزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات ، أحكمت عبارتها بأن حفظت من

---

١. سورة القمر ، الأية (١٤) .

٢. سورة الزمر ، الأية (٥٦) .

٣. سورة لقمان ، الأية (٣٤) .

٤. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مجلد ٢ ، ص ٧٠ .

٥. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مرجع سابق، مجلد ١ ، ص ٢٣٢.

٦. سورة آل عمران، الأية (٧).

الإجمال [1] والاحتمال ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ أصله يرد إليها غيرها والقياس أمّاتٌ فأفرد على تأويل كل واحدة، أو على أن الكل بمنزلة آية واحدة، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء، ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها، فينالوا بها، وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها، والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات ، وأما قوله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [2] ، فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ، وقوله: ﴿ كِتَاباً مُتَشَابِهاً ﴾ [3] ، فمعناه أنه يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ " [4] .

يتبين من هذا أن المحكم عند إمامنا البيضاوي رحمه الله هو ما حفظ من فساد المعنى وركاكة اللفظ ، وأن المتشابه ما يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ ، وهي من المحتملات والتي لا يتضح مقصودها ، لإجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر.

وهنا نجد أن شيخ زاده رحمه الله تعالى يفسر ويحلل قول الإمام البيضاوي رحمه الله قبل أن يستدرك عليه فيقول:" قوله: " بأن حفظت من الإجمال والاحتمال " يلوح من هذا الكلام أن المحكم ما كان له معنى ولا يكون له احتمال معنى آخر ، والمتشابه ما يكون له معنى ويكون له احتمال معنى آخر ، فاللفظ المفيد للمعنى إن لم يحتمل معنى آخر فهو المحكم وإن احتمل فهو المتشابه ، واتضاح المعنى يريد به أن يظهر عند العقل أن معناه هذا لا غيره ، وذلك نهاية جهة ظهور الكلام ، والمذكور في أصول الحنفية أن اللفظ لا يخلو من أن يكون ظاهر المراد أو لا ، والأول إما أن يكون منصوصاً أو لا ، الثاني هو الظاهر ، والأول إما أن يحتمل التخصيص والتأويل أولى ، الأول هو النص والثاني إما أن يحتمل النسخ أو لا ، الأول هو المفسر والثاني هو المحكم ، واللفظ الذي لا يكون ظاهر المراد لا يخلو من أن يكون عدم الظهور لنفس الصيغة

---

١. المجمل: هو الذي اختفى المراد منه بنفس لفظه ، وليس لأحد أن يبين المجمل إلا الشارع .

٢. سورة هود، الآية (١).

٣. سورة الزمر، الآية (٢٣).

٤. البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ٦ .

أو لغيرها ، الثاني هو الخفي،والأول إن أمكن دركه بالتأمل فهو مشكل وإلا فإن كان البيان مرجواً فهو المجمل ، وإلا فهو المتشابه فهو في غاية الخفاء ، كما أن المحكم في غاية الظهور فلكل واحد مما يكون ظاهر المراد ، وما لا يكون ظاهر المراد أربع أقسام : أقسام الأول : الظاهر والنص والمفسر والمحكم ، وأقسام الثاني : الخفي والمشكل والمجل والمتشابه ، هذا ما اصطلح عليه الحنفية " ، فقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [1] محكم على الاصطلاحين في أن معناه لا يدركه شيء من الأبصار ، وقوله تعالى:﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [2] متشابه بتفسير المصنف إذ يحتمل أن يكون المعنى أنها ناظرة إلى ذات ربها،وإنها منتظرة لثوابه ونعمه أو نحو ذلك،فيرد هذا القول إلى قوله الأول ويحمل على غير معنى النظر إليه [3] .

ومن المناسب أن أستعرض - قبل البدء بالأمثلة على المحكم والمتشابه – مراد الإمام البيضاوي من المحكم والمتشابه ، حيث يذكر الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أربعة تعريفات للمحكم من القرآن ، وذلك عند تفسيره لأوائل سورة هود عليه السلام ، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [4] : " أُحْكِمَتْ آياتُهُ نظمت نظماً محكماً لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ والمعنى، أو منعت من الفساد والنسخ فإن المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ، أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم إذا صار حكيماً لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية " [5] .

يقول شيخ زاده رحمه الله مفصلاً وموضحاً هذا الكلام : " وذكر في أحكام الآيات أربع معان : الأول : أنها نظمت نظماً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل ، كالبناء المحكم ، والثاني : كونها ممنوعة من الفساد بأن ينسخ شيء منها ، والثالث : أن أحكامها عبارة عن

---

١. سورة الأنعام ، الآية (١٠٣) .

٢. سورة القيامة ، الآية (٢٣) .

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٣ ، ص ٢٣ .

٤. سورة هود ، الآية (١) .

٥. البيضاوي ، انوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٣ ، ص ١٢٧ .

تحقق مدلولاتها بالحجج والدلائل ، والرابع : أن المعنى جعلت حكيمة أي مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية " [1] .

ويستطرد شيخ زاده رحمه الله في بيان المقصود من الحكم النظرية والعملية ، فبين أن الحكم النظرية هي تلك المتعلقة بالعقائد ، وأما العملية فهي تلك المتعلقة بكيفية العمل سواء المتعلقة بتهذيب الأعمال الظاهرة أم تلك المتعلقة بعلم تصفية ورياضة النفس ، ليقرر في نهاية استعراضه القيم كلاماً يكتب بمداد من ذهب ، فهو يقول رحمه الله ما نصه : " ولا يوجد في العالم كتاب يساوي القرآن الكريم والكتاب الحكيم في بيان هذه المطالب المهمة " [2] .

ومن الضروري أن أتعرض إلى بعض الأمثلة في المحكم والمتشابه لنرى ما استدركه شيخ زاده على البيضاوي في هذا الباب ، فعند تفسير البيضاوي رحمه الله تعالى للكرسي في آية الكرسي من سورة البقرة وهي قوله تعالى : ﴿ اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [3] ، يقول رحمه الله : " وسع كرسيه السماوات والأرض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى: وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة، ولا قاعد. وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه، مأخوذ من كرسي العالم والملك. وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع" [4] .

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ،مجلد ٤ ، ص ٦١٤ .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٦١٥ .

٣. سورة البقرة ، الآية (٢٥٤) .

٤. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٥٤ .

وهو يقول في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[1] ، الملك العظيم، أو الجسم العظيم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير.

والبيضاوي هنا رحمه الله يسلك مسلك التأويل[2] للصفات والآيات المتشابهات ، ونهج في ذلك منهج المتكلمين من الأشاعرة ، وبعض المعتزلة - كما سنرى - ، ولعل الإمام البيضاوي رحمه الله يتابع الزمخشري رحمه الله في هذا ، من أن الكرسي تصويرٌ لعظمة الله وتمثيل ، ولا كرسي في الحقيقة ، وليس المجال مجال تحقيق المسألة ، اللهم إلا بالوقوف على ما استدركه شيخ زاده على البيضاوي في هذا .

يقول شيخ زاده رحمه الله موضحاً مستدركاً ومقرراً : " " قوله : تصوير لعظمته " تقريره أنه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه من ملوكهم وعظمائهم ، كما جعل الكعبة بيتاً له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم ، وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم ، وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً فقال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[3]، ثم أثبت لنفسه كرسياً ، فقال : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ والحاصل أن كل ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه في العرش والكرسي قد ورد مثلها بل أقوى منها في الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ، ولما توافقت الأمة ههنا على أن المقصود تعريف عظمة الله تعالى وكبريائه مع القطع بأنه تعالى منزه عن أن يكون في الكعبة كما توهمه تلك الألفاظ ، فكذا الكلام في العرش والكرسي ،قال الإمام : " هذا تأويل متين إلا إن فيه ترك الظاهر بغير دليل وذا لا يجوز ، والمعتمد – وما يزال الكلام لشيخ زاده رحمه الله – هو قول من قال : إن

---

١. سورة التوبة ، الآية (١٢٩) .

٢. التأويل : " صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح او الظاهر إلى الاحتمال المرجوح أو الخفي " باختصار .

٣. سورة طه ، الآية (٥) .

الكرسي جسم عظيم يسع السماوات والأرض ، وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن الكرسي **جسم عظيم ، فوق السماء السابعة ، ولا امتناع في القول به لذا وجب القول به "** [1] .

وبذا نرى أن شيخ زاده رحمه الله تجاوز القول بالتشبيه والتمثيل لعظمة الله تعالى بذكر الكرسي ، حيث قال إن الله تعالى أثبت لنفسه كرسياً ، وإنما اثبت وجود الكرسي بالأخبار الصحيحة وأن الظاهر لا يمنعه وبذا لا امتناع من القول بالأمرين معاً .

ويقول البيضاوي رحمه الله تعالى عن حمل العرش وحفيف الملائكة حوله بالدعاء أنه مجاز أو كناية ، مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو كناية عن قربهم من ذي العرش ، وهذا الكلام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [2] ، يقول رحمه الله : " الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له، أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ أمره " [3] .

وقد تابع شيخ زاده إمامه البيضاوي رحمهما الله تعالى في القول بالمجاز والكناية ، ولكن شيخ زاده أضاف أقوالاً تفيد الطواف والدوران في العرش على المعنى المتبادر والمعروف ، بصفة تليق بالعرش ومكانته ومكانة الملائكة الموكلة به ، ويروي روايات منها ما هو مقبول ومنها ما هو غير ذلك ، يقول شيخ زاده رحمه الله : " قيل : حملة العرش أربعة من الملائكة : أحدهم على صورة الملائكة ، والثاني على صورة ثور ، والثالث على صورة بشر ، والرابع على صورة أسد ، وإذا كان يوم القيامة تكون حملته ثمانية ،يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [4] .

---

١. انظر : شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٦٢٨ .

٢. سورة غافر ، الآية (٧) .

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٥٢ .

٤. سورة الحاقة ، الآية (١٧) .

فقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ [1] ، يحتمل أن يكون المراد بهم الذين يحملونه الآن وهم الأربعة وأن يكون المراد الذين يحملونه يوم القيامة وهم الثمانية ، ولا شك أن حملة العرش أشراف الملائكة وأكابرهم ويدل عليه ما روي أنه تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة ، وأيضاً لما كان حملهم إياه وحفيفهم حوله مجازاً عن حفظهم وتدبيرهم له وجب لهم أن يكونوا أفضل الملائكة،وقيل : خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين قائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع بثمانين ألف عام ، وقيل : حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا الإيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر" [2].

ونجد كذلك أن الإمام البيضاوي يقف عند الآية السابقة من سورة الحاقة وهي قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [3] ، ليقول : " وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله، ولعله أيضاً تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام " [4] .

يقول شيخ زاده رحمه الله : " قوله : " ولعله أيضاً تمثيل " جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على أنه تعالى حاضر في العرش متمكن فيه ، ووجه الاستدلال أنه تعالى لو لم يكن متمكناً مستقراً في العرش لكان حمله عبثاً عديم الفائدة لا سيما وقد أكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ يومئذ تعرضون ﴾ والعرض إنما يكون أن لو كان الإله حاضراً في العرش ، قال الإمام : أجاب أهل التوحيد عن هذا الاستدلال بأنه لا يمكن أن يكون المراد منه أنه تعالى جالس في العرش وذلك لأن كل من كان حاملاً للعرش كان حاملاً لكل ما كان في العرش ،

---

١. سورة غافر، الآية (٧).

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧ ، ص ٢٩٤ .

٣. سورة الحاقة ، الآية (١٧) .

٤. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٢٤١ .

فلو كان الإله في العرش للزم أن تكون الملائكة حاملين له تعالى وذلك محال ، لأنه يقتضي احتياج الله تعالى إليهم وأن يكونوا أعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح ، فعلمنا أنه لا بد من التأويل ، فذكر في تأويله ما ذكره المصنف من أنه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فكما أن الملك إذا أراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سرير ووقف الأعوان حوله ، كذلك أخبر الله تعالى أنه يحضر يوم القيامة عرشاً محفوفاً بالملائكة تصويراً لهم عظمة نفسه بما يتعارفونه في التعبير عن عظيم العظماء ،لا أن له عرشاً يقعد عليه ويحتاج إلى حمله في وقت محاسبة الخلق ، والله أعلم " [1] .

ولا أدري لم أقحم شيخ زاده نفسه في مثل هذه الافتراضات والفنقلات ، والأمر لا يحتاج إلى كل هذا ، فليس بممتنع أن يكون عرش أو جلوس ، ولا يفهم من هذا أن يكون حملة العرش والحالة هذه أعظم قدرة من الله تعالى ، أو أن الله تعالى محتاج إلى أحد ، ولا داع للخوض في التأويل هنا ، ومع هذا فالمؤولة والمفوضة أعني السلف كلاهما يتفقان في أمرين ويختلفان في أمر : فيتفقان في تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بذاته الأقدس ، وثانياً يتفقان على صرف اللفظ عن معناه المتبادر منه ، أما الأمر الذي يختلفان فيه فهو أن المؤولة " الأشاعرة " يعينون المعنى المراد أما السلف فلا يعينون المعنى المراد ، وقد حسم القرآن العزيز الخلاف في آية قصيرة ، بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [2] ، فقوله ليس كمثله شيء نفي للتشبيه ، وقوله وهو السميع البصير نفي للتعطيل .

وفي مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله أن أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين ؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان ؛ وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه ، وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٣١٧ .

٢ . سورة الشورى ، الآية (١١) .

أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم : اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم" [1] .

وفي اعتقاد أهل السنة كما يقول اللالكائي أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سئل : " الله عز و جل فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان؟ ، قال : نعم على العرش ،وعلمه لا يخلو منه مكان " [2] .

وفي أول ورود لكلمة " استوى " في القرآن الكريم في سورة البقرة وهي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [3] ، يقول البيضاوي رحمه الله عن معنى الاستواء :" ثم استوى إلى السماء قصد إليها بإرادته، من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل، إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيء، وأصل الاستواء طلب السواء، وإطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء، ولا يمكن حمله عليه لأنه من خواص الأجسام وقيل استوى أي: استولى وملك، قال:

قد استوى بشر على العراق .... من غير سيف ودم مهراق

والأول أوفق للأصل " [4] .

ويقصد الإمام البيضاوي بالأول هنا أي الاستواء بمعنى القصد المستعار للإرادة وبأنه أوفق للمعنى الأصلي للاستواء من معنى الاستيلاء بمعنى استولى وملك.

وهنا يوضح شيخ زاده ويبين مراد البيضاوي من كلامه وأنه بذات الوقت يرد بهذا الكلام على الزمخشري ولا يوافقه عليه فيقول: " قوله " قصد إليها بإرادته " أي جعل إرادته متعلقة بها أي بخلقها تعلقاً حادثاً فإنه لم يكن ثمة سماء متحققة حتى يقصد إلى نفسها ،

---

١. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) ،مجموع الفتاوى المحقق : أنور الباز - عامر الجزار ،الناشر : دار الوفاء ،الطبعة : الثالثة ٢٠٠٥ م ، مجلد ٥ ، ص ٢٠ .

٢. اللالكائي ، هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان الناشر : دار طيبة - الرياض ، ١٤٠٢ هـ ، مجلد ١ ، ص ٤٠٢ .

٣. سورة البقرة، الآية (٢٩) .

٤. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ٦٦ .

والاستواء ليس عبارة عن مطلق القصد بل هو القصد المستوي إلى الشيء من غير ميل وانعطاف على شيء آخر إلا أن الاستواء بهذا المعنى لما كان من خواص الأجسام لا يصح إسناده إلى الله سبحانه وتعالى ، فلذلك – والكلام لشيخ زاده – جعل المصنف – ويقصد البيضاوي – الاستواء المسند إليه مستعاراً لمعنى الإرادة بأن شبه إرادة الله تعالى خلق السماء من غير إرادة خلق شيء قبلها باستواء السهم وقصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء ويميل إليه ، واستعير لفظ " الاستواء " واستق منه لفظ " استوى " فصار استعارة تبعية وبين أن المستعار منه هو القصد المستوي الذي ليس فيه انعطاف على شيء حيث قال : " من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل " ، ثم بين أن القصد المستوي والإقبال على وجه الاستقامة ليس أصل معنى الاستواء بل أصل معناه طلب السواء والعدل في الوصول إلى المقصود ، ومعنى الطلب مستفاد من بناء افتعل بناء على أنه قد يكون للتصرف والاعتمال نحو اكتسب فإنه بمعنى كسب ، وقد اشتمل على معنى زائد وهو السعي والطلب ، وليس الاعتدال والاستقامة معنى أصليا للفظ الاستواء وإن فسره صاحب الكشاف به حيث قال : " الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال : استوى العود إذا قام واعتدل ، وإطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء وطلب سوائها لكون الاعتدال مطواعا للمعنى الأصلي للاستواء ، ومقصود المصنف رحمه الله بهذا الكلام الرد على صاحب الكشاف" [1] .

وأكثر من ذلك فقد ذكر البيضاوي رحمه الله استوى بمعنى استوى أمره واستولى ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [2] ، " ثم استوى على العرش استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى: أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن، والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه، أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه " [3] .

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ١ ، ص (٤٨١ – ٤٨٢) .

٢. سورة الأعراف ، الآية (٥٤) .

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٣ ، ص ١٥ .

وقد أقر هنا شيخ زاده رحمه الله بهذين المعنيين وبينهما وفصّل المراد بقول البيضاوي رحمه الله أن استوى بمعنى استوى أمره أي كمل ، واستولى بمعنى الاستيلاء والظهور ، وبيّن وجه ذلك وتأييده للقول الأول ، على ما مر ، ولكنه هنا أضاف إضافات مهمة يمكن عدها من الاستدراك الذي يزيد الموضوع جلاءً ووضوحاً ، وهذا فعل شيخ زاده في الحاشية ، يقول رحمه الله تعالى : " ذهب العلماء في حق هذه الآية إلى قولين : الأول : القول : بأنا نقطع بأنه تعالى منزه عن المكان والجهة ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل ، بل نفوض علمها إلى الله تعالى ، وهذا القول هو المختار عند أهل السنة ، فإنهم قالوا : الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف فيجب على الرجل الإيمان به ، وأن يكل العلم بكيفية الاستواء إلى الله عز وجل ، والقول الثاني قول من قال : أن ظاهر الآية متشابه وحمل المتشابه على المحكم واجب ، وإجراؤه على ظاهره بدعة ، وتأويله على وفق الأصول المحكمة لازم ، فنخوض في تأويله على التفصيل ، وفي تأويل الآية قولان ملخصان أشار المصنف إليهما بقوله : " استوى أمره أو استولى " أي استقر وجرى حيث شاء وكما يشاء ، وتوضيح الأول ما ذكره القفال وهو أن العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك ، يقال : ثل عرشه أي انتقض ملكه وفسد ، وليس المراد من مثل هذه الألفاظ ظاهر معناها إنما المراد تعريف المقصود على سبيل الكناية ، فكذا في الآية المراد من الاستواء على العرش نفاذ القدرة في مصنوعاته على حسب إرادته ومشيئته وجريان أمره وتدبيره فيها ، وهو قول المصنف "[1] .

وقد نرى شيخ زاده يوافق البيضاوي في تأويل بعض الصفات ويرى فيه رأيه ، ففي تفسيره للفظة " بأيدينا " من سورة يس وهي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [2] ، يقول البيضاوي رحمه الله : " أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص (٢٣١ – ٢٣٢) .

٢. سورة يس ، الآية (٧١) .

مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا، وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص، والتفرد بالإحداث "[1].

إذن هي استعارة لإفادة المبالغة والتفرد ، يقول شيخ زاده معقباً :" " أولم يروا " الآية أي أولم ينظروا نظراً اعتباريا أنا خلقنا لأجلهم أنعاما كائنة من جملة ما تفردنا بإحداثه بمحض قدرتنا وإرادتنا من غير استعانة بالجوارح ، لأنه تعالى منزه عن ذلك ، شبه اختصاص آثاره وتفرده في إحداثها باختصاص مصنوع بمن عمله بيديه فإن معمول الشخص بيديه أخص به مما تملكه من معمول غيره فاستعمل فيه عمل اليد مع تنزهه عن الجوارح والعمل بها على سبيل الاستعارة التمثيلية ليفيد المبالغة في الاختصاص "[2].

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] ، نجد البيضاوي رحمه الله يفسر طي السماوات بيمينه تعالى بالتمثيل على سبيل بيان القوة والتمكن ، فيقول رحمه الله : " والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازاً "[4].

وعند تناول شيخ زاده لكلام البيضاوي هذا ، وجدناه يقول بما يقول شارحاً وموضحاً أن مقصود الكلام هنا التنبيه على عظمة الله تعالى ، وأنه ليس بمقصود هنا إثبات الطي باليمين لا بالحقيقة ولا بالمجاز ، يقول زاده رحمه الله : " قوله " على طريقة التخييل والتمثيل " يعني أنه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهي أن تشبه صورة منتزعة من متعدد بأخرى مثلها فتذكر الألفاظ الدالة على صورة الثانية ويراد بها الصورة الأولى فتكون مجموع تلك الألفاظ استعارة تمثيلية ولا يكون في شيء من مفردات ذلك المجموع تصرف بحسب هذه

---

١. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٣ .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد (٧ ، ص ٩٨) . وانظر : مجلد ٧ ، ص ٢١٨ .

٣. سورة الزمر ، الآية (٦٧) .

٤. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٤٨ .

الاستعارة بل تكون هي باقية على حالها من حقيقة أو مجاز ، فلا يراد بقوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ ﴾ إثبات الطي واليمين لا بحقيقتهما ولا بمجازيهما بل الاعتبار إنما هو لمجموع الكلام وأن المقصود منه التنبيه على عظمته تعالى والدلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه كالشيء المقبوض بيمين أحد "[1] .

ولا أدري لم يضطر الشيخ والإمام رحمهما الله تعالى للوقوف عند هذا المعنى المراد دون إثبات ظاهره ، وما الذي يمنع من أن يكون على الحقيقة وبأن الأرض قبضته سبحانه وبأن السماوات مطويات بيمينه على الحقيقة مع ما يعنيه ذلك من قوة وهيمنة وعظمة لله تعالى ، بما يليق بقوته وهيمنته وعظمته سبحانه وتعالى علواً كبيراً .

وقد ورد في الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبين ذلك ويؤيده ويشهد له ، فقد ورد أن حبراً من الأحبار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد: أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر[2]، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] .

1. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧ ، ص ٢٧٩ .

2. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، مجلد ٦ ، ص ١٢٦ ، باب قوله : { والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة } ، حديث رقم ٤٨١١ . وانظر : مسلم ، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،مجلد ٤ ، ص ٢١٤ ، باب كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، حديث رقم ٢٧٨٦ .

3. سورة الزمر ، الآية (٦٧) .

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها ما يشير إلى أن القبض والطي يراد بهما الحقيقة لا المجاز فقط ، فعندما سمعت رضي الله عنها قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين المؤمنون يومئذ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : على الصراط يا عائشة [1] .

وكما مر فليس المقام لتحرير المسألة بشكل قاطع اللهم إلا بقدر ما يحقق المرجو من هذه الدراسة من خلال موقف الإمام والشيخ من هذه المسألة.

وإنني أرى - أحياناً - أن شيخ زاده رحمه الله تعالى خرج عن منهجه في التعامل مع آيات الصفات ، في تفسير المتشابه ، فبعد أن كان يلتزم التفويض فيما رأينا إلا أننا لاحظنا هنا خروجه إلى التأويل في هذا الموضع من هذه الآية ، ونراه هنا قد اضطر اضطراراً إلى التأويل .

وقل مثل هذا عند تفسير البيضاوي رحمه الله تعالى لقوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [2] ، فهو يفسر " بيدي " بقوله : " بنفسي " أي خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم، والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل، وقرئ على التوحيد وترتيب الإنكار عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم، أو بأنه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعاً إذ للسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص" [3] .

---

١. الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك ، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)الجامع الكبير، سنن الترمذي ، المحقق: بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ،سنة النشر: ١٩٩٨ م ، مجلد ٥ ، ص ٢٢٥ ، باب ومن سورة الزمر ، حديث رقم ٤٣٤٢ .رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٢. سورة ص ، الآية (٧٥) .

٣. البيضاوي ، انوار التنزيل وأسرار التاويل ، مجلد ٥ ، ص ٣٤ .

ويوافقه شيخ زاده على ذلك بان قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ استعارة لتفرده بخلقه

تشبيها لتفرده بالايجاد باختصاص ما عمله الإنسان بيديه ، ولما كفى في إفادة هذا المعنى توحيد لفظ اليد بين وجه تثنيته [1] .

وقد ذكر شيخ زاده رحمه الله تعالى وجهين لإيراد قوله تعالى : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾

الأول : أن هذا الوصف داع للسجود والتعظيم وترك التعظيم مع وجود الداعي إليه أقبح ، والثاني : أن هذا الوصف هو الذي صرف إبليس عليه لعنة الله تعالى عن السجود وأنه استكبر أن يسجد لغير الله تعالى ، كل هذا ليخرج الإمام والشيخ من القول بالجارحية على الله تعالى واثبات اليد .

ومرة أخرى نجد شيخ زاده يخالف ما درج عليه ويتبع القاضي البيضاوي في تأويله لقوله تعالى: ﴿ لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ، ويفسر " بيدي " على أن ذلك على سبيل الاستعارة .

ومع الإشارة إلى أن المقام هنا ليس لتحرير هذه المسألة فيكفي أن أشير إلى ما قاله صاحب الإبانة رحمه الله تعالى في هذا الموضوع حيث قال: " وقالوا لا نقول إن لله يدين لأن اليدين لا تكون إلا بالأصابع وكف وساعدين وراحة ومفاصل ففروا بزعمهم من التشبيه ففيه وقعوا وإليه صاروا ، وكل ما زعموا من ذلك فإنما هو من صفات المخلوقين وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لأن يد الله بلا كيف وقد أكذبهم الله عز وجل وأكذبهم الرسول صلى الله عليه وسلم " [2] .

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [3] ،يقول البيضاوي رحمه الله : " إلى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول، وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره، وقيل : منتظرة إنعامه ،

---

١. انظر شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧ ، ص ٢١٨.

٢. العكبري ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة الحنبلي (٣٠٤هـ - ٣٨٧هـ) ،الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ،المحقق : عثمان عبد الله آدم الأثيوبي ،الناشر : دار الراية للنشر – السعودية ،الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ ، مجلد ٣ ، ص ٣١٤ .

٣. سورة القيامة ، الآية (٢٢-٢٣) .

ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه ، وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر، وأن المستعمل بمعناه لا يتعدى بإلى "[1] .

يقول شيخ زاده رحمه الله: " فسر النظر بنظر العين والرؤية، فمن فسره بالانتظار – يعني المعتزلة - فقد اتبع هواه "[2] .

وقد ذكر البيضاوي رحمه الله تعالى كلاماً في الرؤية يحتاج منا إلى وقفات ، غير أني أحياناً لم أجد لشيخ زاده في حاشيته ما يشفي الغليل ويزيل الدخيل ، فمثلاً عند تفسير البيضاوي رحمه الله لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [3] ، يقول رحمه الله : " فأخذتكم الصاعقة لفرط العناد والنعت وطلب المستحيل، فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي، وهي محال، بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية، وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا"[4] .

فأنت ترى أن البيضاوي رحمه الله ذكر إمكانية أن رؤية الله لأفراد من الأنبياء في الدنيا، وفي بعض الأحوال، أما بقية المؤمنين فيرون الله تعالى فقط في الآخرة.

وهذا كلام فيه نظر، لا يقبل من البيضاوي الذي يخالف فيه ما اتفق عليه العلماء بأن رؤية الله تعالى مستحيلة في الدنيا دون الآخرة، ولأهل الجنة فقط.

وعند المعتزلة كما يعلق شيخ زاده رحمه الله أن اليهود عليهم لعنة الله بطلبهم رؤية الله تعالى هم طلبوا المستحيل ، وعنده أن اليهود عوقبوا بالصاعقة لفرط عنادهم وتعنتهم فإن كفرهم وكونهم معاقبين بالصاعقة ليس من حيث إن رؤيته تعالى مستحيل مطلقاً – والكلام لشيخ زاده – وأنهم – اليهود – طلبوا ذلك المستحيل كما ذهب إليه المعتزلة ، بل إنما أخذتهم

---

١. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٢٦٧ .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٤٢٢.

٣. سورة البقرة ، الآية (٥٥) .

٤. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ١ ، ص ٨١ .

الصاعقة لأنهم لم يسألوا ما سألوه على وجه الاسترشاد والاهتداء للحق وإنما سألوه سؤال تعنّت وعناد [1] .

وعند قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [2] ، يقول البيضاوي رحمه الله : " لا تدركه أي لا تحيط به ، والأبصار جمع بصر وهي حاسة النظر ، وقد يقال للعين من حيث إنها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف، إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاماً في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الأشخاص، فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفي لا يوجب الامتناع" [3] .

ويوضح شيخ زاده رحمه الله هذا ويجليه باسلوبه الفذ ، فيقول : " قوله : واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية " وجه الاستدلال أن إدراك البصر عبارة عن الرؤية ، فقوله : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يقتضي أن لا يراه شيء من الأبصار في شيء من الأحوال بدليل صحة استثناء جميع الأشخاص في جميع الأحوال منه بأن يقال : لا تدركه الأبصار إلا بصر كذا أو إلا في الحالة الفلانية ، فثبت أن عموم الآية يفيد عموم النفي لكل الأشخاص في جميع الأحوال " وهو بهذا يحرر قول المعتزلة للإجابة عليه ، فيقول : وأجاب أهل السنة عن هذا الاستدلال بأن الرؤية جنس تحتها نوعان : رؤية مع الإحاطة ، ورؤية لا مع الإحاطة ، فالتي تسمى بالإدراك منها هي الرؤية مع الإحاطة وهي المنفية بهذه الآية ، ونفي أحد نوعي الجنس لا يوجب نفي الجنس رأساً فلم تكن الآية دليلاً على نفي الرؤية مطلقاً فيجوز أن يراه المؤمنون يوم القيامة ، سلمنا أن الإدراك هو الرؤية مطلقاً سواء كانت مع الإحاطة أو لا مع الإحاطة ، لكن لا نسلم دلالة الآية على انتفائها في جميع الأوقات لان نفيها ذكر مطلقاً ولم يقيد بجميع الأوقات فيحمل على النفي في بعض الأوقات جمعاً بين هذه الآية وبين النصوص الواردة ،

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢ ، ص ٥٣ .

٢. سورة الأنعام ، الآية (١٠٣) .

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٧٦ .

وقد ورد في تفسير الآية – والكلام لشيخ زاده - " ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ في الدنيا وهو يرى في الآخرة " [١] .

فانظر إلى وضوح الكلام وبيانه وتفصيله ، وهذا دأب شيخ زاده ، يزيد الأمر وضوحاً وشرحاً وتفصيلاً ، ويحرر محل النزاع ثم يجيب بلسان العارف من أهل السنة ، كل ذلك بأسلوبه الأديب والرائع .

وقد رد شيخ زاده برد البيضاوي رحمهما الله تعالى على المعتزلة الذين نفوا الرؤية مطلقاً حيث أجاب بأن الرؤية لو كانت ممتنعة لوجب على موسى إقامة الدلائل القاطعة على أنه تعالى لا تجوز رؤيته وأن يمنع قومه بتلك الدلائل عن هذا السؤال ، ولما لم يذكر شيئاً من تلك الدلائل البتة مع أن ذكرها كان فرضاً متعيناً ظهر أنه تعالى جائز الرؤية ، وإلا لكان موسى عليه الصلاة والسلام تاركاً للواجب وترك الواجب لا يجوز على الأنبياء [٢] .

وعند تفسير البيضاوي لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٣] ، يقول رحمه الله تعالى : " لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ، إلا قياماً كقيام المصروع، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس أي الجنون، وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل: جنّ الرجل " [٤] .

والملاحظ من كلام البيضاوي رحمه الله تعالى عدم قوله بتأثير الشيطان ومسه للإنسان ، فهو يقول : وهو وارد على ما يزعمون ، ويقول : وهذا أيضاً من زعماتهم .

---

١. انظر : شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، جلد ٤ ، ص (١١٢ – ١١٣) .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٢٩٠ .

٣. سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

٤. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ١، ص ١٦٢.

وهنا يسوق شيخ زاده رحمه الله تعالى الأدلة ويناقشها في مدى تأثير الشيطان ومسه بالإنسان ، وأن هناك تأثيراً من مس الشيطان للإنسان ، كل ذلك بحوار مدعم بالأدلة من شيخ زاده ، ليس المحل هنا لعرضها ، ولكن ما يهمنا ما ختم شيخ زاده كلامه به للبيضاوي رحمه الله وهو قوله : " ولو حمل المصنف – البيضاوي - رحمه الله تخبط الشيطان ومسّه على ظاهرهما بناءً على ما ذهب إليه أهل السنة، من أن لهم تعرضاً لبعض الإنسان وتأثيراً في بعض أجسامهم لكان أحسن " [١] .

وهنا استدرك على شيخ زاده نفسه لأنه استدرك أو أخذ على البيضاوي - رحمهما الله تعالى - أنه لم يحمل النص على ظاهره حتى يثبت المس والتخبط ، أي أعني تخبط الشيطان للإنسان ، ثم إنه ذكر أن هذا هو منهج أهل السنة وأنه الأحسن ، على الرغم من أن شيخ زاده نفسه في المواضع السابقة قد عمد إلى التأويل وترك الظاهر ، ومهما يكن من أمر فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يعمدان إلى إثارة القوة التخيلية في الإنسان لتقريب المعنى إلى الذهن ، فمثلاً الذي يغتاب أخاه يمثل له القرآن الكريم بالذي يأكل لحم أخيه ميتاً ، والذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا ، ومن قتل نفس بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، وليس البيضاوي في رأيي إلا متبع لمنهج أهل السنة القويم ، رحمه الله ورحم شيخ زاده .

ولصاحب التحرير والتنوير كلامٌ قيمٌ في هذا فهو يقول : " والذي يتخبطه الشيطان هو المجنون الذي أصابه الصرع ، فيضطرب به اضطرابات ، ويسقط على الأرض إذا أراد القيام، فلما شبهت الهيأة بالهيأة جيىء في لفظ الهيأة المشبه بها بالألفاظ الموضوعة للدلالة عليها في كلامهم وإلا لما فهمت الهيأة المشبه بها ، والمس في الأصل هو اللمس باليد كقولها " المس مس الأرنب" وهو إذا أطلق معرفاً بدون عهد مس معروف دل عندهم على مس الجن، فيقولون: رجل ممسوس أي مجنون، وإنما احتيج إلى زيادة قوله من المس ليظهر المراد من تخبط الشيطان فلا يظن أنه تخبط مجازي بمعنى الوسوسة " [٢] .

١. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٢، ص ٦٦٩.

٢. ابن عاشور، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م، مجلد ٢، ص ٥٥٠.

وهذا كلام له وجاهته وفصاحته ، والقول به في نظري أولى من البحث عن تأويلات تخرج عن جو النص أو المراد من السياق ، والله تعالى أعلم وأحكم .

ومع هذا ، فإن شيخ زاده رحمه الله كان يتجاوز أحياناً عن التعليق والتحشية على كثير من كلام البيضاوي – كما ذكرت سابقاً – ولا أدري لعل السبب في أنه يفترض أن لا ثمة جديد له أو أنه يوافق البيضاوي على ما يذكر ، أو أنه يسقط منه نسياناً كونه يقدم كلامه هذا على شكل دروس في المساجد التي كان يرتادها وبالتالي كان يحقق الغرض والمقصود من درسه ، أو أنه قد تحدث عن الموضوع بشكل مرضي في مواضع أخرى واعتبر ذلك كافياً دون الحاجة إلى إعادته في الموضع الأخر.

وليس الكلام هنا على إطلاقه أو أنه متكرر كثيراً في منهج شيخ زاده ، ولكن كما ذكرت كان أحياناً يفعل ذلك ، ومما لفت انتباهي لهذه الملاحظة أنه رحمه الله تعالى لم يتكلم ولو بكلمة واحدة عندما تكلم البيضاوي رحمه الله تعالى عن تفسير قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [1] ، حيث قال البيضاوي رحمه الله : " فأخذتهم الصاعقة نار" جاءت من قبل السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم، ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا" [2] .

وقد يذكر شيخ زاده رحمه الله تعالى كلاماً يوضح فيه تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله يبالغ فيه بالتوضيح بما يسجل عليه في مثل هذه المسائل ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [3] .

١. سورة النساء ، الآية (١٥٣) .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٢ ، ص ١٠٦ .

٣. سورة الفجر ، الآية (٢٢) .

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله كعادته في التأويل : " وجاء ربك أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته ، والملك صفاً صفاً بحسب منازلهم ومراتبهم " [١] .

وبما قال الإمام البيضاوي رحمه الله يقول شيخ زاده هنا ، فعند تحشيته على التفسير في هذا الموضع يقول بأنه لما تعذرت الحقيقة – ولا أدري كيف تعذرت – فقد حمل الإمام البيضاوي الكلام على التمثيل بأن مثل حاله تعالى في ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان إذا حضر بنفسه ، فإنه حينئذ يظهر من آثار هيبته وسياسته ما لم يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه " [٢] .

وسياق الآيات الكريمة لا يمنع وقوع المجيء على الحقيقة إذا عرفنا أن الحديث عن أهوال الآخرة وأحوالها والتي من المتفق عليه عند العلماء أنها تختلف عن أحوال الدنيا ، فيمكن أن يكون المجيء لله والملائكة وبالصف - الذي أكد تأكيداً مطلقاً - على الحقيقة ، بما يليق بجلال الله تعالى وعظمته لا على التمثيل فقط ، والله تعالى أجل وأعلم وأحكم .

وأختم بكلام قيم للإمام الشنقيطي في أضواء البيان في مثل هذه المسائل ، يقول رحمه الله تعالى : " قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾ [٣] ، الآية ،هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٤] ، ونحو ذلك ؛ أشكلت على كثير من الناس إشكالا ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة ، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه ، سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن ذلك كله والله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح ، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال ، وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين :

١. البيضاوي ، انوار التنزيل واسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٣١١ .

٢. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٥٩٦.

٣. سورة الأعراف، الآية (٥٤) .

٤. سورة الفتح ، الآية (١٠) .

أحدهما : تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

والثاني : الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله : ﴿ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [1] ، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي قال فيه : وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا ، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق ، فهو مشبه ملحد ضال ، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق ، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال ، والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل ، والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [2] ، فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الإتصاف بصفات الكمال والجلال " [3] .

١. سورة البقرة، الآية (١٤٠) .

٢. سورة الشورى ، الآية (١١) .

٣. الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، مجلد ٢ ، ص ١٨ .

المبحث السادس

استدراكاته في تعامله مع ما ظاهره الإشكال والتناقض

وردت في القرآن الكريم بعض الآيات التي يوهم في الظاهر تعارضها مع آيات أخرى ، أقول يوهم في الظاهر لأنه وعند النظر وإعمال العقل والقلب في هذه الآيات نجد التكامل والتعاضد والاتفاق بين جميع آيات القرآن الكريم ، وأنه كتاب معجز خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والقرآن الكريم كونه كلام الله تعالى فهو الكلام المعجز، ولن تجد فيه اختلافاً، ولو كان من عند غير الله لوجدت فيه ذلك، فلله وحده الكمال والإعجاز.

وقد انبرى كثير من العلماء لمهمة دفع ظاهر التناقض والاختلاف عن آيات القرآن الكريم ، وجمعوا بين الآيات التي في ظاهرها ما يوهم التناقض والإشكال ، من هؤلاء الإمام قطرب رحمه الله ، وبدر الدين بن جماعة رحمه الله في كتابه الموسوم بكشف المعاني في المتشابه من المثاني ، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ، ومن قريبي العهد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه القيم دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .

يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في البرهان : " والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات ، وكلامه تعالى منزه عن ذلك ، كما قال : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1] ، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به في الحقيقة فاحتيج لإزالته "[2] .

وقد تعامل الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى مع هذه الآيات التي في ظاهرها التعارض والإشكال ، مثال ذلك :عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ

---

1. سورة النساء، الآية (٨٢).

2. السيوطي ، البرهان في علوم القران ، مجلد ٢ ، ص ٧٢ .

يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ﴾ [١] ، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله : " فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ لقيام الساعة ،

فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء مِنْ أخيه وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وصاحبته وَبَنِيهِ أو يفتخرون بها، يَوْمَئِذٍ كما يفعلون اليوم ، وَلا يَتَساءَلُونَ ، ولا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه، وهو لا يناقض قوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ﴾ [٢] ،لأنه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة، أو دخول أهل الجنة الجنة والنار النار" [٣] .

وهذا توجيه وجمع واضح من البيضاوي رحمه الله، لأن يوم القيامة تتعدد فيه المواقف، فالموقف الأول في توجيه البيضاوي عند النفخة، والموقف الثاني بعد الحساب، وبذا يندفع ظاهر التناقض.

لكننا نجد أن شيخنا زاده رحمه الله يقول في هذا الموضع ، موضحاً ومفصلاً ومستدركاً : " وقيل يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة ، فيتعارفون ويتساءلون في بعضها ويتحيرون في بعضها لشدة الفزع ، وقيل : التناكر يكون عند النفخة الأولى[٤] ، فإذا كانت الثانية قاموا وتعارفوا وتساءلوا وقالوا : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ [٥] .

---

١. سورة المؤمنون ، الآية (١٠١) .

٢. سورة الصافات ، الآية (٢٧) .

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٩٥ .

٤. النفخة الأولى هي نفخة الصعق والتي يموت معها كل مخلوق إلا من شاء الله ، كما في قوله : ونفخ في الصور فصعق ، والنفخة الثانية هي نفخة الأحياء ، كما في قوله تعالى : ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون .

٥. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦ ، ص ١٨٥ .

وهكذا فإن شيخ زاده لا يكتفي أحياناً كثيرة بتوجيه المصنف بل يورد وجوها أخرى سواء منسوبة إليه أم منسوبة إلى قائليها.

وفي قوله تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [1] ، يقول البيضاوي أن لا تعارض بين أن يلبس أهل الجنة أساور من ذهب في هذه الآية وفي غيرها أساور من فضة ، فيقول رحمه الله : ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [2] ، ولا يخالفه قوله أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاقبة والتبعيض، فإن حلي أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم، فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حلياً وأنواراً تتفاوت تفاوت الذهب والفضة " [3]

يقول شيخ زاده رحمه الله موضحاً ومفصلاً ومستدركاً: " قوله " ولا يخالفه " جواب عما يقال : إنه تعالى قال في سورة الكهف : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [4] ، وفي سورة الحج : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [5] ،فكيف قيل ههنا : " من فضة " ؟ وأجاب عنه بثلاثة أوجه : الأول أنه يجوز أن يجمع في أيديهم سواران سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ ، أو يجوز أن يجمع لأيديهم محاسن الجنة ، كما روي عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه أنه قال : ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة واحد من فضة وأخر من ذهب والثالث من لؤلؤ ، واحتج عليه بهذه الآيات ، والثاني : يجوز أن يكون ذلك

---

١. سورة الإنسان ، الآية (٢١) .

٢. سورة الإنسان، الآية (٢١).

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التاويل ، مجلد ٥ ، ص ٢٧٢ .

٤. سورة الكهف ، الآية (٣١) .

٥. سورة الحج ، الآية (٢٣) .

بحسب التعاقب في الأوقات أي يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة ، والثالث : يجوز أن يكون ذلك بحسب اختلاف أعمالهم " [1] .

ولزيادة الفائدة أسوق جواب ابن جماعة رحمه الله على مثل هذا الإشكال ، حيث يقول : " جوابه : من وجوه : أحدها : أن الضمير للولدان في " الإنسان " وفي " الكهف " والزخرف " للعباد ،الثاني أنهم يحلون بهما فجمع لأهل الجنة التحلي بالذهب والفضة ،الثالث: أن الأمزجة مختلفة في ذلك في الدنيا ، فمنهم من يؤثر الذهب ومنهم من يؤثر الفضة ، فعوملوا في الجنة بمقتضى ميلهم في الدنيا" [2] .

وهذا كله مجرد تمثيل إذ لا شيء في الجنة من الدنيا إلا الأسماء، كما قال تعالى: ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ ، وهذه طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية أنهما يعمدان إلى إثارة القوة التخيلية في الإنسان لتقريب المعنى إلى الذهن .

وفي مسألة خلق آدم عليه السلام ، فقد ذكرت الآيات الكريمة أن آدم عليه السلام خلق من تراب ، وتارة من صلصال ، وتارة من طين ، يقول البيضاوي رحمه الله دافعاً لظاهر الإشكال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [3] : " خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة، والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طيناً ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً ، فلا يخالف ذلك قوله تعالى : ﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ [4] ، ونحوه ، وخلق الجان الجن أو أبا الجن ، من مارج من صاف من الدخان ، من نار بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب ، ﴿ فَبِأَيِّ

---

١. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٤٤٥ .

٢. ابن جماعة ، بدر الدين (المتوفى ٧٣٣ هـ) ،كشف المعاني في المتشابه من المثاني ،الناشر : دار الوفاء ـ المنصورة ، الطبعة الأولى ،عام النشر : ١٩٩٠ م ، مجلد ١ ، ص ٢٣٩ .

٣. سورة الرحمن ، الآية (١٤) .

٤. سورة آل عمران ، الآية (٥٩) .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات" [1] .

إذن مر خلق الإنسان بمراحل ، ابتدأ بالتراب وانتهى إلى أن صار أفضل المخلوقات ، وفي أحسن تقويم .

يقول شيخ زاده رحمه الله وبعبارة ميسرة وشارحة لعبارة البيضاوي : " فإنه تعالى أخذه من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً ، ثم انتقل وتغير فصار حمأ مسنوناً ، ثم يبس فصار صلصالاً كالفخار " [2] .

فانظر إلى هذا التفصيل والتوضيح الذي يبعث على الطمأنينة والقبول، كيف لا وهو يصدر من شيخ عالم عارف مثل شيخ زاده رحمه الله وجزاه الله خير الجزاء.

وعند قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ [3] ،فإن ظاهر الإشكال مفاده أن الله تعالى قد حكم بورود جميع الناس على النار ومرورهم من فوق الصراط ، ولا يستثنى من ذلك أحد باعتبار الجنسية في قوله تعالى : " منكم " ، والآية الأخرى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [4] ، أي أن الله تعالى أبعد من تحلى بصفات وخصائص عن النار ، فكيف يكون الجمع وحل ظاهر الإشكال والتوفيق ؟

يقول البيضاوي رحمه الله تعالى موفقاً بين هذه الآية الكريمة وبين قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [5] : " وإن منكم وما منكم التفات إلى الإنسان ، إلا واردها ، إلا واصلها

---

١. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ١٧١ .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٥٧ .

٣. سورة مريم ، الآية (٧٠ – ٧١) .

٤. سورة الأنبياء ، الآية (١٠١) .

٥. سورة الأنبياء ، الآية (١٠١) .

وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم ،وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة " [1] .

وأما قوله تعالى: أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها،وقيل ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها " [2] .

يقول شيخ زاده :" وقوله " إلا واصلها " يعني أن المراد بالورود إما دخولها حقيقة لكنها لا تحرقهم بل تصير عليهم برداً وسلاماً كنار إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، كما ورد في الحديث وعليه كثير من سلف المفسرين وأهل السنة ، أو المراد به الجواز على الصراط أو القرب منها أو الجثو حولها ، ورجحه الشيخان كغيرهما ، لأنه يلائم قوله : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ﴾ [3] الخ ، لان الظاهر منه أنه تفصيل وتفريق بعدما اشتركوا فيه " [4] .

وأحياناً كثيرة – كما مر - نجد عبارة البيضاوي رحمه الله مختصرة غير واضحة وتحتاج إلى بيان وشرح ، فيتدخل شيخ زاده رحمه الله ليقوم بواجبه ودوره ، فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [5] ، يقول الإمام البيضاوي :"

١. قوله : وعن جابر أنه عليه السلام سئل عنه فقال: إذا دخل أهل الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة ، قال الحافظ ابن حجر : لم أجده عن جابر هكذا، ولأبي إسحاق وأبي عبيد في الغريب وابن المبارك في الزهد من طريق خالد بن معدان قال: إذا جاز المؤمنون الصراط نادى بعضهم بعضا: ألم يعدنا ربنا، فذكره ولم يذكره الو احدي إلا من هذا الوجه ، وقال الولي العراقي: روى الأئمة ذلك من قول خالد بن معدان وهو تابعي كبير ، رواه كذلك إسحاق بن راهويه في مسنده وعبد الله بن المبارك في الزهد وأبو عبيد القاسم بن سلام في الغريب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٤ ، ص ١٧ .

٣. سورة مريم ، الآية (٧٢) .

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٥ ، ص ٥٧٥ .

٥. سورة الزخرف ، الآية (٧٧) .

قالوا: ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا أن يقضي علينا من قضى عليه إذا أماته، وهو لا ينافي إبلاسهم فإنه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة "[١] .

وإبلاسهم هو يأسهم من النجاة ، وقد ورد في الزخرف قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ،وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢] ، أو هنا يظهر الإشكال ، فكيف يكون الكافر آيساً من أن يفتر عنه العذاب ثم هو يسأل الله تعالى عن طريق مالك عليه السلام أن يقضي عليهم فيموتوا ، فالْمُجْرِمِينَ الكاملين في الإجرام وهم الكفار – كما يقول البيضاوي رحمه الله - لاَ يُفَتَّرُ عَنْه العذاب ولا يخفف ، وفترت عنه الحمى إذا سكنت قليلاً ، وَهُمْ فِيهِ في العذاب مُبْلِسُونَ آيسون من النجاة " [٣] .

وهذه عبارة موجزة غير موضحة لوجه التوفيق بين السؤال والإبلاس ، ليأتي شيخ زاده ويوضح ويفصل كعادته ، يقول رحمه الله تعالى في حاشيته : " قوله " وهو لا ينافي إبلاسهم " جواب عما يقال : قد وصفهم الله تعالى أنفاً باليأس من النجاة ، فكيف يطمعونها وينادون مالكاً بذلك ؟ وتقرير الجواب : أن النداء المذكور إنما ينافي وصفهم باليأس أن لو كان طلب الإماتة على وجه الترجي وليس كذلك، بل هو على وجه التمني ، وقيل : لا يبعد أن يقال أنهم لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا قضية أن لا خلاص لهم من ذلك العقاب فطلبوه على سبيل الطمع والرجاء " [٤] .

فانظر إلى تفصيل ما أجمله البيضاوي رحمه الله ، والى فك مغلقه ، لترى أن الذي لا يطلع على حاشية شيخ زاده يجد الغموض وعدم الوضوح في عبارة البيضاوي مثل ما حصل من الباحث يوسف علي – حفظه الله ورعاه - عندما ذكر في رسالته العلمية المسماة " البيضاوي ومنهجه في التفسير " وخصوصاً عند إيراده هذا التوفيق في رسالته بين الآيتين

١. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٩٦ .

٢. سورة الزخرف ، الآية (٧٤ – ٧٦) .

٣. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٩٦ .

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧ ، ص ٤٨٧ .

الكريمتين عند البيضاوي رحمه الله ، لنجده يقول أن عبارة البيضاوي مختصرة لا يتبين منها المعنى بوضوح ، فلو رجع حفظه الله إلى الحاشية لما كان موقفه مثل هذا الموقف .

يقول صاحب الرسالة في هذه المسألة آنفة الذكر ما نصه: " فالبيضاوي جمع بين سؤال أصحاب النار لمالك – عليه السلام - ليقضي الله عليهم وبين يأسهم وهو بلاسهم وسكوتهم حزناً، فيبدأون بالسؤال والصراع وتمني الموت ،فعندما يعلمون أنهم ماكثون في النار ولا إجابة لطلبهم يحصل لهم البلاس " ويعلق على كلام البيضاوي ليقول : " وعبارة البيضاوي مختصرة لا يتبين منها المعنى بوضوح " [1] .

ويزيد شيخ زاده رحمه الله الأمر وضوحاً بطريقة تدعو إلى الإعجاب ، فهو يوفق بين ما ظاهره الإشكال بطريقة فذة عجيبة ، فعندما تكلم الإمام البيضاوي رحمه الله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ، وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [2] ،قال :" والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل، وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران، فإنه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم، والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لأنه إجراء وإغراء على البغي" [3] .

الانتصار من الباغي لا ينافي الغفران عند البيضاوي رحمه الله، فالانتصار له محله، والغفران كذلك، وإلا لتجاوز الباغي وتمادى.

فمحل ظاهر الإشكال هنا وصفهم بأنهم يغفرون إذا ما غضبوا، وبذات الوقت ينتصرون إذا ما بغي عليهم، فكيف تكون المغفرة والانتصار صفتان ممدوحتان بذات الوقت، ولذات الشخص ؟.

١. علي ، يوسف احمد ، البيضاوي ومنهجه في التفسير ، رسالة علمية ، ص ٢٣٥ .

٢. سورة الشورى، الآية (٣٧ – ٣٩).

٣. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٨٣.

وتقرير كلام البيضاوي رحمه الله واضح وبين في التوفيق بين الأمرين مع كونه مختصراً ، وعند الرجوع إلى شيخ زاده لمعرفة تحشيته وشرحه واستدراكه على البيضاوي وجد الباحث أن كلام زاده قد فصل تفصيلاً واضحاً يدعو بالفعل إلى الإعجاب بهذا الشيخ ، وليقرر الباحث من خلال ما عرض شيخ زاده من تعليق أن الدروس التي كان يلقيها شيخ زاده في المساجد – كما مر سابقاً – كانت موفقة ، وتناسب الناس الذين كانوا يستغلقون كلام البيضاوي ، وكانت بالفعل تحشيته في محلها والحاجة إليها ماسة ، في ذاك الزمن ، وباعتقاد الباحث وفي هذا الزمن باعتبار الضعف في الفهم والإدراك اللذان أصابا الأمة بعد عز وعلم ، وللقارئ الحكم ، يقول شيخ زاده رحمه الله : " قوله : " وهو لا يخالف وصفهم بالغفران " جواب عما يقال :أنه تعالى جعل العفو عن الجاني وغفرانه صفة مدح حيث جعله سبباً لاستحقاق الثواب الباقي ،وهو يدل على أن ضده وهو الانتصار من الباغي صفة نقصان ، وقد جعل في هذه الآية صفة مدح أيضاً ، فكيف يكون كل واحدٍ من المتقابلين صفة مدح ؟ وتقرير الجواب – والكلام لشيخ زاده – أن الغفران عبارة عن التجاوز عن ذنب الذليل العاجز والانتصار من الباغي هو الانتقام من الظالم الغالب ، فلا تقابل بينهما حتى يلزم من كون أحدهما صفة مدح كون الآخر صفة نقصان ، والحاصل أن العفو على قسمين : أحدهما العفو الذي يكون سبباً لتسكين الفتنة ،ورجوع الجاني عن جنايته ، والثاني ما يكون سبباً لمزيد جراءة الجاني وازدياد سفاهته ، فآية العفو محمولة على القسم الأول ، وهذه الآية محمولة على القسم الثاني فلا مخالفة " [1] .

فتقسيم شيخ زاده رحمه الله العفو إلى القسمين السابقين يدفع الإشكال ويزيل الإبهام وبالتالي يكون العفو عن الظالم في محله والانتصار من الباغي في محله ، وتبقيان صفات مدح لذات الشخص ، وبذات الوقت ، وهذا يطمئن النفس بالعفو لمن قام به ، ويشعر المنتصر بالعزة والكرامة لمن انتصر دون الخوف والركون إلى المهادنة التي تكون في غير محلها في كثير من الأحيان بسبب سوء الفهم لهذه الآية الكريمة .

وقسم شيخ زاده كذلك الجدال إلى قسمين في محاولة منه لدفع ظاهر الإشكال الذي قد يقع عند قراءة الآية الكريمة الرابعة من سورة غافر ، حيث ذكر البيضاوي رحمه الله تعالى كعادته دفع الإشكال بطريقة مختصرة ، ليقوم شيخ زاده بدوره في تفصيلها .

١. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي، مجلد ٧، ص (٤٣٦ – ٤٣٧).

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [1] ، ما نصه : " ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وإدحاض الحق لقوله: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [2] ، وأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات " [3] .

صحيح أن البيضاوي رحمه الله تعالى فرق بين جدالين أحدهما مذموم والأخر مطلوب وممدوح ، جدال لإحقاق الحق ، فهو من أعظم القربات والطاعات ، وجدال لدحض الحق وهذا جدال مذموم .

إلا إن شيخ زاده رحمه الله يزيد الأمر تأصيلاً ووضوحاً، ويجيب عن التساؤل الذي مفاده أن الجدال يقع من الكفار ويقع كذلك من المؤمنين، فكيف خصص هنا بالذين كفروا ؟ ، يقول : " وتقرير الدفع أن الجدال نوعان : جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل ، والأول حرفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،قال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [4] ، وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه الصلاة والسلام : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [5] " [6] .

---

١. سورة غافر، الآية (٤).

٢. سورة غافر، الآية (٥) .

٣. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٥١ .

٤. سورة النحل، الآية (١٢٥).

٥. سورة هود، الآية (٣٢).

٦. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧، ص ٢٩٢.

وفرق بيّن وواضح بين جدالٍ يقر حقاً ويدفع باطلاً، وبين جدالٍ يقر باطلاً ويدحض حقاً.

قال ابن جماعه رحمه الله في كشفه : " قوله تعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقال تعالى في العنكبوت : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ، وكم في اختلاف آيات القرآن وأحكامه من جدل واختلاف بين أئمة المسلمين الكبار ؟ جوابه : أن المراد هنا الجدال بالباطل لإبطال الحق كقوله تعالى : ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[2] ، وجدال المسلمين لإظهار الحق منه وفيه لا لدحوضه"[3] .

وأحياناً يلتفت شيخ زاده إلى موضع يحتاج إلى فض الإشكال فيه أو إزالة التوهم عنه ، هذا الموضع لم يلتفت إليه الإمام البيضاوي ، فيقوم بدوره في حل هذا الإشكال ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[4] ، يقول البيضاوي رحمه الله : " لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فإن الرسول لا يقول عن نفسه ، كريم على الله تعالى وهو محمد أو جبريل عليهما الصلاة والسلام "[5] .

وهنا قد يرد إشكال مفاده أن كون القرآن الكريم هو كلام الله تعالى قولاً واحداً لا خلاف في ذلك ولا جدال ، فكيف يصح أن يقال أنه قول رسول ، وهذا الرسول صفته أنه كريم ، وقد ذكر المفسرون أن المقصود به هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على قول ، وفي قول آخر أن المقصود به سيدنا جبريل عليه السلام ، كما رأينا من كلام الإمام البيضاوي مثلاً ، فكيف يكون كلام الله وكلام الرسول وكلام جبريل على ما ذكرت الآية الكريمة ؟

---

١. سورة العنكبوت ، الآية (٤٦) .

٢. سورة الكهف، الآية (٥٦).

٣. ابن جماعه، كشف المعاني، مجلد ١، ٣١٨.

٤. سورة الحاقة، الآية (٤٠).

٥. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٢٤٢.

يجيب عن هذا التساؤل شيخ زاده رحمه الله تعالى فيقول : " قوله " وهو محمد أو جبريل عليهما الصلاة والسلام " فإن قيل : لا شك أن القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح أن يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى وكلام جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام " أجيب – والكلام لشيخ زاده – بأن الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة ، فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة أظهره في اللوح المحفوظ ورتبه ونظمه ، وهو أيضاً كلام جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث إنه أنزله من السماوات على الأرض وتلاه على خاتم النبيين ، وهو أيضاً كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من حيث إنه أظهره للخلق ودعا الناس إلى الإيمان به وجعله حجة النبوة " [1] .

وهكذا يجلي شيخ زاده الصور ويدفع الإشكال ويقطع الطريق على الطاعنين الذين يبحثون هنا وهناك للمز والغمز بهذا الدين ، ويبحثون ما وسعهم الجهد لإثارة الشكوك في هذا الدين ، وأنى لهم هذا وكلام الله محفوظ بحفظ الله تعالى ، وبتسخير الله تعالى للعلماء الربانيين من أمثال إمامنا البيضاوي وتلميذه الفذ شيخ زاده رحمهما الله تعالى .

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [2] ،

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله : " وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيامة، وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن " [3] .

وفي كلام البيضاوي رحمه الله تعالى إشارة إلى أن الفزع الذي يأمن منه من جاء بالحسنة هنا هو خوف عذاب يوم القيامة وهذا لا يمنع التهيب لما يرى من الأهوال

١. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨ ، ص ٣١٠.

٢. سورة النمل، الآية (٨٩).

٣. البيضاوي، انوار التنزيل واسرار التاويل، مجلد ٤، ص ١٦٩.

والعظائم يوم القيامة وهذا يعم الكافر والمؤمن ، وهنا توهم إشكال مع قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [1] .

وعلى الرغم من الاستثناء في كوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ إلا أن التوهم ما زال قائماً ، وهنا نبحث عن كلام شيخ زاده في تفسيره لكلام البيضاوي فنجد دفع الإشكال عنده بما يريح الخاطر ويطمئن القلب ، فهو يقول : " " قوله : يعني به خوف عذاب يوم القيامة " إشارة إلى دفع التدافع بين قوله : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ وبين قوله : ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ فإن من قرأ من " فزع يومئذ " بالإضافة يحمل الفزع على الفزع المختص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الأليم والعقاب الدائم ، وأهل الجنة آمنون منه ، وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم على ما عليه الجبلة البشرية فإنه يعم الكافر والمؤمن " [2] .

وبهذا يتبين لنا هذا الكم الهائل من الفوائد والفرائد والاستدراكات والايضاحات والتفصيلات التي ملئ بها شيخ زاده هذه الحاشية القيمة على هذا التفسير العظيم .

١. سورة النمل، الآية (٨٧).

٢. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦، ص ٤٢٤.

المبحث السابع

استدراكاته في أقواله في الأحرف المقطعة في أوائل السور

الأحرف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم ، موضوع له أهميته في دراستنا هذه على اعتبار أن الإمام البيضاوي رحمه الله ذكر وجوها لبيان معاني هذه الحروف يجدر الوقوف عليها لما لها من دور هام في إزالة الخطأ والخلل الذي وقع فيه الكثير ممن تحدثوا عن هذه الحروف ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى، فإن شيخ زاده رحمه الله استدرك وناقش الإمام البيضاوي رحمه الله في كلامه عن الأحرف المقطعة بما لا يستغني عنه عالم" عوضا" عن طالب علم.

وقد وردت الأحرف المقطعة في القرآن الكريم في تسعا" وعشرين سورة وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفا" يجمعها قولك (نص حكيم قاطع له سر) ، ومن المؤكد أننا مطالبون أن نفهم هذا السر في هذا النص الحكيم ، وذلك بإعمال العقل والقلب وتسخير أدوات المعرفة وكل ما يمكن من أجل الوصول إلى مثل هذا السر ، وما أجمل ما قاله الإمام الزركشي في برهانه : " وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهي مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه مشتملة على خلق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر فتأمل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم " [1] .

وقد ذكر المفسرون أقوالا" كثيرة" في بيان المراد بهذه الأحرف المقطعة ، تراوحت بين قسمين : قسم يقول بأنها من المتشابه الذي يجب أن نؤمن به كما هو ،ولا يصح لنا الخوض فيه ، وقسم قالوا بأنه لا يوجد في القرآن الكريم ما لا يمكن فهمه وتأويله ، بل يجب أن نبحث فيه وعن الفائدة من ذكره على اعتبار أننا مخاطبون به ، وهؤلاء تعددت الأقوال عندهم وكثرت في تأويلهم لهذه الأحرف المقطعة ، منه ما هو ممكن ويحتمل أن يقال به دون القطع أو الجزم ، كحال المفسر في بيانه لكلام الله تعالى ، ومنه ما لا يمكن القول به أو قبوله على اعتبار شذوذه وعدم احتمال النص له ، ولست هنا بصدد ذكر هذه الأقوال وتمحيصها ،

---

١. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مجلد ١ ، ص ١٦٨ .

اللهم تلك الأقوال التي قال بها أو ذكرها الإمام البيضاوي واستدرك عليه فيها شيخ زاده رحمه الله باعتبار أن ذلك محل هذه الدراسة ، فأقول وبالله التوفيق .

ذكر الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أقوالاً كثيرة في المراد بالحروف المقطعة في أوائل السور ، واستعرض هذه الأقوال عند تفسيره للآية الأولى من سورة البقرة وهي قوله تعالى : ﴿ الم ﴾ [1] ، وكان مما ذكره من معناها أنها أسماء ، أي أن هذه الحروف هي أسماء ومسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم " [2] .

إذن فالبيضاوي رحمه الله تعالى يحدد أن هذه الحروف هي أسماء ويدلل على قوله هذا بما صرح به الخليل وأبو علي، وهما من هما في اللغة وفنونها.

وقد ذكر البيضاوي رحمه الله أن المعنى الاصطلاحي الجديد للحرف غير المعنى الذي ورد في الحديث الشريف ، وهو ما رواه عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**) [3] .

فالمراد به كما يقول البيضاوي رحمه الله تعالى" غير المعنى الذي اصطلح عليه، ولعله سماه باسم مدلوله" [4] .

ثم بين رحمه الله أن افتتاح السورة بطائفة منها إيقاظاً لمن تحدى بالقرآن وتنبيهاً على أن أصل المتلو عليهم كلامٌ منظومٌ مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه، وليكون أول ما

---

١. سورة البقرة، الآية (١).

٢. انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ١، ص ٣٣.

٣. ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود رفعه بعضهم ووقفه بعضهم عن ابن مسعود ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه سمعت قتيبة يقول بلغني ان محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي صلى الله عليه و سلم و محمد بن كعب يكنى أبا حمزة ، قال الشيخ الألباني : صحيح . انظر : الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي ،الجامع الصحيح سنن الترمذي ،الناشر : دار إحياء ،التراث العربي – بيروت ،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، مجلد ٥ ، ص ١٧٥ ، حديث رقم ٢٩١٠ .

٤. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ١، ص ٣٣.

يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز، فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس، فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فنه ،وأخذ أيضاً رحمه الله في تعداد الأقوال في هذه الحروف المقطعة فذكر إنها أسماء القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن ،وقيل: إنها أسماء لله تعالى ،وقيل: إنه سر استأثر الله بعلمه "[1] .

ويتعرض شيخ زاده رحمه الله لهذه المسألة ويناقش ويضرب الأمثلة المثبتة لما يقول ثم يستدرك على الإمام البيضاوي ، فتجده يقول : " ولو كانت هذه الحروف أسماء لما دلت على معنى في أنفسها ، ولو كانت أفعالاً لكانت مدلولاتها مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة فتعين كونها أسماء لأنها كلمات موضوعة ، واستدل عليه أيضاً بوجود خاصية الاسم فيه من التعريف والتنكير وغيرها ، وذكر مع ذلك استشهاد البيضاوي بإمامين عالمين في العربية هما الخليل وأبو علي على أن الحروف المقطعة في أوائل السور حروف وليست أسماء .

يقول شيخ زاده مستدركاً ، بل ومخالفاً : " لكن عندي ما يدل على حرفيتها وهو أنه عليه الصلاة والسلام قد حكم عليها بالحرفية حيث قال : ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، فذكرت من الدليل القائم على اسميتها معارض بهذا الدليل ، وتقرير الجواب أن الحديث المذكور إنما يكون معارضاً لما ذكرنا من دليل اسمية الألفاظ المذكورة لو كان الحرف بالمعنى المصطلح عليه عند النحاة وهو كلمة لا تدل على معنى في نفسها ، وهذا القسم من الكلمة – والكلام لشيخ زاده – هو المسمى بحروف المعاني كالحروف العاطفة والجارة والمشبهة بالفعل وغيرها ، فإنه لو كان المراد بالحرف المذكور في لفظ الحديث الحرف بهذا المعنى لكان الحديث معارضاً لدليل اسمية الألفاظ المذكورة ، لكن ليس المراد بالحرف المذكور فيه الحرف بالمعنى المصطلح عليه عند النحاة ، فإن تخصيص الحرف بالمعنى المصطلح عليه عرف متجدد تعارف عليه علماء النحو وحدث بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم فوجب أن لا يكون مراده عليه الصلاة والسلام بالحرف ذلك المعنى المصطلح عليه بل يكون مراده عليه الصلاة والسلام به الحرف بالمعنى اللغوي وهو الطرف ، والحرف بمعنى الطرف يتناول جميع حروف المباني ويتناول أيضاً أقسام الكلمة لخروج أصواتها عن أطراف اللسان فكون الألفاظ المذكورة حروفاً بالمعنى اللغوي

[1]. انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ١، ص ٣٣.

لا ينافي اسميتها فلم يكن الحديث معارضاً لما قلنا من اسميتها " [1] .

ثم قال : " واعلم أن هناك طريقاً آخر لدفع المعارضة أسهل مما ذكره المصنف وهو أن يقال : الحديث المذكور لا يدل على لفظ الألف واللام والميم التي هي عبارة عن مسمياتها حروف ، حتى يصلح لان يورد في مقام المعارضة ، بل الظاهر أن المراد من قوله عليه الصلاة والسلام :" ألف حرف ولام حرف وميم حرف " الحكم على مسمياها بالحرفية كما إذا قلت زيد عالم ، فإنك إنما تريد به الحكم على المسمى بزيد لا على لفظه ، ومن المعلوم أن مسميات الألفاظ المذكورة حروف بلا شبهة فبقي دليل اسميتها سالماً عن المعارضة لأن كون مدلولات الألفاظ المذكورة حروفاً لا ينافي اسمية أنفس الألفاظ الدالة عليها ، إلا أن المصنف لم يلتفت إلى هذا الجواب" [2] .

ويلخص أيضاً عند وقوفه على أوائل سورة يونس عليه الصلاة والسلام عند قوله تعالى: { الر } : فيقول رحمه الله " وقد مر أن في فواتح السور وجهين : أحدهما أنها من جنس كلامهم ، أو من جهة ورودها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم " [3] ، على اعتبار ورودها من نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب .

وفي أول سورة هود عليه السلام ، لا نجد الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى تكلم في معنى الحروف المقطعة ، اللهم إلا أنه قال : " الر كتاب مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف " [4] ، ثم شرع في التفسير ، بينما نجد أن شيخ زاده قد فصل في الحديث عن الأحرف المقطعة في أول هذه السورة ، فقال رحمه الله : " إن كان " الر " اسم السورة يكون مبتدأ و" كتاب " خبره ، وإن كان مذكوراً على نمط تعديد الحروف للتحدي والإعجاز من حيث دلالته على أن المتحدي به من جنس ما يركبون منه كلامهم ، فلولا أنه من عند الله تعالى لما عجزوا عن الآتيان بمثله " [5] .

---

١. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ١، ص ١١٤.

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ١ ، ص ١١٤ .

٣. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي، مجلد ٤، ص ٥٣٨.

٤. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٣، ص ١٢٧.

٥. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤، ص ٦١٤.

وفي سورة يوسف لا نجد الإمام البيضاوي تكلم بكلمة عن الأحرف المقطعة في بداية السورة الكريمة ، لنجد أن شيخ زاده رحمه الله يقول : " الظاهر أن " الر " اسم للسورة والتقدير : الر هذه السورة ، الر أي مسمى هذا الاسم ، إن أبقيتها على أصل معانيها وهي أن تكون اسماً للحروف التي تتركب منها الكلم ، وان جعلتها تعديداً للحروف على طريق التحدي نزلتها منزلة أن يقال : المؤلف من هذه الحروف أو المؤلف منها هو المتحدى به " [١] .

وأرى أن الإمام البيضاوي لم يتخذ نهجاً واحداً واضحاً في التعامل مع الأحرف المقطعة ، ففي حين لم يقل كلمةً واحدةً في الحروف المقطعة في بداية سورة يوسف ،إلا أنه يذكر معنى هذه الأحرف في بداية سورة الرعد فهو يقول :" " المر" قيل معناه : أنا الله أعلم وأرى " [٢] .

وشيخ زاده رحمه الله يخالف البيضاوي في هذا فهو يقول إن الظاهر أن " المر " كلام مستقل وتقديره هذه " المر " أي سورة مسماة ب " المر " [٣] ، تأكيداً لما قرره أول الكلام في سورة البقرة .

وفي سورة إبراهيم عليه السلام يذكر شيخ زاده رحمه الله أن " الر" إما أن تكون اسماً للسورة ، وإما أن تكون تعديداً للحروف لبيان الإعجاز ، وقال مثله وبتفصيل أكثر في سورة الحجر .

أما في سورة مريم ، فعند قوله تعالى : " كهيعص " فقد فصّل فيها تفصيلاً واسعاً من حيث القراءات ، ولكنه لم يأت بجديد فيما يتعلق بالأحرف المقطعة ، غير ما ذكر سابقاً.

واعتبار أن الأحرف المقطعة في أوائل السور هي أسماء للسور مما ردده كثيراً شيخ زاده عند تناوله لهذه الأحرف، وهذا ما لا أقبله على ما سنرى بعد قليل.

أما في سورة العنكبوت فقد أفاض وأجاد في الإفاضة ، وسطر كلاماً قيماً في هذا الباب أجد أن من الضرورة الإشارة إليه ، فعلى الرغم من أن الإمام البيضاوي رحمه الله لم

---

١. شيخ زاده، الحاشية، مجلد ٥، ص ٣.

٢. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٣، ص ١٨٠.

٣. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٥، ص ٨٨.

يزد على أن قال عن " الم " سبق القول فيه ، فإن شيخ زاده ذكر - كما مر سابقاً - كلاماً مفصلاً واجتهاداً موفقاً بإذن الله تعالى ، فبعد أن ذكر ما قرره سابقاً من القول بالمراد في الأحرف المقطعة ، يقول رحمه الله : " ثم اعلم أن حروف التهجي التي ذكرت في أوائل أكثر السور ذكر بعدها الكتاب أو التنزيل أو القرآن كقوله تعالى : ﴿ الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ [1] ، ﴿ الم، اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ [2] ، ﴿ المص ، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [3] ، ﴿ يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [4] ، ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [5] ، ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [6] ، ﴿ الم ، تَنزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ [7] .

•وأخيراً قوله تعالى : ﴿ حم، تَنزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ [8] ، وآيات أخرى ، ولم يذكر بعدها شيء من ذلك في ثلاث سور ﴿ كهيعص ﴾ [9] ، ﴿ الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ ﴾ [10] ، ﴿ الم ، غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ [11] ، والحكمة في افتتاح السور التي ذكر بعد حروف التهجي القرآن أو التزيل أو الكتاب بتلك الحروف المنبهة هي أن القرآن عظيم الشأن وكذا الإنزال

---

١. سورة البقرة، الآية (١ – ٢).

٢. سورة آل عمران، الآية (١ – ٣).

٣. سورة الأعراف، الآية (١ – ٢).

٤. سورة يس ، الآية (١ – ٢) .

٥. سورة ص، الآية (١).

٦. سورة ق، الآية (١) .

٧. سورة السجدة ، الآية (١ – ٢) .

٨. سورة غافر، الآية (١ – ٢).

٩. سورة مريم ، الآية (١) .

١٠. سورة العنكبوت، الآية (١ – ٢).

١١. سورة الروم، الآية (١ – ٢)

والكتاب وإنزال الوحي له ثقلٌ عظيمٌ لا تطيق القوة الحيوانية ثقله ، قال تعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [1] ، فكل سورة في أوائلها ذكر القرآن أو الكتاب أو التنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه " [2]

ومع هذا الكلام القيم فقد وجدت أن شيخ زاده قد خالف كلامه هذا عند تعرضه للأحرف المقطعة في سورة الروم ، فعلى الرغم من عدم تعرض البيضاوي رحمه الله تعالى لها إلا أن شيخ زاده قال : " افتتحت هذه السورة الكريمة – الروم – بحروف التهجي مع أنه لا يفهم منها معنى يقصد تبليغه لتنبيه السامع وإيقاظه حتى يقبل على استماع ما يلقى إليه بقلب حاضر ، فإنه لما ذكر في أول هذه السورة ما هو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إخباره عن الغيب الذي هو غلبة الروم على فارس في بضع سنين افتتحت بهذه الحروف لينتبه السامع فيقبل بقلبه على استماع ما يلقى إليه بعدها " [3] .

وفي الأحرف المقطعة في سورة لقمان قال الإمام البيضاوي في تفسيرها : " سبق بيانه في «يونس" [4] .تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القران من الآي، ويعلق شيخ زاده على كلام البيضاوي قائلاً : " فالظاهر على هذا أن يكون " الم " اسماً لهذه السورة أو القرآن " [5] .

وفي معنى الأحرف المقطعة في سورة " يس " يضع الإمام البيضاوي رحمه الله أكثر من معنى لهذه الأحرف ، فهي عنده ك " الم " في المعنى والإعراب ، أو معناه يا إنسان بلغة طي ، على أن أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به " [6].

---

١. سورة المزمل ، الآية (٥) .

٢. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦، ص ٤٨٢.

٣. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦، ص ٥٢٥.

٤ . البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التاويل، مجلد ٤، ص ٢١٢.

٥. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ،مجلد ٦، ص ٥٦٣.

٦. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٤، ص ٢٦٣.

لنجد عندها شيخ زاده رحمه الله تعالى يخرج معارفه ويبذل جهده في الحديث وبإسهاب لا يوجد مثله في غير هذا الموضع فهو يذكر الاحتمالات التي ذكرها إمامه البيضاوي رحمه الله : " أولها أن يكون كل واحد من لفظ ألف ولام وميم اسماً لمسماه المعين لا على صور أساميها على أن المقصود إيقاظ وتنبيه لمن تحدى بالقرآن ليستيقنوا أنه من عند الله تعالى ، وأن التالي لها نبي أمي لم يخط ولم يدرس ، وثاني هذه الاحتمالات أنها اسم سمي به السورة أو القرآن على ما سبق ذكره ، تنبيهاً على الإعجاز " [١] .

وذكر شيخ زاده أيضاً هنا اختلاف المفسرين في الأحرف المقطعة في القرآن ، فذهب قوم إلى أنها مما استأثر الله بعلمه ،وفسرها آخرون – كما سبق بيانه ، ثم يقول شيخ زاده كلاماً في غاية الأهمية والإتقان مما يبعث على الطمأنينة والرضى ، وذلك على اعتبار أن الأحرف المقطعة مما استأثر الله تعالى بعلمه وأن هذا لا ينافي كوننا نتعبد الله تعالى بتلاوة هذه الآيات ، حتى ولو لم نصل إلى المراد منها ، فيقول : " فإن من الأحكام الشرعية ما يجب الإيمان به لقيام الدليل السمعي عليه ولم يكن للعقل سبيل إلى إدراك وجهه كالصراط الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف ، وكالميزان الذي يوزن به الأعمال مع أنها لا ثقل لها لكونه من خواص الأجسام ، وكمقادير أعداد الركعات ، والحكمة في ذلك أن العبد إذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفوائد لا يكون إتيانه به إلا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم فائدته فإنه حينئذ ربما يأتيه لتلك الفائدة ، فعلى هذا إذا تلفظ بشيء من هذه الفواتح مع أنه لا يفهم منه ما يفهمه من سائر الآيات لا يكون تلفظه به إلا امتثالا لما أمر به فيكون أقرب إلى التعبد " [٢] .

ولعل في هذا الكلام – بوجه أو بآخر - دعوة خفية من شيخ زاده رحمه الله تعالى إلى إعمال العقل وإيقاظ الهمم والبحث الدؤوب عن معاني هذه الأحرف والمراد منها لتكون الفائدة مضاعفة ، وإلا فإن الإنسان المؤمن يتعبد الله تعالى بتلاوتها ولو لم يعرف معانيها ، ولا نجد مثل هذا التوضيح عند البيضاوي على الأقل في مثل هذا الموضع .

١. انظر : شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧، ص ٥٠.

٢. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧، ص ٥١.

ومن المعلوم أن العقل أصل النقل لأننا تلقينا النقل بعقولنا، وموقف الإسلام من العقل أنه يحاكمه ويحتكم إليه فيما للعقل فيه مجال، فإذا انتهى العقل عند حدوده تولى قيادته الإيمان.

وفي سورة "ص" وعند تفسيره للأحرف المقطعة هنا وهي قوله تعالى:"ص" ذكر ما لم يذكره في غير هذا الموضع ، فذكر أقوالاً محتملة عنده لمعنى " ص " ، منها أنها من المصادّة بمعنى المعارضة ، أي عارض القرآن بعملك بمعنى إعمل بأوامره وانته عن نواهيه ، وعلى اعتبار أن الواو في "والقرآن ذي الذكر" للقسم فإن "ص " اسماً للحرف أو مذكور للتحدي، أو للرمز بكلام ، مثل صدق محمد عليه الصلاة والسلام، أو للسورة خبر المحذوف أو لفظ الأمر، وللعطف إن جعل مقسماً به كقولهم: الله لأفعلن بالجر والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي، أو الأمر بالمعادلة أي إنه لمعجز أو لواجب العمل به، أو إن محمدا لصادق"[1] .

وفي نظري أن في أقوال البيضاوي رحمه الله هنا أقوالاً غير معتبرة أو مقبولة فهو هنا يفسر " ص " بالرمز ، وهو كما نعرف من الأقوال غير المقبولة في تفسير الأحرف المقطعة ، وإلا لقال من شاء ما شاء كما هو معروف ، ولفتح مجال للاجتهادات التي لا يحتملها النص من جهة ولا يمكن قبول تفسير دون أخر مهما كان بعده من جهة أخرى .

وقد وافق شيخ زاده رحمه الله تعالى إمامه البيضاوي ، فقال : " وحاصل كلام المصنف أن " ص " إما اسم أو فعل من المصادة ، وأن الواو في " والقرآن " للقسم على جميع التقدير إلا إذا جعل " ص " مقسماً به على أن يكون اسماً للسورة أو اسما للحرف ويكون قسماً بحرف من حروف المعجم ، أو اسماً من أسماء الله تعالى، أو مفتاح اسمه الصمد ، أو صادق الوعد فغن الواو حينئذ تكون للعطف لا للقسم ، ولو قال:دل عليه ما في "ص" من الدلالة على التحدي أو الأمر بالمعادلة أو الرمز إلى نحو:صدق محمد لكان أولى"[2] .

والذي أراه – والله أعلم - أن القول بالرمزية ليس له معيار يضبطه ، وعدم القول به كمعنى من معان الأحرف المقطعة أولى – على الأقل من وجهة نظري – فهذا اسلم وأحوط ، فليست " ص " اسما من أسماء الله تعالى ، فأسماء الله تعالى توقيفية كما هو مقرر ،

---

١. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٢٣.

٢. انظر: شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧، ص ١٧٤.

وليست اسماً من أسماء القرآن الكريم ، وليست مفتاحاً لاسم الصمد دون غيره من الأسماء ، ولا لصادق دون غيرها من الصفات ، هذا والله تعالى أعلم .

أما في سورة الشورى، فقد قال البيضاوي رحمه الله عن الأحرف المقطعة في قوله تعالى: ﴿ حَمَ. عَسَقَ ﴾ [1]: " حم ،عسق " لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين، وإن كانا اسماً واحداً فالفصل ليطابق سائر الحواميم، وقرئ "حم عسق" [2] .

وشيخ زاده رحمه الله يقول معلقاً على كلام البيضاوي حين قال : " ولذلك فصل بينهما " أجاب عما يقال : أنهم أجمعوا على أنه لا يفصل بين ﴿ كهيعص ﴾ وعلى أنه يفصل هاهنا بين ﴿ حم ﴾ و﴿ عسق ﴾ فما السبب فيه "؟ وعما يقال : إنهما عدا آيتين وأخواتها مثل ﴿ كهيعص " و ﴿المص " و ﴿ المر﴾ عدت آية واحدة فما السبب فيه أيضاً ؟ بجواب واحد وهو قوله : " لعله اسمان للسورة " ، قال الإمام : " واعلم أن الكلام في أمثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل إليه ، فالأولى أن يفوض علمه إلى الله تعالى " [3] .

هذا عوضاً عن أن آيات القرآن الكريم – كما هو مقرر - توقيفية لا تخضع للرأي والمناقشة ، والله أعلم وأحكم .

وعلى كلام البيضاوي رحمه الله فإن " حم " اسما للسورة ، و" عسق " اسماً آخر في حالة الفصل على اعتبار أنهما آيتان ، أما إذا اعتبرناها أية واحدة فتكون اسما واحداً هو "حم عسق" ، وقد ذكرت سابقاً عدم قبولي أن تكون الأحرف المقطعة أسماءً للسور لاعتبارات كثيرة منها أن عدداً من السور قد تكررت فيه الأحرف المقطعة نفسها فلا يصلح أن يكون الاسم الواحد لأكثر من سورة لانعدام التمييز بينهما ، ولغير ذلك من الأسباب.

---

١. سورة الشورى، الآية (١ – ٢).

٢. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٧٦.

٣. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧، ص ٤٠٢.

وأقبل ما ذكره شيخ زاده رحمه الله منسوباً إلى الإمام من أن الكلام في أمثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل إليه ، فالأولى أن يفوض علمه إلى الله تعالى ، وهذا ما ترتاح إليه النفس .

وهذا الكلام يختص في اعتبار أن هذه الأحرف المقطعة أسماءً للسور ، ولم عد هذه آية ، وتلك أكثر ، أما في مجال البحث في المعنى للأحرف المقطعة فهذا ميدان يجب على المختصين سبره والغوص فيه لاستخراج المعنى المناسب ، لأنه وكما مر لا يوجد في كتاب الله تعالى ما لا يمك فهمه ، فهو كتاب هداية للناس ، وفيه ذكرى لأولي الألباب .

وأقف موقف الاستغراب من البيضاوي وشيخ زاده رحمهما الله كيف يقولان بأن الأحرف المقطعة هي أسماء لله تعالى أو أسماء للسور أو حتى أسماء للقرآن الكريم ، والأغرب من ذلك أنهما يسوقان أقوالاً الأولى عندي – والله أعلم - عدم ذكرها [1] ، على الرغم من أنها قد تكون صحيحة المعنى إلا أن إسقاطها على الأحرف المقطعة يفتقر إلى الدليل والإقناع ، ويفتح باباً لا يسد ، فها هو شيخ زاده يذكر مثلاً أن " ق " قد تكون اسماً للسورة ، أو اسماً للقران ، وقيل - والكلام لشيخ زاده رحمه الله - أن " ق " كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما جبل من زمرد [2] ، وقيل أيضاً - والكلام لشيخ زاده - أن " ق " بمعنى قضى ، أي قضى ما هو كائن ، أي أنه يقول بالرمزية التي رفضتها بداية ، وقيل هو اسم فاعل من قفا يقفوا ومعناه هذا قافي جميع الأشياء بالكشف [3] ، وكل هذا قد يصلح معنى ولكن لا يصلح تحديده معنى للأحرف المقطعة على الأقل من وجهة نظري ، اللهم إلا ما ثبت تفسيره بالمأثور من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصحت النسبة إليه .

١. انظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التاويل، مجلد ٥، ص ٢٣ .

٢. الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله ،المستدرك على الصحيحين ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠ ،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، مجلد ٢ ، ص ٥٠٤ ، حديث رقم ٣٧٢٧ ، قال : وسكت عنه الذهبي في التلخيص . وإذا قلنا بهذه الرواية يكون هذا تفسيراً مأثوراً لا مجال للراي فيه ، وبالتالي فإن القول به مقبول من هذه الناحية فقط ، والله أعلم .

٣. انظر: شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧، ص ٤٠٣.

وعليه فإنني لا أوافق الامام البيضاوي ولا شيخ زاده رحمهما الله عند ذكرهما لمعنى " ن " في قوله تعالى : ﴿ ن ،وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [1] ، فقد ذكر البيضاوي وتابعه في ذلك شيخ زاده أن "ن" اسم الحوت والمراد به الجنس أو اليهموت وهو الذي عليه الأرض، وقد قيل أن هذا اليهموت حيوان ضخم خلق الله تعالى الأرض على ظهره ،فلما تحرك جعل الله تعالى الجبال تثبيتاً لها ، وهذا من الإسرائيليات التي يجب أن نربأ عنها أو عن ذكرها في التفسير ، أو "ن" بمعنى الدواة ، وقد فسر شيخ زاده " ن " بالحوت وهي بمعنى السمكة ، واستشهد لذلك بقوله تعالى في حق سيدنا يونس عليه السلام : ﴿وَذَا النُّونِ ﴾ [2] ، فالمراد بالحوت عنده أما جنس الحوت كفرد من أفراده وهو اليهموت الذي بسطت الأرض على ظهره ، أو قال هي الدواة على سبيل الاستعارة فإنه يستخرج بها المعارف والفوائد [3] .

أقول أن معنى الأحرف المقطعة يتجاوز مثل هذه الأقوال ولا يقف عندها وإلا فتحنا باب المجازفات، والأولى تركه كما مر قريباً.

ولعلي أتساءل هنا مع جار الله الإمام الزمخشري رحمه الله عن قولهم إن " ن " هي الدواة ، فما أدرى أهو وضع لغوى أم شرعي ؟ [4] ، ولا دليل على أحدهما .

١. سورة القلم، الآية (١).

٢. سورة الأنبياء، الآية (٨٧).

٣. انظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٢٣٣. وانظر: شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٨، ص ٢٨٧.

٤. الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨ هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ،سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ ، مجلد ٤ ، ص ٥٨٤ .

المبحث الثامن

استدراكاته في العام والخاص في القرآن

ومن علوم القرآن الكريم التي ينبغي الوقوف عندها علم العام والخاص ، وهما من العلوم الهامة والتي من شأنها أن تعين على فهم آيات الكتاب على اعتبار أن هناك آيات تفيد العموم وأخرى يراد بها الخصوص ، وهذا بالتالي قد يشكل على الفهم عند من لم يدرك مثل هذا العلم .

وقبل البدء باستعراض الأمثلة على العام والخاص لا بد للباحث أن يقف على تعريف العام والخاص لغةً واصطلاحاً حتى يتسنى لنا إدراك الأمثلة من القرآن الكريم عند مناقشتها، أقول وبالله التوفيق.

العام لغة

يقول ابن فارس رحمه الله في مقاييسه: " عمّ : العين والميم أصل صحيح واحد يدلُّ على الطُّول والكَثرة، ومن الجمع قولهم: عمنا هذا الأمر يعمنا عموما، إذا أصاب القوم أجمعين" [١] .

وفي صحاح الجوهري أن العامة: خلاف الخاصة، وعم الشيء يعم عموماً إذا شمل الجماعة [٢] .

العام اصطلاحاً

يقول المناوي في التوقيف : " العام بشدة الميم لفظ وضع وضعاً واحداً لكثيرٍ غير محصورٍ مستغرقٌ لجميع ما يصلح له " [٣] .

وفي الإتقان للسيوطي رحمه الله تعالى أن " العام لفظٌ يستغرق الصالح له من غير حصر " [٤].

---

١. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مجلد ١، ص ١٤.

٢. الجوهري، الصحاح، مجلد ١، ص ٤٩٧.

٣. المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، مجلد ٤٩٨ . وانظر : الجرجاني، التعريفات ، مجلد ١ ، ص ١٨٨ .

٤. السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مجلد ٢ ، ص ٤١ .

وفي المنهاج للإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أن العام لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد "[1] .

وينقسم العام إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : عام بقي على عمومه ،نحو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] .

ثانياً : عام مخصوص ،نحو قوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3] ، خص بالشرك .

ثالثاً : عام يراد به الخصوص ، أي أن خصوصه مراد من أول الأمر ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[4] ، فالمراد بالناس هو النبي صلى الله عليه وسلم .

الخاص لغة :

يقول ابن فارس رحمه الله في مقاييسه : " الخاء والصاد أصل مطرد منقاس ، وهو يدل على الفرجة والثلمة، ومن الباب خصصت فلاناً بشيء خصوصية، بفتح الخاء، وهو القياس لأنه إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره، والعموم بخلاف ذلك "[5] .

---

١. البيضاوي ، عبدالله بن عمر(المتوفى ٦٨٥ هـ) ، منهاج الوصول إلى علم الأصول ، اعتنى به وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٢. سورة البقرة ، الآية (٢٨٢) .

٣. سورة الأنعام ، الآية (٨٢) .

٤. سورة النساء ، الآية (٥٢) .

٥ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مجلد ١، ص ١٤ ،وانظر: الجوهري، الصحاح، مجلد ١، ص ١٧٤.

الخاص اصطلاحاً

الخاص هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الإنفراد المراد بالمعنى الذي وضع له اللفظ عيناً كان أو عرضاً، وبانفراد اختصاص اللفظ بذلك المعنى وإنما قيده بالإنفراد ليتميز عن المشترك " [1] .

وفي المنهاج للإمام البيضاوي رحمه الله تعالى أن الخاص هو إخراج بعض ما يتناوله اللفظ " [2] .

وعلى اعتبار أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية فإن هذا يعني أن فيه بلاغة العربية وفصاحتها على أعلى وأرفع مستوياتها ، وصولاً إلى الإعجاز، ومن المعلوم أن القرآن الكريم استخدم أساليب العربية وفنونها وأفنانها على وجه معجز ، فما أطلق في موضع قيد في موضع آخر ، وما جاء عاماً في موضع فقد خصص في آخر ، وهكذا ، فلا بد لقارئ القرآن أن يقف على علم العام والخاص كأحد العلوم المهمة من علوم القرآن الكريم المتعددة .

وكما مر سابقاً فليس المقام مقام تفصيل، فلهذا مكان آخر، وعليه نبدأ بإذن الله باستعراض الأمثلة، والاستعانة بالله وحده.

فعند تفسيره رحمه الله لقوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ ﴾ [3] ، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله : والأظهر أنها محكمة، مخصوصة بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ الآية ، وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب " [4] .

---

١. الجرجاني، التعريفات ، مجلد ١ ، ص ٤٩٨ .

٢. البيضاوي ، عبدالله بن عمر(المتوفى ٦٨٥ هـ) ، منهاج الوصول إلى علم الأصول ، اعتنى به وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٣. سورة الأنفال ، الآية (١٦) .

٤. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٣ ، ص ٥٣ .

وهنا يستدرك شيخ زاده على البيضاوي ، بل قد لا يتفق معه في كون هذه الآية مخصوصة ، إنما هي بحسب شيخ زاده منسوخة ، فقد روى عن عطاء أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ، الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [1] .

" وبناء على أن من أنكر المعاد - والكلام لشيخ زاده - وظن أن السعادة في هذه الحياة الدنيا تبقى بها ولا يعرضها الزوال بخلاف من اعتقد أن السعادة لا تحصل إلا في الدار الآخرة ، فإنه لا يبالي بهذه الحياة الدنيا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح ، فيقاوم الواحد الجمع الكثير ممن أنكر ذلك ، فأوجب الله تعالى أولا على الواحد أن يقاوم العشرة والثبات لهم ، ثم خفف وأوجب على الواحد أن يقاوم الاثنين ، فليس لقوم أن يفروا من مثليهم ، وكان لهم أن يفروا من ثلاثة أمثالهم ، فالآية التي نحن فيها – وما يزال الكلام لشيخ زاده - دلت على أن الانهزام من العدد حرام إلا في حالتين ، أحدهما : الانحراف للقتال والأخرى الانضمام إلى فئة وجمع من المسلمين أو أكثر ، والتي في آخر السورة نسخت حكم هذه الآية فيما إذا كان عدد الكفار أكثر من مثلي عدد المسلمين ، وقال المصنف : إن هذه الآية غير منسوخة لكنها مخصوصة ، وإنما تكون منسوخة لو صرح فيها بحرمة الانهزام على تقدير كون عدد الكفار أكثر من عشرة أمثال عدد المسلمين " [2] .

وجانب آخر ، هل الآية مخصوصة بالذين كانوا يقاتلون في بدر ، أي أن الحكم لهم خاصة دون غيرهم ، أم أن الناس جميعاً مخاطبون به إلى يوم القيامة ، والأرجح أن الآية عامة لكل الناس وليست مخصصة لفئة دون فئة ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - كما هو مقرر في أصول التفسير - ولا مخصص هنا لذا قلنا بالعموم .

---

١. سورة الأنفال ، الآية (٦٥ – ٦٦) .

٢. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٣٤٧ .

حتى الذين يقولون إن العبرة بخصوص السبب يرون أن من نزلت فيهم الآية يدخلون فيها دخولاً أولياً والآخرون يدخلون تبعاً في ذلك .

ثم أن الآية، بل السورة نزلت بعد غزوة بدر فلا وجه لتخصيصها بالذين شاركوا في القتال دون غيرهم من الذين سيشاركون إلى قيام الساعة، والله تعالى أعلم.

ويزيد شيخ زاده على هذا فيقول : " الآية وإن كان بحسب الظاهر متناولاً لكل من يولي دبره يوم ملاقاة الكفار ، إلا أنه مخصوص بما إذا لم يزد العدو على ضعفي المسلمين ، وقيل هذه الآية مخصوصة بأهل بدر الحاضرين معه عليه الصلاة والسلام في الحرب، إذ ليس لهم فئة ينحازون إليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس لأحد منهم أن ينحاز إلى من لا يتقوى به فيكون انحيازه فراراً من الزحف كبيرة بخلاف من عداهم من المسلمين فإن عجز عن مقاومة الكفار بسبب قلتهم وكثرة الكفرة وغلب على ظنه أنه إن ثبت قتل من غير فائدة ، وإن تحيز إلى جمع كان راجياً الخلاص وطامعاً في مقاومة العدو بسبب كثرة الفئة وقوتهم لا يكون فراره كبيرة مستوجبة لهذا الوعيد" [1].

وهذا كلام على وجاهته فيه نظر، فإن الآية الكريمة قد حددت الحالات التي يجوز أن يولي المسلم المحارب دبره للفئة الكافرة في الحرب ولا يترك الأمر إلى غلبة الظن وأثرة السلامة ، الأمر الذي قد يفتح الباب والاجتهاد في غير موضعه ، وإلا فأين روح الاستشهاد التي يجب أن تبث في النفوس ، وقبل ذلك الثقة بالله وبنصره للمؤمنين وإن كانوا قلة قليلة ، وهذا بالطبع بخلاف التهور وعدم الأخذ بالأسباب ، والله تعالى أعلم .

وفي سورة الأحزاب ، وعند قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ

1. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٤ ، ص ٣٤٨ .

أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾[1] .

يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى : " ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ، تفرقوا ولا تمكثوا، ولأنه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، مخصوصة" بهم وبأمثالهم ، وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام "[2] .

ويوضح هذا القول ويبينه شيخ زاده رحمه الله ، موافقاً للإمام البيضاوي في أن هذه الآية مخصوصة بأناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو يقول : " ولما كان مدلول الآية تحريم الدخول في جميع الأوقات إلا وقت الإذن إلى الطعام وتحريم لبث من دخل بالإذن إلى الطعام بعد الطعام لأجل قضاء مهم فيلزم ان لا يجوز الدخول لمن أذن له لاستفتاء أمر ديني واستماع حديث دنيوي ولا اللبث بعد الطعام لمهم شرعي ، دفع هذا الإشكال بجعل الخطاب لطائفة مخصوصة ، كأنه قيل : يا أيها المتحينون : لا تفعلوا ما أنتم عليه من تحين الطعام ، والدخول بغير إذن والقعود منتظرين لإدراكه ، وليس لكم إلا الدخول بالدعوة والإذن والانتشار بعدما طعمتم ، من غير لبث ، وكان قوم منهم إذا طعموا جلسوا يستأنسوا بعضهم ببعض"[3] .

ولا أجد مانعاً أن تكون الآية على العموم دون الخصوص لهؤلاء القوم ، فالعبرة بعموم اللفظ أولى بالقول فيها من الأخذ بخصوص السبب ، فهذا مما يؤذي الناس في كل عصر ، وخاصة في زماننا ، فما أحرانا أن نتمثل الأدب القرآني ،ولا نؤذي من يكرمنا في ضيافته ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

---

١. سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

٢. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٤، ص ٢٣٧.

٣. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦ ، ص ٦٥٨ .

وفي سورة الصافات ، وعند قوله تعالى : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [1] ، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله: " احشروا الذين ظلموا : أمر الله للملائكة، أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف،وقيل : منه إلى الجحيم، وأزواجهم وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً ﴾ [2] ، أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين، وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم، وهو عام"مخصوص"بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [3] ، وفيه دليل على أن الذين ظلموا هم المشركون " [4] .

قوله وهو عام مخصوص أنه جواب عما يقال عن وجه أن يحشر مع الظلمة كل ما كانوا يعبدون من دون الله ، وقد كان بعضهم يعبد المسيح عليه السلام وهو منهم ومن عبادتهم براء ، ومنهم من عبد الملائكة ، والملائكة منهم براء ، فكيف يكون الجواب ، يجيب شيخ زاده فيقول : " وتقرير الجواب أن قوله : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ وإن كان عاماً في كل ما يعبدونه إلا أنه خصص بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [5] ،كما خص به

١. سورة الصافات، الآية (٢٢ ـ ٢٣).

٢. سورة الواقعة ، الآية (٧) .

٣. سورة الأنبياء، الآية (١٠١).

٤. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ٨.

٥. سورة الأنبياء، الآية (١٠١).

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [1] ، وقال مقاتل : المراد

بما تعبدون هو إبليس وجنوده واحتج بقوله تعالى : ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [2] ، قوله :" وفيه

دليل" أي في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ ، حيث ذكر من صفات الذين

ظلموا كونهم عابدين لغير الله وهو يدل على أن الظالم المطلق هو الكافر ، وعلى أن كل وعيد
ورد في حق الظالم فهو مصروف إلى الكفار ومما يؤكد هذا قوله تعالى :

﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [3] " [4] .

تشير الآيات الكريمة إلى أن القاتل العمد يخلد في النار وهو كلام عام، فما بال

القاتل التائب ؟ ، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ

مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ [5] : " والجمهور على

أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [6] ،

ونحوه وهو عندنا إما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره، ويؤيده أنه نزل في
قيس بن ضبابة وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار ولم يظهر قاتله، فأمرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا إليه ديته ،فدفعوا إليه ،ثم حمل على مسلم فقتله ، ورجع إلى

---

١. سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

٢. سورة يس ، الآية (٦٠) .

٣. سورة البقرة، الآية (٢٥٤).

٤. شيخ زاده ، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧ ، ص ١٢٣.

٥. سورة النساء، الآية (٩٤).

٦. سورة طه ، الآية (٨٢) .

مكة مرتداً ، أو المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم"[1] .

وهذا تخصيص واضح ومقبول ، فإن باب التوبة مفتوح للمؤمن ما لم يغرغر ، وما لم تطلع الشمس من مغربها ، فالقاتل التائب الذي يخلص في توبته قبل موته عسى الله بمنه وكرمه وعفوه أن يعفو عنه ويدخله الجنة .

وعند الرجوع إلى شيخ زاده وجدناه يؤصل لهذا الموضوع تأصيلاً دقيقاً وملفتاً ، فهو كعادته في هذه الحاشية القيمة يقدم الروائع والفوائد والفرائد ، يقول شيخ زاده رحمه الله : " قوله : " والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب " أي بمن قتل ظلماً وعدواناً فإن القتل عمداً إذا وقع بحق كما في القصاص أو تاب عنه القاتل لا يتعلق به هذا الوعيد ، وكلمة من – والكلام لشيخ زاده – في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً ﴾ وإن كانت للعموم والاستغراق لوقوعها في معرض الشرط ،إلا أن هذا العموم لما خص بهاتين الصورتين فنحن نخصصه بما لم يتعلق به عفو الله تعالى بفضله ورحمته فإن دليل العفو قائم وهو قوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[2] ، ومقصود المصنف من هذا الكلام الجواب عن استدلال الوعيدية بهذه الآية على عدم تخليد عصاة المسلمين في النار ، لأن هذه الآية نزلت في كافر قتل مؤمناً " "[3] .

ثم ساق شيخ زاده أدلة جمهور العلماء على قبول توبة من قتل المسلم عمداً ، وهذا يعضد التخصيص الذي خصص به الأمر العام في هذه الآية ، وهذه الأدلة باختصار في ثلاثة أوجه : الوجه الأول : أن الكفر أعظم من القتل فإذا قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل أولى بالقبول ، والثاني : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ، إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ

---

١. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٢، ص ٩٠.

٢. سورة النساء، الآية (٤٨).

٣. انظر: شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٣، ص (٣٨٧ – ٣٨٨).

وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [1] ،فإذا كانت التوبة مع هذه الذنوب مجتمعة مقبولة ، ومن ضمنها قتل النفس ، فتوبة القاتل العمد لوحدها مقبولة من باب أولى ، والثالث : قوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [2] ، فإنه وعد بالعفو عن كل ما سوى الكفر بدون توبة ، فإن يعفو عنه بعد التوبة أولى " [3] .

ومن المعلوم أن هذه الآية أعني قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ﴾ إنما سيقت للتفريق بين الشرك وبين الكبائر ، فالمشرك إذا تاب أو أسلم قبل موته غفر له وقبلت توبته ،وإذا مات ولم يتب أو لم يسلم فهو خالد مخلد في النار ، أما مرتكب الكبيرة إذا تاب قبل موته تاب الله تعالى عليه ، أما إذا مات ولم يتب فأمره مفوض إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، وإن عذب فلا يخلد في النار .

فانظر إلى هذه الزيادة وهذا الاستدراك ما أوضحه وما أجمله، فهو يتناسب مع عظمة هذا الدين، ومراعاته لإنسانية الإنسان، ويتعرض لعظيم عفو الله ورحمته وكرمه ومنه.

وفي سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [4] ، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله: "وفوق كل ذي علم عليم أرفع درجة منه، واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه،والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله سبحانه وتعالى، ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص " [5] .

---

١. سورة الفرقان، الآية (٦٨ ــ ٧٠).

٢. سورة النساء، الآية (٨٤).

٣. انظر: شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٣، ص ٣٨٨.

٤. سورة يوسف، الآية (٧٦).

٥. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٣، ص ١٧٢.

وهذا كلام مختصر على عادة الإمام البيضاوي، فهو يقول أن فوق كل ذي علم من الخلق يوجد عليم، أي منهم والخالق ليس داخلاً في هذا العموم لتنزهه وتفرده، لان الكلام فيهم ولأن العليم هو الله تعالى.

وقد ذكر شيخ زاده رحمه الله الإجابة الشافية لهذه المسألة أولا بتقرير جواب البيضاوي حيث قال : " وأجاب عنه المصنف بتخصيص عموم قوله تعالى : ﴿ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ﴾ من الخلق لأن الكلام فيهم لما ذكرنا في بيان كون قوله تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ تذييلاً لما قبله ، ثم ذكر ثانياً أن سائر الآيات تدل على أنه تعالى ذو علم ، منها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [4] ، ولما وقع التعارض بين هذه النصوص – والكلام لشيخ زاده – وبين ما تمسك به الخصم وجب تخصيصه بذي علم من الخلائق اعتماداً على قيام قرينة التخصيص توفيقاً بين النصوص " [5] .

ويجلي شيخ زاده رحمه الله تعالى – كعادته في هذه الحاشية - الأمر المختصر عند البيضاوي أيما تجلية ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] ، يقول البيضاوي رحمه الله : " لأنه تشبه

---

١. سورة لقمان ، الآية (٣٤) .

٢. سورة النساء، الآية (١٦٦).

٣. سورة البقرة، الآية (٢٥٤).

٤. سورة فاطر، الآية (١١).

٥. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٥، ص ٧٦.

٦. سورة النور ، الآية (٣) .

بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد، ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة ، وقيل النفي بمعنى النهي، والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه " [1] .

أي أن البيضاوي رحمه الله يرى من ضمن ما يرى في حكم هذه الآية أنها مخصوصة بالسبب الذي وردت فيه ، لنجد شيخ زاده رحمه الله يبين هذا السبب الذي وردت فيه هذه الآية ويذكر تفصيله الشارح والموضح لعبارة البيضاوي ، يقول شيخ زاده : " قوله : " والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه " فالمعنى : وحرم نكاح البغايا قصداً للتوسع بما يأخذن من الزنى ، كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساءٌ بغايا يكرين أنفسهن ، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ، أن يتزوجوا بهن إلى أن يغنيهم الله تعالى عنهن ، فاللام والألف في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وإن كان للعموم ظاهراً لكن المراد به الأقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم ، فتقدير الآية والله تبارك وتعالى أعلم : أولئك الزناة لا ينكحون إلا الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحهن إلا أولئك الزناة وحرم نكاحهن بأعيانهن على المؤمنين " [2] .

والقول بأن هذه الآية مخصوصة بالسبب وبالقوم الذين نزلت بهم دون غيرهم، فهو خاص بهم، وإن كان المخاطب هم العموم.

فهذا الأمر كما قرره الكثير من المفسرين– ومنهم البيضاوي رحمه الله - على الأعم الأغلب ، فقد يقع أن تتزوج الزانية من العفيف الشريف ، أو العكس ، وقد وضح هذا الرأي شيخنا شيخ زاده رحمه الله عندما ساق كلاماً قيماً للإمام النسفي رحمه الله تعالى حيث قال أن أصح الأقاويل في هذه الآية الشريفة : "أنها تزهيد في حق نكاح البغايا إذ الزنا عديل الشرك في القبح ، والإيمان قرين العفاف والتحصن" [3] ، وتأويل ذلك أن أهل الإسلام والإيمان سبيلهم أن لا يرغبوا إلا في المسلمات العفيفات " [4] .

---

١. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٤ ، ص ٩٨ .

٢. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦ ، ص (١٩٣ – ١٩٤) .

٣. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (المتوفى : ٧١٠هـ) ،مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،مجلد ٢ ، ص ٣٩٩ .

٤. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٦ ، ص (١٩٤) .

ويظهر دور شيخ زاده رحمه الله عندما يكتفي البيضاوي بذكر أن هذه الآية أريد بها العموم أو الخصوص أو أنها تحتملهما ، دون أن يفصل ، لنجد شيخ زاده عندها يتدخل فيفصل ، ومثال ذلك ، عند تفسير البيضاوي رحمه الله لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] ، يقول الإمام : " ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يحتمل العموم والخصوص " [2].

فلا نجد البيضاوي رحمه الله قال أكثر من كون أن الآية الكريمة تحتمل العموم والخصوص في المقصود بالذين ظلموا ، لنجد التوضيح والتفصيل الذي يريح النفس في كلام شيخ زاده رحمه الله ، فهو يقول : " قوله " يحتمل العموم " بأن يراد بهم كل من ظلم بعبادة غير الله ، ويحتمل الخصوص بأن يراد بهم كفار مكة ، ويراد بظلمهم كيدهم نبيهم عليه الصلاة والسلام وتكذيبهم إياه " [3] .

وعند قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [4] ، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى : " وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة، وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد، وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة " [5] .

---

١. سورة الطور ، الآية (٤٧) .

٢. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ١٥٦ .

٣. شيخ زاده، الحاشية على البيضاوي ، مجلد ٧، ص ٧٣٢ .

٤. سورة الشورى، الآية (٥).

٥. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مجلد ٥ ، ص ٥٦ .

أما الزركشي رحمه الله فيقول إن هذه الآية من باب العموم الذي أريد به الخصوص ، يقول رحمه الله : " إطلاق اسم العام وإرادة الخاص ، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: للمؤمنين بدليل قوله في موضع آخر: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولما خفي هذا على بعضهم زعم أن الأولى منسوخة بالثانية" [1] .

---

١. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مجلد ٢ ، ص ٢٧٢ .

الفصل الثاني

القيمة العلمية لاستدراكات شيخ زاده في حاشيته على الإمام البيضاوي ،

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول: التعريف بحاشية شيخ زاده.

المبحث الثاني: منهج شيخ زاده في حاشيته.

المبحث الثالث: أهم مزايا الحاشية.

المبحث الرابع: أهم المآخذ على الحاشية.

المبحث الأول

التعريف بحاشية شيخ زاده

من المقرر عند المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن الكريم أن تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى لاقى قبولاً واسعاً لما فيه من علوم جمة وغزيرة ، ولعل هذا يعطي تصوراً أولياً عن أهمية ومكانة هذه الحاشية في التفسير وعلوم القرآن الكريم .

وقبل أن أتناول أقوال العلماء في هذه الحاشية أجد أن من الضرورة أن أعرف بالحاشية تعريفاً عاماً ، قبل التفصيل ؛ فالحاشية طبع منها طبعتان كما ذكر أكثر المترجمين والمؤرخين، فالطبعة القديمة المعروفة طبعت في تركيا باستانبول عام ١٩٨٨م ، وقد اعتنت مكتبة الحقيقة بطبعها طبعة جديدة بالأوفست ، وبلغت أربع مجلدات ، أما النسخة المتداولة اليوم والتي اعتمدتها لدراستي في هذه الرسالة فهي الطبعة التي تعهدتها مكتبة دار الكتب العلمية ببيروت ، وتقع في ثمان مجلدات مع التحقيق للباحث محمد عبد القادر شاهين، وهي طبعة عام ١٩٩٩م ، حيث يزيد عدد صفحات المجلد الواحد منها تقريباً عن خمسمائة صفحة من القطع المتوسطة.

وأجد من المناسب أن أنقل هنا تفصيلات تتعلق بالحاشية حسب ما كتبه صاحب فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة ، صلاح محمد الخيمي ، حيث عدد النسخ التي وجدها في المكتبة الظاهرية وهي كما يلي – بتصرف بسيط - :

١ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الأولى- الجزء الرابع الرقم: ٤٦٣ - تفسير/ ٦٧ .

المؤلف: المؤلف: محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الرومي الحنفي المعروف بشيخ زادة المتوفى سنة ٩٥٠ هـ.

أولها: هذا ما يتعلق بسورة الزمر: وهي مكيّة غير ثلاث آيات وهي من قوله «قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا» إلى تمامها وتنزيل الكتاب خبر محذوف أي هذا تنزيل الكتاب، ومن الله صلة التنزيل، كقولك هذا نزل من عند الله، أو خبر بعد خبر.

آخرها: على أن سلامة الدين من وسوسة الشيطان وإن كانت أمرا واحدا إلا أنها أعظم مرادا وأهم مطلوبا وإن سلامة البدن عن تلك الآفات وإن كانت أمورا متعددة ليست بتلك المثابة في كونها مطلوبا مهما لمن استفاد منها.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط نسخي حسن، رءوس الفقر وأسماء السور مكتوبة بالأحمر، أحيطت الصفحتان الأولى والثانية بإطار مذهب، في أولها فهرس بأسماء وأرقام السور الموجودة في هذا الجزء كما يوجد قيدا تملك أولهما باسم عبد الباقي والثاني باسم محمد معصوم، على الورقة الثانية قيد وقف الوزير محمد باشا على طلبة العلم تاريخه سنة ١١٩٠ هـ.

بعض أوراق المخطوط مفروطة كما أنه مصاب بالرطوبة، الغلاف من الجلد المزخرف وهو ممزق.

(ق ٥٥٤/ م ٢١* ٥، ١٤/ س ٢٣) المصادر: الكواكب السائرة ٢/ ٥٩، الشقائق النعمانية ٦٦١ ، هدية العارفين ٢/ ٢٣٨، بروكلمان: الذيل ٢/ ٦٥٠.

٢ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل*- النسخة الثانية- الجزء الأول الرقم: ٤٦٤ - تفسير/ ٦٨

أولها: الحمد لله الذي نور قلوب العلماء بأنوار التنزيل وشرح صدورهم لإدراك أسرار التأويل، فبذل أهل كل عصر منهم جهدا في حفظ ألفاظه وكشف معانيه حتى وصل إلينا سالما من التحريف والتبديل.... أما بعد: فإن القرآن العظيم والفرقان الحكيم تنزيل من الرحمن الرحيم ليتدبر آياته وليتذكر كل من له عقل سليم.

آخرها: قوله: كفتاه، أي عن قيام الليل، قوله: فسطاط القرآن أي خيمته ويطلق على المدينة الجامعة وسميت السورة بها تشبيها لها بالخيمة من حيث اشتمالها على معظم أصول الدين وسميت السحرة لأنهما كهم في الباطل أو لبطالتهم عن أمور الدين..تم المجلد الأول من حاشية القاضي البيضاوي على يد كاتبه إبراهيم العجلوني مولداً الدمشقي موطناً ... تحريراً في يوم الاثنين خمسة وعشرين يوما خلت من جمادى الأولى من شهور سنة سبع وخمسين ومائة وألف.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط نسخي معتاد، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض التصويبات والشروح وهي

تبدأ بالتعليق على أول الكتاب وتنتهي على آخر سورة البقرة. على الورقة الأولى قيد وقف باسم الشيخ أحمد القباني على المدرسة الشميصاتيّة تاريخه ١١٧٠ هـ.

المخطوط مفروط الأوراق بعضها ممزق، الغلاف من الجلد المزخرف.(ق ٤٩٢/ م ٢٩* ٥، ١٩/ س ٣٣) .

٣ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل*- النسخة الثانية- الجزء الثاني الرقم: ٤٦٥ - تفسير/ ٦٩ .

أولها: سورة آل عمران: مدنية وآيتها مائتان، قوله: وكان حقها أن يوقف عليها أي يتلفظ بها ساكنة سكون وقف لأن أسماء الحروف التي هي فواتح السور أسماء معربة لانعدام ما يوجب بناءها إلا أنها تتركب مع العامل.

آخرها: قوله: وقرئ «ومن عندكم علم الكتاب» على من الجارة وبناء الفعل للمفعول ورفع الكتاب تمت بعون الله تعالى سورة الرعد يتلوها سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط نسخي معتاد، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر على الهوامش بعض التصويبات. تبدأ هذه النسخة بالتعليق على سورة آل عمران وتنتهي بالتعليق على آخر سورة الرعد. المخطوط مفروط الأوراق وبعضها ممزق. على الورقة الأولى قيد وقف الشيخ أحمد القباني على المدرسة الشميصاتية تاريخه سنة ١١٧٠. الغلاف من الجلد وهو مزخرف، (ق ٤٣٧/ م ٣٠* ٥، ١٩/ س ٣٥)

٤ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الثانية- الجزء الثالث الرقم: ٤٦٦ - تفسير/ ٧ .

أولها: سورة إبراهيم عليه السلام، مكية وهي إحدى وخمسون آية، وقيل هي مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة في قتلى بدر «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ» إلى آخر الآيتين. بسم الله الرحمن الرحيم، قوله: «الر كِتابٌ» أي هو كتاب على أن يكون الر تعدادا للحروف.

آخرها: أن الناس لو يؤاخذوا بما اجترحوا من المعاصي لقطعت الأمطار عنهم بشؤم معصيتهم فلا ينبت شيء في الأرض فيموتون جوعا ويموت الدواب بأسرها تبعا لهم فيؤدي شؤم معصية الناس إلى هلاك جميع الحيوانات، والنسمة: النفس- تم هاهنا ما يتعلق بسورة الملائكة.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط معتاد، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر على الهوامش بعض التصويبات والشروح، يبدأ هذا الجزء بالتعليق على أول سورة إبراهيم وينتهي بالتعليق على آخر سورة فاطر.

النسخة مفروطة الأوراق ولكنها لا تزال بحالة حسنة. الغلاف من الجلد المزخرف. على الورقة الأولى قيد وقف على المدرسة الشميصاتية وتاريخه سنة ١١٧٠ هـ ،(ق ٤٠٣/ م ٣٠* ٥، ١٩/ س ٣٧) .

٥ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الثانية- الجزء الرابع الرقم ٤٦٧ - تفسير/ ٧١ .

أولها: والآن نشرع في إيراد ما يتعلق بسورة يس مستعينا بالله عز وجل وكمال فضله وسعة رحمته. عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في القرآن سورة تشفع لقارئها ويغفر لسامعها، ألا وهي سورة يس، تدعى في التوراة المعمّة- قيل يا رسول الله وما المعمّة؟ قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى الدامغة والقاضية ..آخرها: وكان الفراغ من نسخ هذه الحاشية نهار الأحد يوم التاسع عشر خلا من شهر شعبان الذي من شهور سنة تسعين ومائة وألف على يد أفقر الورى إبراهيم بن أحمد بن عبد القادر العجلوني .

أوصاف المخطوط: نسخة من نهاية القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط معتاد. أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الشروح والتصويبات والزيادات القلية ، الأوراق مفروطة والغلاف من الجلد المزخرف وبهذا الجزء تنتهي هذه النسخة التي بدأها صاحبها سنة ١١٥٧ وانتهى منها في سنة ١١٩٠ على الورقة الأولى قيد وقف باسم أحمد القباني تاريخه سنة ١١٧١ على المدرسة الشميصاتية وهذا يتناقض مع تاريخ النسخ ، (ق ٤١٨/ م ٥، ٣٠* ٢٠/ س ٣٧)

٦ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الثالثة- الجزء الثاني الرقم: ٤٦٨ - تفسير/ ٧٢ .

أولها: القول على تفسير سورة آل عمران قوله: إنما فتح الميم، قرأ الجمهور، الم، الله بفتح الميم وإسقاط همزة الجلالة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بسكون الميم وفتح ألف الله وهي قراءة ضعيفة مخالفة لقراءة الجمهور ، آخرها: قوله: وقرأ نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح

الجيم أي يرد، وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم أي يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر بوجه ما، قوله: تعملون أنت وهم، أشار إلى أنه اختار قراءة نافع وحفص وابن عامر وهي القراءة بتاء الخطاب على تغبيب الخطاب على الغيبة.

الحمد لله الذي أنزل الفرقان.وبعد: فيقول البائس الفقير مصطفى بن محمد ابن الحاج محمد أسأل الله الذي يسر لي كتابة هذه النسخة الشريفة والتاريخ سنة ثلاث وخمسين بعد الألف والمائة.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري تبدأ بالتعليق على أول سورة آل عمران وتنتهي بالتعليق على آخر سورة هود، كتبت بخط تعليق معتاد، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر في الصفحة الأولى لوحة مزخرفة ومزينة بالذهب والألوان أحيطت الصفحات الأولى والثانية بإطارات مذهبة النسخة مفروطة الأوراق، على الغلاف قيد تملك باسم محمد الدباغ. على الورقة الأولى قيد وقف الوزير أسعد باشا محافظ الشام على المدرسة والده إسماعيل باشا ،(ق ٣٤٦/ م ٢١* ١٦/ س ٢٧)

٧ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الثالثة- الجزء الثالث الرقم: ٤٦٩ - تفسير/ ٧٣ .

أولها: الكلام على تفسير سورة يوسف عليه السلام ، الر تلك آيات الكتاب المبين، الر. اسم للسورة وأنه في محل الرفع أنه مبتدأ حذف خبره مبتدأ محذوف، أي الر هذه السورة أو هذه السورة الر أي تسمى بهذا الاسم، وإن أبقيتها على أصل معانيها.

آخرها: أسند فعل صاحب التشكيك إلى الشك على الأول وحفل صاحب الشك إلى نفس الشك على الثاني حيث جعل الشك ذا شك كما جعل الشعر شاعراً فإن المريب بالمعنى الأول ، وهو المشكك وبالمعنى الثاني هو الشاك ، أطلق كل واحد منها على نفس الشك للمبالغة ،هذا آخر الجزء الخامس من تجزئة المؤلف رحمه الله.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري تبدأ بالتعليق على تفسير أول سورة يوسف وتنتهي بالتعليق على تفسير آخر سورة سبأ وهي تتمة الجزء السابق كتبت بخط تعليق معتاد، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر. في أولها لوحة مزخرفة ومزينة بالذهب والألوان، كما أحيطت الصفحتان الأولى والثانية بإطار مذهب،

في أولها فهرس بأسماء السور الموجودة في هذا الجزء النسخة مفروطة الأوراق، غلافها من الجلد المزخرف.

على الورقة الأولى قيد وقف الوزير أسعد باشا على مدرسة والده الحاج إسماعيل باشا، (ق ٣٦١/ م ٢٢* ٥، ١٦/ س ٢٧).

٨ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الثالثة- الجزء الرابع الرقم: ٤٧٠ - تفسير/ ٧٤ .

أولها: الكلام المتعلق بسورة فاطر قوله: والإضافة محضة أي معنوية، وهي ما يكون المضاف فيها إلى معمولها إما بأن لا يكون صفة نحو غلام زيد أو يكون صفة ولكن لا تكون مضافة إلى معمولها كفاطر السموات لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي فإذا لم يكن له معمول فكيف يضاف إلى معموله ، آخرها: وإن سلامة البدن من تلك الآفات وإن كانت أمورا متعددة ليست بتلك المثابة في الاهتمام والمطلوبية، اللهم ثبت قلوبنا على دينك في الدنيا والآخرة.

وبعد فأقول هذه نسخة ثانية كتبتها وأنا الفقير. مصطفى العينتابي ساكنا في المدرسة الخسروية سنة ١١٥٤ في حلب الشهباء.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري تبدأ بالتعليق على أول سورة فاطر وتنتهي بالتعليق على آخر الكتاب كتبت بخط معتاد أسماء السور والآيات الكريمة ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر. في أولها لوحة مزخرفة ومزينة بالذهب والألوان، أحيطت الصفحتان الأولى والثانية بإطار مذهب. النسخة مفروطة الأوراق منزوعة عن الغلاف المصنوع من الجلد المزخرف. في أولها فهرس بأسماء السور الموجودة في هذا الجزء، يلي ذلك قيد وقف باسم الوزير أسعد باشا محافظ الشام على مدرسة والده الحاج إسماعيل باشا، (ق ٣٧٠/ م ٢٢* ٥، ١٦/ س ٢٧).

٩ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل النسخة الرابعة- الجزء الأول الرقم: ٤٧٦ - تفسير/ ٨٠ .

آخرها: فقال تعالى: لا أشدد عليكم، فقال محمد صلى الله عليه وسلم: واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، فقال الله عز وجل: قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم وأنصركم على القوم الكافرين، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، لما نزل جبرائيل بهذه الآية «رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا» حتى ختم السورة وكل ما قالها جبرائيل قالهن رسول الله صلى عليه وسلم فقال رب العالمين قد فعلت.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط نسخي معتاد دقيق أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الزيادات والتصويبات والعناوين، الصفحتان الأولى والثانية محاطتان بإطار مذهب وهما ممزقتان، أصيبت النسخة بالرطوبة ولكنها لا تزال بحالة حسنة، على الورقة الأولى قيد وقف الوزير محمد باشا للكتاب على طلبة العلوم تاريخه سنة ١١١٩ هـ الغلاف من الجلد المزخرف والموشى بالذهب ،(ق ٧٠٦/ م ٢٢* ١٥/ س ٢٣)

١٠. حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الخامسة- الجزء الأول الرقم: ٥٤٥ - تفسير/ ١٥٠.

أولها: وكثرة النزول إنما يكون بكونه على سبيل التدريج ثم إن المتحرك قسمان أحدهما متميّز بالذات كالجواهر المفردة وما يتركب منها وثانيهما متميّز بالتبع وهو الأعراض القائمة بموضوعاتها فإن العرض تابع لموضوعه في التميّز.

آخرها: لا تذل من الإذلال، وعلّك بمعنى لعلك وضمير رفعه للضعيف، ولنختم هذه القطعة في هذا المقام الذي هو آخر الحزب الأول من سورة البقرة وقد انتهت الكتابة إلى هذا الموضع وقت الضحى من يوم الاثنين من شهر ذي الحجة من شهور سنة خمس وأربعين وتسعمائة.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن العاشر الهجري مخرومة من أولها مقدار ورقة وهي تبدأ بالتعليق على أول الكتاب وتنتهي بالتعليق على تفسير قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» .

كتبت بخط تعليق معتاد، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض التصويبات والشروح، أصيبت بالرطوبة في مواضع متعددة وقد رممت بعض أوراقها كما أصابتها الأرضة في مواضع منها، الغلاف من الجلد المزخرف، (ق ٢٢٨/ م ٢١* ١٥/ س ٢٣).

١١ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة السادسة- الجزء الأول الرقم: ٦٠٢ - تفسير/ ١٧٦ .

آخرها: قوله: أتجادلوننا، المحاجة مفاعلة بين اثنين في إيراد الحجة، على ما يدّعي ومقاومة كل واحد فيهما صاحبه فيما أظهره من الحجة. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا ادعى الرسالة وأصبح عليها بما أظهره من الحجة الباهرة، خاصمته وجادلته يهود المدينة ونصارى نجران في شأن الله وأمره أيّ في اصطفائه نبيا من العرب دونهم، محتجين بأن أنبياء الله كانوا منّا وديننا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق ...

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت سنة ١١٠١ هـ وناسخها هو أبو بكر بن درويش الزريابي (الجزء الرابع) كتبت بخط فارسي معتاد دقيق، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، خرمت من آخرها مقدار قد يكون هو الفرق بين هذا الجزء والجزء الذي يليه وهو بين الآيات ١٤٠ إلى ١٧٧ ولا نعلم عدد الأوراق المخرومة. النسخة مفروطة الأوراق، منزوعة عن غلافها وهي مصابة بالرطوبة مع غلافها المصنوع من الجلد المزخرف، في أولها خاتم وقف المدرسة المرادية بدمشق ،(ق ٥١٨/ م ٥، ٢١* ٥، ١٥/ س ٢٣) .

١٢ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة السادسة- الجزء الثاني الرقم: ٦٠٣ - تفسير/ ١٧٧ .

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم. قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى﴾ لفظ كتب في عرف الشرع، يفيد الفرضيّة. قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ ﴾ وكذا لفظة عليكم.

قال تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» والقصاص أن يفعل بالإنسان مثل ما فعل، فهو عبارة عن التسوية والمماثلة في الأنفس والأطراف والجراحات، وقوله: في القتلى، أي بسبب القتلى.

آخرها: قوله: قدم الأبلغ، فهما إشارة إلى جواب ما، يقال: مقام المدح يقتضي الترقي من الفاضل إلى الأفضل فكيف عكس، نجز الربع الثاني من حواشي المرحوم شيخي زادة على تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي، على يد أفقر الخليفة أبي بكر بن درويش الزريابي، يتلوه إن شاء الله في الربع الثالث الكلام المتعلق بتفسير سورة يونس عليه السلام.

أوصاف المخطوط: نسخة من بداية القرن الثاني عشر الهجري، كتبت سنة ١١٠١ هـ كما ورد في الجزء الرابع، كتبت بخط فارسي معتاد دقيق، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، أحيطت الصفحات بإطارات مرسومة بالأحمر، على الهوامش بعض التصويبات.

المخطوط مفروط الأوراق وهذه الأوراق منزوعة عن غلافها المصنوع من الجلد الأحمر المزخرف، (ق ٥٦٨/ م ٥، ٢١* ٥، ١٥/ س ٢٣).

١٣ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة السادسة- الجزء الثالث الرقم: ٦٠٤ - تفسير/ ١٧٨ .

أولها: الكلام المتعلق بتفسير سورة يونس عليه السلام ،قوله: الر. فخمها، أي قرأ بفتح الراء على التفخيم ابن كثير وقالون وحفص وقرأهم بكسر الراء على الإمالة أبو عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر، وقرأ ورش بين الفتح والكسر، واختلف القراء في الحروف المقطعة التي في أوائل السور.

آخرها: فاللغة الشائعة أن يقال فإليهن وكلهن فإن أنث أي كان حقها أن تقطع عن الإضافة نحو آية سلكوا، إلا أنه قرئ بآية أرض بالإضافة تشبها لها بقولهم كلهن، ثم ما يتعلق بتفسير القاضي المستعان. نجز الجزء الثالث من حواشي شيخي زادة على تفسير القاضي البيضاوي ... على يد أحقر الخليقة أبي بكر بن درويش الزريابي.

أوصاف المخطوط: نسخة من بداية القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط فارسي معتاد دقيق، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، أحيطت الصفحات بإطارات مرسومة بالأحمر.

كتب النسخة أبو بكر بن درويش الزريابي الحنفي سنة ١١٠١ هـ كما ورد في آخر الجزء الرابع.

النسخة مفروطة الأوراق منزوعة عن الغلاف، وغلافها من الجلد الأحمر المزخرف ،(ق ٥٦٦/ م٥، ٢١* ٥، ١٥/ س ٢٣) .

١٤ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة السادسة- الجزء الرابع الرقم: ٦٠٥ - تفسير/ ١٧٩ .

أولها: سورة الم السجدة وما يتعلق بالكلام على تفسيرها وهي مكية ، بسم الله الرحمن الرحيم: قوله: وإن جعل تعديد الحروف لينتبه السامع ويقبل نحو التكلم ويسمع ما نلقي إليه بقلب حاضر والسامع وإن كان يقظان الجنان لكنه إنسان يشغله شأن عن شان.

آخرها: نجز السفر الرابع من تجزئة أربعة من حواشي المرحوم شيخي زادة على تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي ... في ختام رجب الحرام المنتظم من شهور سنة واحد ومائة بعد الألف على يد أحقر الخليقة أبي بكر بن درويش الزريابي الحنفي عامله الله تعالى بلطفه:

كتبت وإني موقن أن راحتي............ ستفنى ويبقى الخط بعدي بمدة

فيا أيها القاري سألتك دعوة............ لكاتبه في ظهر غيب برحمة

أوصاف المخطوط: نسخة من بداية القرن الثاني عشر وقد سبقها أجزاء ثلاثة مكملة لهذا الكتاب، كتبت بخط فارسي معتاد دقيق، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، أحيطت الصفحات بإطارات مرسومة بالأحمر، على الهوامش بعض التصويبات القليلة أصيبت النسخة بالرطوبة في أواخرها وقد أثر ذلك على أوراقها وهي مفروطة منزعة عن غلافها، تحتاج

النسخة إلى ترميم. الغلاف من الجلد الأحمر المزخرف. على الورقة الأولى بعد الغلاف قيد وقف على المدرسة المرادية الجوانية ، (ق ٥٩٦/ م ٥، ٢١* ٥، ١٥/ س ٢٣) .

١٥ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة السابعة- الجزء الثاني الرقم: ٦٢٧٥ .

أوصاف المخطوط: يبدأ هذا الجزء بالتعليق على سورة آل عمران وينتهي بالتعليق على سورة الأنعام، ويتألف من قسمين، القسم الأول ينتهي بسورة الأنعام وقد وقع الفراغ منه يوم الأحد العاشر من شوال المنتظم في سلك شهور سنة ثلاثة وثمانين وألف.

أما القسم الثاني فهو بدون تاريخ ،كتب القسمان بخط فارسي معتاد، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش الكثير من الحواشي فيها زيادات وتصويبات ومطالب كتبت بالمدادين الأسود والأحمر.

أصيب المخطوط بالرطوبة الشديدة في القسم الأول، والقسم الأخير من القسم الثاني وقد تأثرت الكتابة بذلك كما أصابته الأرضة في مواضع منه، تمزقت أطراف الأوراق الأولى وقد رممت قديما ترميما سيئا. الغلاف من الجلد وهو ممزق ،(ق ١٦٣/ م ٢١* ١٤/ س ٢٧)

١٦ . حاشية شيخ زادة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل* النسخة الثامنة- الجزء الأول الرقم: ٦٤٧١ .

أولها: الحمد لله رب العالمين. قال الشيخ الإمام علم الهدى علامة الورى الذي أطبق علماء الأمة على علو شأنه ورفعة منزلته وقدره، عني به ناصر الحق والدين المعروف، بالقاضي البيضاوي.

آخرها: ولا تذلّ الضعيف علّك أن تركع يوما والدهر قد رفعه ، قوله وتذل من الإذلال، وتملك بمعنى لعلك وضمير رفعه للضعيف ، قوله: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» .

استنسخت هذه النسخة الشريفة المسماة بحاشية تفسير القاضي البيضاوي.. من النسخة التي انتسخت من نسخة المصنف .. وقد وقع الفراغ من تسويد هذه القطعة من قطع حاشية الشيخ زادة عن يد الفقير الشيخ محمد ابن الشيخ أمر الله القنوي في ظهر اليوم السابع من جمادى الأولى المنتظمة في سلك شهور سنة تسع وتسعين وثمانمائة .

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن التاسع الهجري، كتبت بخط معتاد، أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر ،على الهوامش بعض الحواشي المختلفة، تختلف هذه النسخة عن النسخ السابقة نقصا وزيادة وفيها اختلاف في بعض الألفاظ عن غيرها، علماً بأن الناسخ قد أشار إلى أنها نسخت من نسخة منقولة عن نسخة المؤلف، ولكن هذا الأمر مستبعد لأن فيها بعض الأخطاء المختلفة، نسخة بحالة حسنة وغلافها من الجلد المزخرف ، انتهى بتصرف[1].

ومن خلال دراستي في هذه الحاشية وقفت على كم هائل من العلوم والمعارف التي لا يستغني عنها أحد، فقد برع شيخ زاده كما ذكرت غير مرة في فك مغاليق البيضاوي في تفسيره أيما براعة.

وقد مر قريباً أن صاحب كشف الظنون يقول عن هذه الحاشية بأنها " أعظم الحواشي فائدةً، وأكثرها نفعاً، وأسهلها عبارةً، ولا يخفى أنها من أعز الحواشي، وأكثرها قيمةً واعتباراً، وذلك لبركة زهده وصلاحه " [2] ، يقصد شيخ زاده .

ويقول الإمام الذهبي رحمه الله بعد عرضه للحواشي على البيضاوي: " وحسبي أن أقول: إن أشهر هذه الحواشي وأكثرها تداولاً ونفعاً: حاشية قاضي زاده " [3] .

وهذا محقق ودارس شرح قواعد الإعراب لابن هشام ، والذي ألفه شيخنا شيخ زاده يقول : " وأجمعت المصادر التاريخية وكتب الفهارس أن حاشيته – ويقصد حاشية شيخ زاده - على " تفسير البيضاوي " من أجلّ كتبه ، بل من أجلّ حواشي " أنوار التنزيل " ، فشيخ زاده

---

١. الخيمي ، صلاح محمد، فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق ، عام النشر: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، مجلد ٣ ، ص ٢٤٥ – ٢٥٩ .

٢. حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد ، تاريخ النشر: ١٩٤١م ، مجلد ١ ، ص ١٨٨ . وانظر: كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، مجلد ١٢، ٣٢.

٣. الذهبي ، محمد حسنين ، التفسير والمفسرون ، مجلد ١ ، ص ٢١٥ .

- رحمه الله تعالى - واحد من العلماء المشاركين ، والمدرسين العاملين بعلمهم ، وما أخلاقه ، وتواضعه ، وزهده إلا شواهد عدل على علمه ، وعمله بهذا العلم [1] .

ولقد راودني سؤال طالما ألح علي بعد هذا التجوال مع شيخ زاده في حاشيته، لمَ لمْ يقم شيخنا شيخ زاده رحمه الله بكتابة تفسير للقرآن الكريم خاص به ؟

خطر لي هذا السؤال وأنا اقرأ في الحاشية وأرى هذا الزخم الهائل من التفسيرات والتوضيحات والتعليقات وحتى الاستدراكات على الإمام البيضاوي رحمه الله، بالفعل هذا سؤال منطقي، ومهم وضروري – على الأقل من وجهة نظري -.

هل كان ينقصه العلم بالبيان والمعاني اللازمان لتفسير القرآن الكريم، أم هل كانت لغته لا تسعفه في التعبير عما يراه من معاني للآيات الكريمة ؟ .

وبدأت أفترض الإجابات التي كانت تسقط من أول مرة أعرضها على شيخنا شيخ زاده رحمه الله تعالى ، فشيخنا من هو في العربية والبيان والمعاني والبديع ، بل إن الناظر في الحاشية ليقف بإعجاب واحترام للتعبيرات الدقيقة المفصلة والموضحة للمعاني ، والتي تجعلها كالشمس في رابعة النهار .

وشيخنا بالفعل استطاع أن يفك مغلقات أنوار التنزيل وأسرار التأويل كما ذكر في نهاية حاشيته، على ما سيأتي.

ولو كان موضوعي استخراج أقوال شيخ زاده التفسيرية لذكرت الكثير من الشواهد والأمثلة والأدلة الشاهدة على ما أقول، ولعل الله تعالى أن ييسر لهذا الجهد من يخرجه للناس.

بقي أن أفترض أن شيخ زاده رحمه الله تصدى مع من تصدى لأهم الكتب التي كان الناس يجدوا صعوبة في التعامل معها وفهمها ، فكان لفرط علمه يوضح ويشرح ويحشي على أهم الكتب التي كانت متداولة في زمنه ، فنظرة سريعة لأهم مصنفاته خير شاهد على ما أقول .

ولعل تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى من هذه الكتب التي أغلق فهمها على الناس ، فاحتاجت لمن يبسطها للناس وييسرها لهم بلغة سهلة ميسورة ، ولا أعتقد – - أن هذا أمرٌ فيه سهولة ، بل كل الصعوبة فيه ، ولا يتصدى له إلا العلماء الأفذاذ الكبار كشيخنا شيخ

---

١. مروة ، إسماعيل إسماعيل ، شرح قواعد الإعراب لابن هشام ، تأليف محمد بن مصطفى القوجوي ، نسخة دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١٩٩٧ ، ص ٢١ .

زاده رحمه الله تعالى ، وإلا فهو غير عاجز كما أرى عن وضع تفسير للقرآن الكريم خاص به – ولو برأيي – وإنني أخالف ما استنتجه أخي العزيز وشيخي العالم الفاضل إسماعيل مروة عندما ذكر في تحقيقه لكتاب لشرح قواعد الإعراب لابن هشام والذي شرحه شيخ زاده ، فهو على الرغم مما يقول بداية عن شيخ زاده بأنه أسهم إسهاماً كبيراً في إغناء مكتبة الفقه الحنفي بعدد من الكتب والشروح ، إلا أنه يقول : " ليس في تآليف شيخ زاده إبداع تأليفي خاص به ، أي لم ينشىء المصنف كتاباً خاصاً به وإن حملت كتبه شيئاً من بصمته الخاصة ، لكن الحق أنه كان في تصانيفه مرتكزاً على غيره ، وأن مصنفات شيخ زاده تحمل اسم " شرح)" أو " حاشية " فهو من المحشين الشارحين ، وهذا الصنف من المؤلفين لا يبلغ درجة الإمامة مهما بلغ " [١] .

أقول كيف لم يبلغ شيخنا شيخ زاده درجة الإمامة وهو قد وقف على كل آية في القرآن الكريم توضيحاً وبياناً، بل قد وقف على كل كلمة – تقريباً – وقف عندها الإمام البيضاوي رحمه الله ؟ اللهم إلا إن كان شيخنا إسماعيل مروة له تعريف خاص لدرجة الإمامة ويضع صفات معينة لذلك .

صحيح أن شيخ زاده كان يفسر ويوضح ويعلق على كلام البيضاوي رحمهما الله تعالى ، وهذا عمل المحشي ، إلا أنه كان يسهب ويفصل ويوضح ويشرح وكان قادراً – بحسب رأيي – على أن يضع تفسيراً خاصاً به .

ومما يجب تسجيله هنا أن تفسير البيضاوي رحمه الله لا يتعدى الأربع مجلدات في أحدث الطبعات في حين نجد أن حاشية زاده رحمه الله على تفسير البيضاوي قد بلغت ثمان مجلدات ، وفي بعض النسخ بلغت العشرة مجلدات كما سيأتي تفصيل ذلك قريباً ، وفي هذا إشارة واضحة لمن انتبه .

أليس في هذا دلالة واضحة على علو شأنه وتضلعه العلوم والمعارف رحمه الله تعالى؟ .

ثم يمكن القول أن الفن الذي كان مشتهراً في تلك الحقبة من الزمان هو كما ذكرت فن التحشية على مهمات وأمهات الكتب وهذا ما برع به شيخنا رحمه الله تعالى ، وتصدى

---

١. مروة ، إسماعيل ، شرح قواعد الإعراب ، ص ٢٩ .

وتفرغ له ، مع الإشارة إلى أن عصره كان عصر ركود علمي في شتى المجالات فاكتفى علماء هذا العصر باختصار العلوم أو التحشية عليها دون التأليف أو التصنيف .

ونقطة أخرى أراها جديرة بالاهتمام ؛ ما الفرق الذي يمكن تسجيله بين مفسر ومفسر آخر، غير أن يكون قد قال هذا المفسر ما يراه مناسباً لمعنى الآية بلغته وبأسلوبه وبما يملك من أدوات تعبيرية ، وما يقوله المفسر الآخر ،وهنا يظهر الفارق بين المفسر والآخر ، من حيث الوصول للمعنى المناسب من جهة وباستخدامه الأدوات والملكات التي تعبر عن هذا المعنى ، وبهذا تجد أن كل تفسير له طابع خاص به .

فما الذي فعله شيخ زاده رحمه الله ، غير أنه عبّر عن كلام البيضاوي رحمه الله بأسلوبه وبأدواته التي كان يمتلكها ويحسن التعامل معها ، ثم ما هو المطلوب من المفسر ، أليس الوقوف على مراد الآية الكريمة بحسب الطاقة والوسع البشري ، فما الذي قام به شيخ زاده غير هذا، حتى وهو يناقش عبارة البيضاوي رحمه الله ؟

وقد كنت حريصاً بعد الاطلاع على الحاشية والدراسة فيها أن تكون دراستي متخصصة في إخراج شيخ زاده مفسراً ، ولكن قلة بضاعتي من جهة وإشفاق الإخوة العلماء الذين وجهوني لدراسة الحاشية بأن هذا أمر يطول وربما لا أقدر عليه من جهة ثانية ، رأوا – جزاهم الله خيراً - أن أتخصص في بيان وذكر استدراكات شيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي في علوم القرآن الكريم فقط ، وإلا فان الأمر يستحق – والله - أن تفرد له دراسة خاصة – ولو على الأقل من وجهة نظري – متخصصة في أقوال شيخ زاده التفسيرية .

المبحث الثاني

أهم الحواشي على تفسير البيضاوي

مر معنا فيما سبق أن تفسير الإمام البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل قد لاقى قبولاً واسعاً بين الناس قديماً وحديثاً ، وأن العلماء تناولوه بالدراسة والعناية والاهتمام ، وقد كان من صور هذا الاهتمام وتلك العناية كثرة عدد الشروح والتعليقات والحواشي على هذا التفسير العظيم .

وسوف أقوم بهذه العجالة بسرد أهم الحواشي على هذا التفسير من باب التعداد ليزداد القارئ يقيناً وعلماً بأن هذه الحواشي تدل دلالة واضحة على عظم هذا التفسير وتبين مكانته بين العلماء وطلاب العلم على حد سواء، فأقول والله المستعان.

ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ما وصل إليه من هذه الحواشي وقد وصلت عنده إلى خمسين حاشية وتعليق وشرح ، وقد ذكر غيره أكثر من هذا العدد بما يقارب الضعفين ، منها ما يقع في مجلدات، ومنها دون ذلك، وكل هذا يعكس كما ذكرت قيمة هذا التفسير وأهميته ، أبدأ بذكر ما أثبته صاحب الكشف [1] وهي :

١- حاشية العالم الفاضل محيي الدين محمد بن الشيخ مصلح الدين مصطفى القوجوي المتوفى سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (ت ٩٥١ هـ) .

وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعاً وأسهلها عبارة، كتبها أولا على سبيل الإيضاح والبيان للمبتدئ في ثماني مجلدات، ثم استأنفها ثانيا بنوع تصرف فيه وزيادة عليه، فانتشر هاتان النسختان وتلاعب بهما أيدي النسّاخ حتى كاد أن لا يفرق بينهما. ولبعض الفضول منتخب تلك الحاشية، ولا يخفى أنها من أعزّ الحواشي وأكثرها قيمة واعتبارا وذلك لبركة زهده وصلاحه.

٢- حاشية العالم مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المشهور بابن التمجيد (ت نحو ٨٨٠ هـ)، معلم السلطان محمد خان الفاتح وهي مفيدة جامعة أيضا لخّصها من حواشي «الكشاف» في ثلاث مجلدات.

---

١. حاجي خليفة، كسف الظنون، مجلد ١، ص ١٨٦ وما بعدها.

٣- حاشية الفاضل القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري المتوفى سنة ست وعشرين وتسعمائة (٩٢٦ هـ) .

وهي في مجلد سماها فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل، أولها: الحمد لِلهِ الذي أَنْزَلَ على عبده الكتاب، نبه فيها على الأحاديث الموضوعة التي في أواخر السور.

٤- حاشية الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة (ت ٩١١ هـ) ، وهي في مجلد أيضا سماه «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار» .

٥- حاشية الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني المتوفى في حدود سنة أربعين وتسعمائة (٩٤٥ هـ) .

وهي حاشية لطيفة في مجلد، أورد فيها من الدقائق والحقائق ما لا يحصى، أولها الحمد لِلهِ الذي أَنْزَلَ آيات بينات محكمة.

٦- حاشية شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني المتوفى سنة ست وثمانين وسبعمائة (٧٨٦ هـ) ، في مجلد أيضا أولها الحمد لله الذي وفقنا للخوض.

٧- حاشية العالم الفاضل محمد بن جمال الدين بن رمضان الشرواني (ت ١٠٦٣ هـ) ،في مجلدين أولها: قال الفقير بعد حمد الله العليم العلام.

٨- حاشية الشيخ الفاضل صبغة الله بن إبراهيم الحيدري شيخ مشايخ بغداد في عصره (ت ١١٨٧ هـ) ، وهي كبرى وصغرى، جمع من ثماني عشرة حاشية.

٩- وحاشية صبغة الله بن روح الله بن جمال الله البروجي الحسيني النقشبندي الفقيه المتصوّف (ت ١٠١٥ هـ) وسمّاها «إراءة الدقائق» .

١٠- حاشية الشيخ الفاضل جمال الدين إسحاق القراماني المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (ت ٩٣٣ هـ) وهي حاشية مفيدة جامعة.

١١- حاشية العالم المشهور بروشني الآيديني.

١٢- حاشية الشيخ محمود بن الحسين الأفضلي الحاذقي الشهير بالصادقي الكيلاني المتوفى في حدود سنة سبعين وتسعمائة (ت ٩٧٠ هـ) .

وهي من سورة الأعراف إلى آخر القرآن سماها «هداية الرواة إلى الفاروق المداوي للعجز عن تفسير البيضاوي» وفرغ من تحريرها سنة ثلاث وخمسين تسعمائة.

١٣- حاشية الشيخ بابا نعمة الله بن محمد النخجواني المتوفى في حدود سنة تسعمائة (ت ٩٠٠ هـ) .

١٤- حاشية العالم مصطفى بن شعبان الشهير بالسروري المتوفى سنة تسع وستين وتسعمائة (ت ٩٦٩ هـ) .

وهي كبرى وصغرى، أول الكبرى الحمد لله الذي جعلني كشاف القرآن، ذكر العاشق في ذيل الشقائق أنه كان يكتب كل ما يخطر بالبال في بادي النظر والمطالعة ولا ينظر إليه بعد ذلك.

١٥- وحاشية المولى الشهير بمنا وعوض المتوفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة (ت ٩٩٤ هـ) ، وهو في نحو ثلاثين مجلدا.

١٦- وحاشية الشيخ أبي بكر بن أحمد بن الصائغ الحنبلي المتوفى سنة أربع عشرة وسبعمائة (ت ٧١٤ هـ) ، وسماه «الحسام الماضي في إيضاح غريب القاضي» شرح فيه غريبه، وضم إليه فوائد كثيرة ، وأما التعليقات والحواشي الغير التامة فكثيرة جدا:

١٧- حاشية المولى المحقق محمد بن فرامرز الشهير بملا خسرو المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة (ت ٨٨٥) هـ.

وهي من أحسن التعليقات عليه بل أرجحها إلى قوله سبحانه وتعالى: { سَيَقُولُ السُّفَهاءُ } وذيلها إلى تمام سورة البقرة لمحمد بن عبد الملك البغدادي (الحنفي المتوفى بدمشق سنة ١٠١٦ ذكره «خلاصة الأثر») ألّفه سنة اثنتي عشرة وألّف، أوله الحمد لله هادي المتقين.

١٨- وحاشية العالم الفاضل نور الدين حمزة «بن محمود» القراماني المتوفى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة (ت ٨٧١ هـ) ، وهي على الزهراوين سماها «تقشير التفسير» .

١٩- وتعليقة سنان الدين يوسف البردعي الشهير بعجم سنان المحشي لشرح الفرائض ، كتبها إلى قوله سبحانه وتعالى: { وَما كادُوا يَفْعَلُونَ } وهي كالخسروية حجما عبر فيها عن ملا حمزة بالأستاذ الأوسط وعن ملا خسرو بالأستاذ الأخير، أوله الحمد لله الذي نور قلوبنا.

٢٠- وحاشية الفاضل المحقق عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرايني المتوفى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة (ت ٩٤٣ هـ) .

وهي مشحونة بالتصرفات اللائقة والتحقيقات الفائقة من أول القرآن إلى آخر الأعراف ومن أول سورة النبأ إلى آخر القرآن، أهداها إلى السلطان سليمان خان ، أوله: الحمد لله الذي عم بارفاد إرشاد الفرقان.

٢١- وحاشية المولى العلامة سعد الله بن عيسى الشهير بسعدي أفندي المتوفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة (ت ٩٤٥ هـ) ، وهي من أول سورة هود إلى آخر القرآن.

وأما التي وقعت على الأوائل فجمعها ولده پير محمد من الهوامش فألحقها إلى ما علقه، وفيها تحقيقات لطيفة ومباحث شريفة لخصها من حواشي «الكشاف» وضم إليها ما عنده من تصرفاته المسلمة فوقع اعتماد المدرسين عليها ورجوعهم عند البحث والمذاكرة إليها، وقد علقوا عليها رسائل لا تحصى.

٢٢- وحاشية الفاضل سنان الدين يوسف بن حسام المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة (ت ٩٨٦ هـ)، وهي أيضا حاشية مقبولة من أول الأنعام إلى آخر الكهف، وعلق على سورة الملك والمدثر والقمر وألحقها وأهداها إلى السلطان السليم خان الثاني.

٢٣- وحاشية المولى محمد بن عبد الوهاب الشهير بعبد الكريم زاده المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة (ت ٩٧٥ هـ) ، وهي من أول القرآن إلى سورة طه ولم تنتشر.

٢٤- وتعليقة المولى مصطفى بن محمد الشهير ببستان أفندي المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة (ت ٩٧٧ هـ) ،وهي على سورة الأنعام خاصة.

٢٥- وتعليقة محمد بن مصطفى بن الحاج حسن المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة (ت ٩١١ هـ) ، وهي أيضا على سورة الأنعام.

٢٦- وتعليقة العالم الفاضل مصلح الدين محمد اللاري المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة (ت ٩٧٧ هـ) ، وهي إلى آخر الزهراوين مشحونة بالمباحث الدقيقة.

٢٧- وتعليقة نصر الله الرومي ،له «حاشية على أنوار التنزيل» للبيضاوي.

٢٨- وتعليقة الشيخ الأديب غرس الدين الحلبي الطبيب.

٢٩- وتعليقة المحقق الملا حسين (حسن) الخلخالي الحسيني (ت ١٠١٤ هـ) ، من سور يس إلى آخر القرآن، أولها: الحمد لله الذي توله العرفاء في كبرياء ذاته.

٣٠- وتعليقة محيي الدين محمد الإسكليبي المتوفى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة توفي سنة

(٩٢٢ هـ) .

٣١- وتعليقة محيي الدين محمد بن القاسم الشهير بالأخوين المتوفى سنة أربع وتسعمائة (ت ٩٠٤ هـ) ،وهي على الزهراوين.

٣٢- وتعليقة السيد أحمد بن عبد الله القريمي المتوفى سنة خمسين وثمانمائة (٨٥٠) ، وهي إلى قريب من تمامه.

٣٣- وتعليقة الفاضل محمد بن كمال الدين التاشكندي ، على سورة الأنعام أهداها إلى السلطان سليم خان.

٣٤- وتعليقة المولى زكريا بن بيرام الأنقروي المتوفى سنة إحدى وألف (ت ١٠٠١ هـ) ، وهي على سورة الأعراف.

٣٥- وتعليقة المولى محمد بن عبد الغني المتوفى سنة ست وثلاثين وألف (ت ١٠٣٦ هـ) ،إلى نصف البقرة في نحو خمسين جزءا.

٣٦- وتعليقة الفاضل محمد أمين الشهير بابن صدر الدين الشرواني المتوفى سنة عشرين وألف (ت ١٠٢٠ هـ) .

وهي إلى قوله تعالى: الم ذَلِكَ الْكِتَابُ أورد عبارة البيضاوي تماما بقوله وبدأ بما بدأ في الصفدي في «شرح لامية العجم» وهو قوله: الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب.

٣٧- وتعليقة المولى هداية الله العلائي المتوفى سنة تسع وثلاثين وألف (ت ١٠٣٩ هـ) .

٣٨- وتعليقة الفاضل محمد الشرانشي ،وهي على جزء النبأ.

٣٩- وتعليقة الفاضل محمد أمين بن محمود الشهير بأمير بادشاه البخاري الحسيني نزيل مكة المتوفى سنة (٩٧٢ هـ) ، وهي إلى سورة الأنعام.

٤٠- وتعليقة الفاضل محمد بن موسى البسنوي المتوفى سنة ست وأربعين وألف (ت ١٠٤٦ هـ) .

وهي إلى آخر سورة الأنعام كتبها على طريق الإيجاز، بل على سبيل التعمية والألغاز، أولها: الحمد لله الذي فضل بفضله العالمين على الجاهلين.

٤١- وتعليقة الفاضل المشهور بالعلائي ابن محتّي الشيرازي «علاء الدين علي بن محيي الدين محمد المتوفى سنة (٩٤٥) الشريف.

وهي على الزهراوين، أولها: الحمد لِلَّهِ الذى أَنْزَلَ على عبده الكتاب، فرغ عنها في رجب سنة خمس وأربعين وتسعمائة وسماها «مصباح التعديل في كشف أنوار التنزيل» .

٤٢- وتعليقة المولى أحمد بن روح الله الأنصاري المتوفى سنة تسع وألف (ت ١٠٠٩ هـ) ، وهي إلى آخر الأعراف.

٤٣- وتعليقة محمد بن إبراهيم ابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة (ت ٩٧١ هـ) .

٤٤- وصنف الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٩٤٢ هـ) الشامي الشافعي مختصرا سماه «الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف»، أوله الحمد لله الهادي للصواب.

٤٥- والشيخ عبد الرؤوف المناوي خرج أحاديثه في كتاب أوله: الله أحمد أن جعلني من خدام أهل الكتاب، وسماه «الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي» .

٤٦- وممن علق عليه كمال الدين محمد بن محمد بن أبي شريف القدسي المتوفى سنة ثلاث وتسعمائة (ت ٩٠٣ هـ).

٤٧- والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة (ت ٨٧٩ هـ) ،كتب إلى قوله سبحانه وتعالى فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ.

٤٨- والعلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة عشرة وثمانمائة (ت ٨١٦ هـ) ، ذكره السخاوي نقلا عن سبطه.

٤٩- ومن التعليقات عليه مع الكشاف وتفسير أبي السعود تعليقة الشيخ رضي الدين محمد بن يوسف الشهير بابن أبي اللطف القدسي (المتوفى سنة ١٠٢٨) .

وهي في مجلد ضخم أوله: الحمد لِلَّهِ الذي أَنْزَلَ على عبده الكتاب، علقها في درسه عند الصخرة إلى آخر الأنعام، فبيضها وأرسلها إلى المولى أسعد المفتي.

٥٠- و «مختصر تفسير البيضاوي» لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بإمام الكاملية الشافعي القاهري المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة (ت ٨٧٤ هـ) ١ . ومن

١. خليفة ، حاجي ، كشف الظنون ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ١٨٩ .

هذه الحواشي والتعليقات أيضا ما يصل بها - مع المكرر – إلى مائة وخمسين ، وهي كما يلي تعدادا بعد تجميعها من مظانها [١] :

١. ابن أبي اللطف: محمد بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي رضي الدين الحنفي ت ١٠٢٨.
٢. ابن أبي اللطيف: محمد بن محمد بن أبي اللطيف شمس الدين المقدسي ت ٩٠٣.
٣. ابن التمجيد: مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المشهور بابن التمجيد له حاشية في ثلاث مجلدات لخصها من حواشي الكشاف.
٤. ابن الحاج حسن: محمد شاه بن محمد المعروف بابن الحاج حسن الرومي ت ٩٣٩.
٥. ابن الحنائي : علي جلبي بن أمر الله بن عبد القادر الحميدي الرومي الشهير بابن الحنائي ت ٩٧٩.
٦. ابن الصائغ: أبو بكر بن أحمد بن الصائغ الحنبلي ت ٧١٤ صنف (الحسام الماضي في إيضاح غريب القاضي) حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي.
٧. ابن جماعة : محمد بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الكناني الشافعي ت ٨١٩.
٨. ابن عابدين:محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم بن نجم الدين بن محمد صلاح الدين المعروف بابن عابدين ت ١٢٥٢.
٩. إبن قره تبه لي: حسين بن مصطفى الآيديني ت ١١٩١، له حاشية على بعض أقسام تفسير البيضاوي.
١٠. ابن قطلوبغا: سيف الدين محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا الحنفي ت٨٧٠.

---

١. البباني ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مصدر سابق ، مجلد ١ ، ص ١٦١ ، وانظر : العَمْري ، صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله المعروف بالفُلّاني المالكي (المتوفى: ١٢١٨هـ) ،قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر ،المحقق: عامر حسن صبري ، الناشر: دار الشروق – مكة ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م_١٤٠٥هـ ، مجلد ١ ، ص ٩٨ . وانظر : سركيس، يوسف بن إليان بن موسى (المتوفى: ١٣٥١هـ) ،معجم المطبوعات العربية والمعربة ،الناشر: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م ، مجلد ١ ، ص ٥٣ ، وانظر : البباني ،إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) ،إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ،عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، مجلد ٣ ، ص ١٤٠ .

١١. الأزميري: محمد بن ولي بن رسول القيرشهري ثم الأزميري ت ١١٦٥.

١٢. الاسفرائني: إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الاسفرائني الخراساني عصام الدين الحنفي ت ٩٤٤ له حاشية على تفسير البيضاوي إلى سورة الأعراف من أول سورة النبأ إلى آخر القرآن.

١٣. أقكرماني: محمد بن مصطفى حميد الكفوي المعروف باقكرماني ت ١١٧٤.

١٤. آلتوني جوق زاده: عبد الله بن محمد الرومي المعروف بآلتوني جوق زاده ت ١١٨٣.

١٥. الالسيالكوتي : القاضي عبد الحكيم بن شمس الدين محمد السيالكوتي البنجابي ت ١٠٦٧.

١٦. الأماسي: خضر بن محمد الأماسي الحنفي ت ١١٠٠ وقيل ١٠٨٦.

١٧. الأماسي: محمد بن إمام محمود باشا الأماسي ت ٩٧٣.

١٨. إمام الكاملية: محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي يوسف بن منصور القاهري كمال الدين الشافعي المعروف بإمام الكاملية ت ٨٧٤ .

١٩. أمير بادشاه البخاري :محمد أمين بن الشريف المعروف بأمير بادشاه البخاري الحنفي ت ٩٧٢ وقيل.٩٨٧ .

٢٠. الإيجي: عيسى بن محمد بن عبد الله بن محمد الصفوي قطب الدين الإيجي ت.٩٥٥ .

٢١. الباليكسري: محمد بن مصلح الدين مصطفى بن الحاج حسن الباليكسري قاضي عسكر الرومي المتخلص بجامي ت٩١١ ، له حاشية على تفسير سورة الأنعام للبيضاوي.

٢٢. بايزيد خليفة : بايزيد خليفة بن عبد الله الرومي ت ٩١٠.

٢٣. البردعي التبريزي: محيي الدين محمد بن محمد بن محمد البردعي التبريزي ت ٩٢٧ .

٢٤. البروجي: صبغة الله بن روح بن جمال الله البروجي الهندي الشريف الحسيني النقشبندي ت ١٠١٥.

٢٥. البكتمري : محمد بن محمد بن عمر بن قطالوبغا التركي الأصل المصري سيف الدين البكتمري ت ٨٨١.

٢٦. البلقيني : هو القاضي بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي ت ٩٨٠.

٢٧. البليدي: محمد بن محمد بن محمد المغربي المالكي المعروف بالبليدي ت ١١٧٦ .

٢٨. البنارسي: أمان الله بن نور الله بن حسين البنارسي الهندي الحنفي ت ١١٣٣.

٢٩. البهوتي: زين الدين عبد الرحمن بن يوسف بن علي البهوتي ت ١٠٨٩.

٣٠. البوريني: بدر الدين حسن الدمشقي ت ١٠٢٤

٣١. البيلوني: فتح الله بن محمود بن محمد العمري الحلبي المعروف بالبيلوني الشافعي ت ١٠٤٢.

٣٢. التركي: سيف الدين محمد بن محمد بن عمر التركي ت٨٨١

٣٣. الجابري :أحمد بن روح الله بن ناصر الدين بن غياث الدين بن سراج الجابري الأنصاري ت ١٠٠٨ له حاشية على تفسير سورة الأنعام للبيضاوي.

٣٤. الجرجاني الشريف: علي بن السيد محمد بن علي الجرجاني أبو الحسن الشهير بالسيد الشريف ت ٨١٦.

٣٥. حثي: محمد يوسف الحميدي المعروف بحثي ت ١٠٣٣.

٣٦. حسن جلبي الفناري: حسن جلبي بن محمد شاه بن علاء الدين علي بن يوسف بن بالي محمد شاه بن شمس الدين الفناري ت ٨٨٦.

٣٧. حقي الرومي: إسماعيل حقي بن الشيخ مصطفى الاستانبولي أصلا والآيدوسي مولدا ت ١١٣٧ ، له حاشية على تفسير سورة النبأ للبيضاوي.

٣٨. الحلبي العرضي: محمد بن علي بن هلال الحلبي شمس الدين العرضي النحوي ت ٩٣٣.

٣٩. الحلبي: أحمد بن إبراهيم غرس الدين الحلبي ت ٩٧١ له حواشي على تفسير البيضاوي.

٤٠. الحويزي: عبد العلي بن ناصر بن رحمة البحراني الحويزي ثم البصري الشاعر ت ١٠٧٥.

٤١. الخادمي : سعيد بن أبي سعيد محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمي الرومي ت ١٢٣١.

٤٢. خطيب الوزيري : محمد بن إبراهيم المالكي شمس الدين الشهير بالخطيب الوزيري ت ٨٩١.

٤٣. الخفاجي: أحمد بن محمد بن عمر المصري القاضي شهاب الدين المعروف بالخفاجي ت ١٠٦٩.له عناية القاضي وكفاية الراضي (وهي حاشية على تفسير البيضاوي في ثمان مجلدات

٤٤. الخلخالي : ملا حسن بن السيد الحسيني الخلخالي ت ١٠١٤ له حاشية على تفسير البيضاوي من سورة يس إلى آخر القرآن.

٤٥. الخلخالي : نصر الله بن محمد العمري العجمي المعروف بالخلجالي ت ٩٤٦

٤٦. داماد الرومي: حسن أحمد الزعفراني بولي الرومي الحنفي المعروف بداماد ت ١١١٣.

٤٧. داماد واني: مصطفى بن عبد الله الكردي الشهير بداماد واني ت ١٠٩٨

٥١ . دباغ زاده :محمد بن الشيخ محمود الشهير بدباغ زاده، له حاشية على جزء النبأ من تفسير البيضاوي.

٤٨. الدروري: سري الدين محمد بن إبراهيم الدروري ت ١٠٦٩ وقيل ١٠٦٦ ، له حاشية على سورة النساء من تفسير البيضاوي.

٤٩. ملا عبد الحكيم السيالكوئي الفنجاني ت ١٠٩٧ له حواشي تفسير البيضاوي .

٥٠. الرومي: محمد الرومي ت ٩٧٣.

٥١. السروري : مصطفى بن شعبان الشهير بالسروري ت ٩٦٩.

٥٢. سعدي جلبي: سعد الله بن عيسى بن أمير خان القسطموني ثم الرومي الحنفي الشهير بسعدي جلبي ت ٩٤٥.

٥٣. السفرجلاني : عبد الرحمن بن عمر بن إبراهيم السفرجلاني الدمشقي ت ١١٥٠

٥٤. السمرقندي: هو الخواجة أبو القاسم.

٥٥. سنان المحشي : سنان الدين يوسف بن حسام الدين بن إلياس الأماسي الرومي الحنفي الشهير بسنان المحشي ت ٩٨٦ .

٥٦. السندي : محمد بن عبد الهادي السندي نور الدين أبو الحسن ت ١١٣٨.

٥٧. السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ ، له حاشية على تفسير البيضاوي سماها : نواهد الأبكار وشوارد الأفكار.

٥٨. الشرواني : محمد بن جمال الدين بن رمضان الشرواني له حاشية على تفسير البيضاوي في أربع مجلدات .

٥٩. الشرواني : هو نور الدين نور الله بن محمد رفيع ت ١٠٦٥ .

٦٠. الشرواني: الفاضل إسماعيل بن عبدالله الحنفي ت ٩٤٢.

٦١. الشماخي : علي بن الحاج صادق بن محمد بن إبراهيم الداغستاني ت ١١٩٩.

٦٢. الشيرازي : مهدي بن عبد الله الشيرازي الأفكاري ثم الرومي ت٩٥٦ .

٦٣. الشيرازي: علي بن محيي الدين محمد الشيرازي علاء الدين الحنفي ت ٩٥٤، له مصباح التعديل في كشف أنوار التنزيل حاشية على تفسير البيضاوي.

٦٤. الصادقي الكيلاني: محمود بن الحسين الأفضلي الحاذقي الكيلاني الشهير بالصادقي الشافعي النقشبندي ت ٩٧٠، له حاشية على تفسير البيضاوي من سورة الأعراف إلى آخر القرآن سماها ك هداية الراوي إلى الفاروق المداوي للعجز عن تفسير البيضاوي.

٦٥. الصاوي: أحمد بن الصاوي المصري المالكي الخلوتي ت ١٢٤١

٦٦. صبغة الله : الشيخ الفاضل صبغة الله جمع من ثماني عشرة حاشية.

٦٧. الصيامي : الصيامي بن ولي هو قاضي الخيره بولي الرومي الحنفي ت ٩٧١.

٦٨. طاشكبري زاده محمد بن عصام الدين أحمد بن مصطفى الرومي ت ١٠٣٠، له حاشية على تفسير البيضاوي إلى سورة الكهف.

٦٩. الطاشكندي: محمد كمال الدين الشاشي الفركندي الحنفي النقشبندي ت٩٨٠

٧٠. الظهوري: هو القاضي صالح بن إسحاق القره باغي ت ١٠٧٣.

٧١. العاملي :محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد بن محمد العاملي الحنفي بهاء الدين الحارثي الهمداني الشيعي ت ١٠٣١.

٧٢. عبد الكريم زاده: محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم الرومي الحنفي الشهير بعبد الكريم زاده ت ٩٧٥، له حاشية على تفسير البيضاوي إلى سورة طه.

٧٣. عجم سنان المحشي : سنان الدين يوسف البردعي الشهير بعجم سنان المحشي له حاشية على تفسير البيضاوي إلى قوله تعالى وما كادوا يفعلون .

٧٤. عرب زاده: هو القاضي محمد بن الواعظ محمد الإنطاكي ت ٩٦٩.

٧٥. عرضي: أبو الوفا محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود العرضي الحلبي ت ١٠٧١.

٧٦. عشاقي زاده: عبد الباقي بن عبد الرحيم بن حسام الدين العشاقي الرومي ت ١٠٩٠، له حاشية على أوائل تفسير البيضاوي.

٧٧. عضد الدين المصري: عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى بن يوسف المصري ت ٨٨٠.

٨٣ . العطوفي: خير الدين خضر بن محمود بن عمر المرزيفوني الرومي الحنفي المعروف بالعطوفي ت ٩٤٨.

٧٨. العلائيه وي : عوض بن عبد الله العلائيه وي المنوغادي ت٩٩٤.

٧٩. العينتابي: محمد بن حمزة الحنفي ت ١١١١.

٨٠. الغزي: شهاب الدين أحمد بن عبد الله.

٨١. الفكاري: الشريف مهدي الشيرازي ت. ٩٥٧

٨٢. الفناري : أبو البركات فخر الدين محمد شاه بن محمد بن حمزة بن خليل بن عيسى الفناري الرومي ت ٨٣٩ له حواشي على أوائل تفسير البيضاوي.

٨٣. فيضي الأرض رومي: فيض الله بن السيد محمد بن بير محمد بن أحمد بن شيخ جنيد الأرض رومي ت ١١١٥، له حواشي على تفسير البيضاوي.

٨٤. القازآبادي:أحمد بن محمد بن إسحاق القاز آبادي أبو النافع الرومي الحنفي ت ١١٦٣، له تنوير البصائر بأنوار التنزيل وتوقير السرائر بأسرار التأويل (وهو حاشية على تفسير البيضاوي) وله حاشية على تفسير الفاتحة للبيضاوي.

٨٥. قاضي بغداد: قوام الدين يوسف بن حسن الحسيني الشيرازي ثم الرومي الحنفي الشهير بقاضي بغداد ت ٩٢٢.

٨٦. القاضي زكريا : زكريا بن محمد الأنصاري المصري ت ٩١٠ ، له حاشية على تفسير البيضاوي سماها : فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل

٨٧. القاضي عبد الحليم الرومي: عبد الحليم بن الشيخ نصوح الرومي ت١٠٨٨ ، له حاشية على تفسير الزهراوين وسورة النساء من تفسير البيضاوي.

٨٨. القرماني: جمال الدين إسحاق بن محمد القرماني الحنفي الصوفي الشهير بجمال خليفة ت ٩٣٣

٨٩. القرماني: حمزة بن محمود القرماني نور الدين الرومي الحنفي ت ٨٧١، له حاشية على تفسير البيضاوي في تفسير الزهراوين سماها تقشير التفسير.

٩٠. القره باغي: محيي الدين محمد بن علي القره باغي ت ٩٤٢.

٩١. القره ماني: كمال الدين إسماعيل الرومي ت ٩٢٠.

٩٢. القنوي: خليل بن أحمد الحنفي ت ١٢٣٠

٩٣. القونوي: إسماعيل وهبي بن محمد بن مصطفى القونوي ت ١١٩٥.

٩٤. الكازروني: أبو الفضل القرشي الصديقي المشهور بالكازروني ت ٩٤٠ ، وقيل ٩٤٥ له حاشية لطيفة في مجلد.

٩٥. الكردي: هو القاضي عبد الله بن محمد المدرس ت ١٠٦٤.

٩٦. الكركي: حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن حيدر الكركي العاملي الحكيم الشيعي ت ١١٧٦.

٩٧. الكرماني : محمد بن يوسف بن علي بن محمد بن سعيد الكرماني شمس الدين البغدادي ت ٧٨٦، له حاشية على تفسير البيضاوي إلى سورة يوسف.

٩٨. الكليسي : عبد الله بن عبد الرحمن الكليسي الحلبي الحنفي المتخلص بانوري ت ١٣٠٣.

٩٩. الكماخي: عثمان بن يعقوب بن حسن بن مصطفى الكماخي الزومي ت ١١٧١، له حاشية على تفسير سورة النبأ للبيضاوي.

١٠٠. الكواكبي: محمد بن لحسن بن أحمد بن يحيى الحنفي ت ١٠٩٦.

١٠١. الكوراني : محمد شريف بن يوسف بن القاضي محمود الصديقي الشاهوي ت ١٠٧٨.

١٠٢. الكوراني : يوسف بن القاضي محمود بن الملا كمال الدين الصديقي الشاهوي الرويسي الكوراني الكردي توفي في حدود سنة ١٠٠٠.

١٠٣. الكيلاني: أحمد بن توفيق القاضي الحنفي ت ١٠٥١.

١٠٤. مستجي زاده :عبد الله بن عمر بن عثمان الحنفي ت ١١٤٨،له حاشية على تفسير البيضاوي إلى سورة يونس.

١٠٥. المغنيساوي: خليل بن أحمد مستحي زاده المتخلص بنعيمي ت ١٢٣٠.

١٠٦. المغنيساوي: عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله القدوسي الخلوتي ت ١٠٨٠

١٠٧. مفيد الرومي: إسماعيل مفيد بن علي العطار الرومي ت ١٢١٧، له حاشية على تفسير سورة النبأ للبيضاوي.

١٠٨. مكي زاده:محمد الرومي ت ١٢١٢ هـ، له حاشية على أوائل تفسير البيضاوي.

١٠٩. المناستري : نصر الله بن عبد الله المناستري الرومي المجرس ت٩٧٦ .

١١٠. مناوعوض : المولى الشهير بمناوعوض ت٩٩٤له حاشية على تفسير البيضاوي وهي نحو ٣٠ مجلد.

١١١. منطقي الرومي: مصطفى بن أحمد الفلورنيه وي الرومي ت ١٢٤٤، له حاشية على جزء النبأ من تفسير البيضاوي.

١١٢. المنقاري:يحيى بن عمر الرومي ت ١٠٨٨هـ.

١١٣. منلا خسرو : محمد بن فرامرز بن علي الشهير بمنلا خسرو ت ٨٨٥.

١١٤. موج زاده : عبد الرحمن بن عبد الله البرسوي الحنفي الشهير بموج زاده ت ١١٦١.

١١٥. الموصلي:محمود بن عبد الله ت١٠٨٢.

١١٦. الميموني:إبراهيم بن محمد المصري ت ١٠٧٩.

١١٧. نادري الرومي: محمد جمال الدين بن شمس الدين عبد الغني الأردبيلي المتخلص بنادري ت ١٠٣٦.

١١٨. النخجواني: نعمة الله بن محمود النخجواني ت ٩٢٠.

١١٩. نشانجي زاده:القاضي أحمد بن محمد بن رمضان الرومي ت ٩٨٦ .

١٢٠. النكدوي:شرف الدين يعقوب بن إدريس بن عبد الله الرومي ت ٨٤٤ .

١٢١. النكساري :محيي الدين محمد بن إبراهيم بن جسري الرومي ت ٩٠١.

١٢٢. نور الدين آبادي: نور الدين بن صالح الأحمد آبادي الهندي ت ١١٥٥، له حاشية على أوائل البيضاوي.

١٢٣. الوابكني البخاري: عناية الله الوابكني البخاري المشهور بآخوند ت١١٧٦ ، له حاشية على تفسير البيضاوي من أوله إلى آخر سورة البقرة وعلى تمام جزء النبأ .

١٢٤. الواعظ الأسكوبي: عمر بن محمد الأسكوبي الدبره وي ثم القسطنطيني ت ١٠٣٣، له حاشية على تفسير البيضاوي من سورة الرحمن إلى آخر القرآن اسمها فتح الغطاء عن وجه العذراء.

١٢٥. وجيه الدين العلوي الكجراتي ت ٩٩٨ له حاشية على تفسير البيضاوي.

١٢٦. يوسف زاده: عبد الله حلمي بن محمد بن يوسف بن عبد المنان الرومي ت ١١٦٧.

المبحث الثالث

منهج شيخ زاده في حاشيته

شيخ زاده كما مر في ثنايا الرسالة عالم" عارف" مفسر" فقيه" لغوي" ، فهو في الحقيقة موسوعة علمية لا ينكر ذلك إلا من لم يطلع على حاشيته القيمة محل دراستنا هذه .

وقد كان رحمه الله يوظف معارفه كلها في خدمة هدفه العام من تحشيته على تفسير الإمام البيضاوي ، فهو يقرر – كما مر – أنه يسعى إلى فك مغلقات هذا التفسير العظيم المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل .

وبرأيي أجد أن شيخ زاده رحمه الله قد نجح نجاحا" باهرا" في هدفه، واستطاع أن ييسر عبارة البيضاوي رحمه الله ويفصلها ويستدرك عليها بما يجعلها كنزا" من كنوز العلوم والمعرفة التفسيرية والبيانية واللغوية، وحتى الفقهية.

ومن خلال الدراسة في الحاشية فإنني استطيع أن أقول أن شيخ زاده رحمه الله لم يكن له منهج محدد يسير عليه في تحشيته على البيضاوي ، فقد كان رحمه الله يتتبع كلام البيضاوي ويسير وفق ترتيب الإمام البيضاوي في تناوله للآيات الكريمة ، وقد ذكرت في أكثر من موضع في هذه الدراسة أن شيخ زاده كان يفسر كلام البيضاوي وهذا عمل المحشي ، فهو بالتالي تابع له في ترتيبه وتناوله للآيات الكريمة .

وقد تعددت طرق تناول شيخ زاده رحمه الله تعالى في تتبع كلام البيضاوي ، فتارة يذكر الجانب اللغوي للفظة التي تناولها البيضاوي ، وتارة أخرى يبدأ بعرض القراءات القرآنية ، ويوجهها وأحيانا" يعلق عليها بتعليقات وأوجه لم يتناولها الإمام في تفسيره .

وأحيانا" أخر نجده لا يقف عند كلام البيضاوي فهو يتجاوز عن كثير من كلامه دون التعليق ولو بكلمة وذلك من مبدأ الاختصار الذي من الممكن أن نعده من أساليبه في تناول كلام البيضاوي رحمه الله تعالى.

ولعل استشهاد شيخ زاده بالشعر في كثير من المواطن يجعل هذا من منهجه، على أن ذلك لا ينتظم في كل مرة مع استشهاد الإمام البيضاوي للشعر.

وقد تميز شيخ زاده رحمه الله بالتطويل والإسهاب عندما يتّعلق الأمر باللغة فهو البارع المتقن المتفنن في أساليبها ، ولعلي عددت ذلك من المآخذ عليه رحمه الله تعالى على اعتبار أن هذا كائن على حساب المعنى المباشر ، وعلى حساب جو النص للآيات الكريمة .

وعلى هذا فمن العسير من وجهة نظري أن نحدد منهجاً خاصاً لشيخ زاده في حاشيته ، خاصة انه لم يذكر منهجه رحمه الله في مقدمة الحاشية كما يفعل بعض المحشين عوضاً عن بعض المفسرين ، وهو كما ذكرت لا يلتزم منهجاً محدداً ، بل يراوح بين الأساليب الكثيرة في تناوله لكلام البيضاوي رحمه الله تعالى .

وعلى الرغم مما سبق فيمكن المحاولة لتحديد معالم ولو عامة لمنهجه رحمه الله في حاشيته القيمة ، فأقول والله المستعان :

أولاً : رتب حاشيته رحمه الله بحسب ترتيب الإمام البيضاوي في تفسيره ، فهو كما ذكرت يتناول كلام البيضاوي في الشرح والتوضيح والبيان والاستدراك .

ثانياً : بناء على ما سبق فقد كان شيخ زاده رحمه الله تعالى يتكلم عن مكية السورة من مدنيتها بحسب ما قال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى ، أما موافقاً وأما مخالفاً ومن النادر أن يترك التعليق على كلام البيضاوي في هذا الأمر .

ثالثاً : كما ذكرت سابقاً فان شيخ زاده لم يقف عند تفسير الآيات الكريمة ، لان هذا ليس هدفه ، بل الهدف هو شرح عبارة الإمام البيضاوي رحمه الله وبالتالي قد يترك كلاماً كثيراً دون تعليق على اعتبار انه كلام مفهوم ولا يحتاج إلى فك مغلقات .

رابعاً : يمكن القول أن شيخ زاده تابع الإمام البيضاوي رحمه الله في كثير من القضايا ، وسكت عن قضايا حسبت من المآخذ على البيضاوي رحمه الله ، وبسكوته عنها سجلت من المآخذ عليه وهي سكوته عن الأحاديث الموضوعة في نهاية كل سورة ، وقل مثل ذلك في الأحاديث التي يستشهد بها البيضاوي فلم يقم رحمه الله تعالى بتمييز الصحيح من السقيم منها ، وهذا مما لا يقبل من مثله رحمه الله تعالى .

خامساً: لم ينسب رحمه الله تعالى الأقوال في كثير من الأحيان إلى أصحابها، فكان يكتفي أن يقول وبه قال المفسرون، وقال جمهور العلماء، وقال أهل العلم، إلى غير ذلك من العبارات العامة، وقل مثل هذا في تناوله للشعر.

سادساً : يمكن اعتبار صفة الإسهاب والتطويل من السمات البارزة لمنهجه رحمه الله تعالى ، فقد كان يسهب كثيرا في تناوله للفظة مر عليها الإمام البيضاوي رحمه الله بسرعة ، وقد ذكرت في الرسالة مثالاً على ذلك في تناوله للفظة السماء ، وأذكر هنا مثالاً آخر ، وهي تناوله رحمه الله لمعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[1] ،وانقسام الكفار إلى ثلاثة أنواع ، وغير ذلك من الموضوعات الفرعية المترتبة على تناوله لها رحمه الله تعالى .

سابعاً : استخدامه لطريقة السؤال والجواب ، على طريق فنقلة جار الله الزمخشري دون عد ذلك من منهجه المطرد في تناوله للمسائل محل البحث ، فهو يستخدم ذلك في بعض الأحيان فقط ، ويبدع أيما إبداع في تحرير الجواب وتقريره بما يشفي الغليل ويثلج الصدر .

ثامناً: تنوعه في الأساليب كما ذكرت يجعل ذلك من معالم منهجه العامة فهو لم يلتزم خطاً محدداً، وفي هذا فائدة في تنوع مخاطبة القارئ وبالتالي لشد الانتباه وضمان عدم الملل.

ويجب أن أذكر أنني لم أوثق ما استخرجته من منهج شيخ زاده رحمه الله تعالى بالأدلة والأمثلة – في هذا الموضع - لوضوح ذلك وكثرة وروده في الحاشية فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات الحاشية من دليل على ما مر، وبالله التوفيق.

---

١. سورة التوبة ، الآية (٢٨) .

المبحث الرابع

أهم مزايا الحاشية

وبالرجوعً إلى ما مر في بداية الرسالة من الحديث عن الحاشية وأهميتها ، ومكانتها بين الحواشي الكثيرة على تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى ، فيمكن القول أن هذه الحاشية من أهم الحواشي وأقيمها وأكثرها فائدة ، وذلك بالنظر إلى الأمور التالية بحسب ما استطعت أن ارصده وأسجله على هذه الحاشية الرائعة ، فأقول والله المستعان .

أولاً : أفرزت هذه الحاشية - بحسب رأيي - شيخ زاده رحمه الله كمفسر من المفسرين ، وأنا أوافق الإمام الزركلي رحمه الله تعالى بأن شيخ زاده مفسر، وقد أبرزت هذه الحاشية شخصيته العلمية الفذة ، وقد عد العلماء شيخ زاده بين العلماء الأفاضل.

ومع كون شيخ زاده رحمه الله تعالى محشياً على تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى إلا إن شخصيته ظهرت وبشكل واضح في هذه الحاشية ، فقد كانت له شخصيته المستقلة ، فلم يكن موافقاً دائماً للإمام البيضاوي رحمه الله ، بل ناقشه واعترض عليه واستدرك استدراكات كثيرة لها محلها من الدقة والقيمة بين أقوال العلماء ، هذا عوضاً عن شخصيته العلمية المتمثلة بتضلعه باللغة العربية وفنونها ، واهتمامه باللطائف التفسيرية والنكات العلمية ، والفرائد العجيبة التي تحتاج إلى إعمال فكر وبعد نظر ، وهذا مما تميز به شيخنا رحمه الله تعالى .

ثانياً : الموضوعية التي تميزت بها هذه الحاشية متمثلةً بشيخ زاده رحمه الله ، حيث لم يكن متعصباً لرأي رآه دون الإمام البيضاوي رحمه الله ، فقد كان يلتزم الحق حيثما كان ، ويقف عند قول الإمام في حالة أنه لم يجد ما يناقشه فيه ، فليس المقصود فقط المناقشة لأجل المناقشة ، وإنما حيثما كانت الفائدة والتوضيح كان يتدخل رحمه الله ، وإلا فلا .

ثالثاً: القيمة التحليلية للحاشية وما تضمنته من فوائد زاخرة سواء في التفسير أو في علوم القرآن الكريم، عدا عما تضمنته من علوم اللغة العربية بكل أفنانها وفنونها، والتي برع فيها شيخ زاده رحمه الله تعالى أيما براعة.

رابعاً : أعتقد جازماً بعد العيش مع الحاشية طيلة فترة الدراسة أن حاشية زاده رحمه الله ضرورية جداً لفهم عبارة الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى ، بل أكاد أجزم انه لن يفهم عبارة البيضاوي رحمه الله تعالى من لم يطلع على حاشية زاده رحمه الله تعالى .

خامساً: إن هذه الحاشية ضرورية جداً لفهم عبارة الإمام البيضاوي رحمه الله، وكما ذكرت في أكثر من موضع بأنه لا يستغني عنها عالم عوضاً عن طالب علم.

سادساً : كانت هذه الحاشية وشيخها مرجعاً مهماً من مراجع التفسير فقد استفاد من جاء بعد شيخ زاده منه هذه الحاشية كثيراً حتى إن الآلوسي رحمه الله كان ينقل منها كثيراً وبالجملة ، وقد أحصيت أكثر من عشرة مواضع ذكر الالوسي شيخ زاده بالاسم عوضاً عن نقله في مواطن كثيرة بدون ذكره للاسم ، بما يدل دلالة واضحة على أهميتها وقيمتها وميزتها .

سابعا ً : لغة الحاشية لغة جزلة ودقيقة ، ولان شيخ زاده رحمه الله كان يعالج عبارة البيضاوي فقد أخذ على عاتقه أن تكون عبارته واضحة ومحددة ولا تحتاج إلى شرح أو فك مغلق ، وهو الذي كان – رحمه الله تعالى – يدرس تفسير البيضاوي في المساجد للناس ولعامة المسلمين في مسجده ، الأمر الذي يفرض عليه تبسيط عبارته وجعلها في متناول الجميع ، ومع ذا فقد كانت عبارته في منتهى الدقة والجزالة والتوضيح ، وقد زادت بالفعل توضيح عبارة الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى.

ثامنا ً : تميزت شيخ زاده رحمه الله في الحاشية بأن حشد الكثير من أقوال العلماء والشعراء والمفسرين ، الأمر الذي يجعل حاشيته مصدراً من مصادر التفسير ، فقد كان يذكر رحمه الله كلام الشريف المحقق الرضي ، والراغب ، وأبو علي الفارسي ، والجوهري ، والواحدي ، والإمام جار الله الزمخشري ، والإمام الرازي ، وأبو عبد الله البصري أستاذ الإمام البيضاوي ، عوضاً عن الإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة رحمهما الله تعالى ، وغيرهم كثير ، مما يضفي على الحاشية قيمة خاصة .

المبحث الخامس

أهم المآخذ على الحاشية

يمكن تسجيل مجموعة من المآخذ والملاحظات على هذه الحاشية القيمة دون أن يؤثر ذلك على قيمتها الفعلية ، فهي مجرد ملاحظات من باحث ما زال يقف على أعتاب هذه الحاشية الغنية والرائعة ، ولكنها ملاحظات تتناسب مع ما استطعت الوقوف عليه من هذه الحاشية ، مع الاعتراف بالتقصير والعجز أمام مثل هذا الكنز وهذه الثروة العلمية .

أولاً : ولعل مما يؤخذ على شيخ زاده رحمه الله في حاشيته ، أنه كان يتجاوز – رحمه الله تعالى - كثيراً من المواطن التي يجب أن يتحدث فيها للناس ، فنجده مع الأسف يقفز – إن جاز التعبير – عن الكثير من المواطن التي تكلم فيها البيضاوي رحمه الله تعالى دون أن يعلق ولو بكلمة واحدة .

ثانياً : استطراده في الأمور اللغوية كثيراً على حساب المعنى في كثير من المواطن ، فيكفي أن أذكر مثالاً على ذلك وقوفه على معنى كلمة " السماء " ، عند تعرضه للتحشية على تفسير البيضاوي لقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [1] ، حيث عقد لها مبحثاً خاصاً تجاوز فيه إلى ذكر المعنى من حيث اللغة عند علماء العربية والاصطلاح ، وأقوال الشعراء ومرادهم من السماء ، والموافقة بينها وبين السمو ، وما إلى ذلك مما من شأنه أن يصرف المتتبع للتفسير عن المعنى المباشر ليشتت فكره في معان غير مراده ، مما يجهد القارئ ويتعبه في العودة إلى سياق الآية والمراد من اللفظة فيها .

ثالثا : متابعته للإمام البيضاوي في تأويل آيات الصفات ، فكما مر في هذه الدراسة فإن شيخ زاده أحياناً يقول بالمجاز والتمثيل لتأويل آيات الصفات ، متبعاً في ذلك إمامه البيضاوي الذي جارى كلام جار الله الزمخشري رحمهم الله جميعاً ، وذلك واضح من

---

١. سورة البقرة ، الآية (١٩) .

خلال متابعته له في الحديث عن الكرسي في آية الكرسي ، و طي السماء كطي السجل ، والسماوات المطويات بيمينه سبحانه وتعالى ، كل ذلك على سبيل المجاز عند من ذكرت وإلا على قولهم فلا ثمة كرسي ولا طي ، اللهم إن هذا تمثيل لبيان عظمة الله تعالى وجبروته ، وقد بينت القول فيها في موضعها ، والله أعلم .

رابعاً: متابعته للإمام البيضاوي رحمه الله في ذكر الأحاديث الموضوعة في نهاية كل سورة ، والتي يكاد يجمع عليها أكثر علماء التخريج بأنها موضوعة ، وعلى رأسهم الإمام الزيلعي الذي تصدى لتخريج أحاديث البيضاوي في كتابه الفتح السماوي ، دون الإشارة ولو بكلمة عن ضعفها من قبل البيضاوي رحمه الله تعالى.

وقل مثل هذا في استشهاده بالأحاديث النبوية الشريفة دون تخريجها أو الإشارة إليها.

وفي الحقيقة لا يقبل الباحث ما اعتذر به البعض عن استخدام البيضاوي للأحاديث الضعيفة بان هذا من باب الترغيب وبيان فضائل السور لتحبيبها إلى الناس ، فمثل هذا الكلام لا يقبل من أحد عوضاً عن أن يقبل من قبل علامة كالبيضاوي أو من تلميذه شيخنا شيخ زاده رحمهما الله تعالى .

خامساً : استشهاده بالشعر العربي ، ومع كون هذه خاصية جيدة من خصائص هذه الحاشية إلا أنه يؤخذ على شيخ زاده رحمه الله تعالى عدم عزو الشعر إلى أصحابه ، وقل مثل ذلك في الأقوال التفسيرية التي كان يحشدها في حاشيته دون عزوها ، فكثيراً ما كان يقول : يقول أهل العلم ، أو أهل التفسير ، ومن المعلوم أن هذا غير دقيق في النهج العلمي في التأليف .

وأعتقد أن ما مضى يكفي ولو لوضع تصور مبدئي للحاشية ولمنهج شيخ زاده رحمه الله تعالى فيها ، وقد كنت في كل مرة أرجع إلى هذا الدراسة لمتابعة الكتابة فيها أجدني أحذف منها وأضيف إليها ، فهذا مناسب وهذا غير مناسب ، واحتاج هنا إلى الاختصار وهنا إلى التطويل ، وهذا مما يجعلني لن انتهي ولن أتوقف عن الكتابة في الحاشية ، وقد تذكرت قول الإمام العماد الأصفهاني فتوقفت ، وتوكلت على الله تعالى في إنهائي لهذه الدراسة ، يقول الإمام رحمه الله بما لا يخفى عليكم : " إني رأيت أنه لا يكتبُ أحدٌ كتابًا في يومه، إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك

هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملةِ البشر" ،هذا وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني وأعانني على إخراج هذه الدراسة، والتي تعرضت فيها إلى كنز من كنوز التفسير وأبرزت فيها ثروة من ثروات تراثنا الحافل بالعلم والمعرفة.

دراسة حاشية شيخ زاده تمثل صيحة صادقة للأمة المسلمة في ضرورة العودة إلى تراثها العظيم الذي أنارت فيه دروب الحياة في ما مر من أزمنة تسنمت فيها الأمة كرسي العلم والقيادة والسيادة .

استطعت من خلال هذه الدراسة أن الفت الانتباه إلى الأمور التالية:

١ . أهمية حاشية شيخ زاده باعتبارها كما ذكرت كنزا معرفيا وتراثاً إسلامياً، وعلامة بارزة على سمو الأمة ودورها في رفد الحضارة البشرية، بالعلم والمعرفة والنور.

٢. الإشارة إلى شيخ زاده باعتباره علماً من أعلام التفسير وعلوم القرآن ، وهو من الذين بخسهم العلماء عوضاً عن طلاب العلم حقهم من الدرس والعناية والاهتمام ، فقد بينت في هذه الدراسة جانباً مهما من حياة شيخ زاده رحمه الله بما يثلج الصدر ويكون مادة أولية لحث طلاب العلم إلى بحث المزيد من حيثيات حياته الحافلة بالعلم والبركة والإيمان .

٣. استطيع القول أن الحاشية هي المفتاح الأمثل لفهم تفسير الإمام البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وأن هذه الحاشية تقف جنباً إلى جنبي مع حاشية الشهاب والإمام السيوطي للتدليل ولفك مغلقات البيضاوي رحمه الله في تفسيره المذكور .

٤ . بينت من خلال هذه الدراسة أن هناك مزايا لهذه الحاشية بما يلفت انتباه العلماء إليها ، من جهة ، ومن جهة أخرى وضعت مجموعة من المآخذ على هذه الحاشية ، والتي أعتقد أن الحاجة ماسة إلى تداركها لتكون منارة من منارات علم التفسير ، وذلك من حيث – مثلاً – تخريج الأحاديث ، وعزو الأقوال التفسيرية إلى أصحابها ، وكذلك استشهاد البيضاوي بالشعر، إلى غير ذلك من الأمور التي لفت الانتباه إليها في هذه الدراسة .

وأنا أوصي أخيراً بأن شيخ زاده وتراثه العلمي وأخص بالذكر حاشيته القيمة يجب أن يكونا محل عناية طلاب العلم والعلماء ومراكز الدراسات العلمية لتسليط الضوء على هذا الكنز ولحجز مكان مناسب لشيخ زاده بين علماء التفسير ، ولحاشيته المكانة الحقيقية بين كتب التفسير المعتبرة.

وختاماً فهذا ما وفقني الله تعالى إلى تقديمه وعرضه لهذه الحاشية المهمة للشيخ زاده رحمه الله تعالى ، ولا أدعي الإحاطة ولا حتى تمام المحاولة ،اللهم إلا أنني بذلت جهدي وما وسعني الجهد لإخراج هذا العمل لطلاب العلم ، عسى الله أن ينفع به ، فإن كان من توفيق فمن الله تعالى وحده لا شريك له ، فله الحمد والمنة والفضل ، وإن كانت الثانية فمني ومن الشيطان ، وإنني أبرأ إلى الله تعالى من كل قول ليس في محله ولا يستند إلى صحة أو صواب ، ويكفيني أن كانت الثانية أنني حاولت أن أصيح بين العلماء وإخواني طلاب العلم بضرورة العودة إلى تراثنا العظيم والإفادة منه والبناء عليه لتشكيل صرح من صروح العلم والنور يدفع ظلمات لجهل بنور العلم والإيمان خصوصاً في هذا الزمن المتعطش لأنوار الهداية والبيان من نور وهداية القرآن ، الله أسأل العفو والمغفرة عن كل زلة ، وأن يثيب سبحانه وتعالى كل من قدم النصح والتوجيه والإرشاد ، وأن يجعل ذلك في ميزاني وميزانه وأن ينفعنا به جميعاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) إبن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، المحقق: كمال يوسف الحوت ،الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ .

٢) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ،الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي .

٣) ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) ،شرح طيبة النشر في القراءات ،ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الثانية٢٠٠٠ م .

٤) ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) منجد المقرئين ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠– هـ ، ١٩٨٠م .

٥) ابن المؤقت الحنفي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج (المتوفى: ٨٧٩هـ)، التقرير والتحبير، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦) ابن المنير، احمد بن محمد الإسكندرى المالكي ، الانتصاف من الكشاف ، الناشر جامعة أم القرى .

٧) ابن النجار الحنبلي ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي (المتوفى: ٩٧٢هـ) ، شرح الكوكب المنير ، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، الناشر: مكتبة العبيكان ،الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ .

٨) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) ،مجموع الفتاوى المحقق : أنور الباز - عامر الجزار ،الناشر : دار الوفاء ،الطبعة : الثالثة ٢٠٠٥ م ،

٩) ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز (المتوفى ٧٣٣ هـ) ،كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، تحقيق : الدكتور عبد الجواد خلف ، الناشر : دار الوفاء - المنصورة ، الطبعة الأولى ،عام النشر : ١٩٩٠ م

١٠) ابن حجر ، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ،الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب .

١١) ابن خالويه ، الحسين بن احمد (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، الحجة في القراءات السبع ، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت ،الناشر: دار الشروق – بيروت ،الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .

١٢) ابن سيده المرسي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ) ، المحكم والمحيط الأعظم ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التفسير ورجاله. دار الكتب الشرقية، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م .

١٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

١٥) ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٦) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين (المتوفى: ٨٥١هـ) ، طبقات الشافعية ، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ .

١٧) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، المحقق: علي شيري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م .

١٨) ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .

١٩) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٢٠) أبو البقاء الحنفي ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (المتوفى: ١٠٩٤هـ) ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،المحقق: عدنان درويش - محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .

٢١) أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين (المتوفى: ٨٧هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢) أبو شوفة ، أحمد عمر ،المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ، الناشر: دار الكتب الوطنية – ليبيا ،عام النشر: ٢٠٠٣م .

٢٣) أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

٢٤) أبو حيان ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، الناشر : دار الفكر - بيروت سنة الطبع : ١٤٢٠هـ .

٢٥) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: ١٣٩٤هـ) زهرة التفاسير دار النشر: دار الفكر العربي.

٢٦) أحمد، عبد الرزاق حسين، المكي والمدني في القرآن الكريم، من منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٧) الأدنه وي، أحمد بن محمد من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ) ،طبقات المفسرين ، المحقق: سليمان بن صالح الخزي ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .

٢٨) الاصطخري،أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ) ،المسالك والممالك ،الناشر: دار صادر، بيروت ،عام النشر: ٢٠٠٤ م .

٢٩) الألباني ، محمد ناصر الدين ، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته ، المكتب الإسلامي .

٣٠) الآمدي ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ) ، الإحكام في أصول الأحكام ، المحقق: عبد الرزاق عفيفي ،الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان .

٣١) الباباني ،إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) ،إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ،عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان

٣٢) الباباني ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) ،هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .

٣٣) البارزي ،هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن الجهني الحموي (المتوفى : ٧٣٨هـ) ،ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه .

٣٤) البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله ، الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٣٥) البخاري ، علاء الدين ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي .

٣٦) بردي ، يوسف بن تغري بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) ،المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ،حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد أمين ، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٧) البيضاوي ، عبدالله بن عمر(المتوفى ٦٨٥ هـ) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣٨) البيضاوي ، عبدالله بن عمر(المتوفى ٦٨٥ هـ) ، منهاج الوصول إلى علم الأصول ، اعتنى به وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٣٩) الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، ، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)الجامع الكبير، سنن الترمذي ، المحقق: بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ،سنة النشر: ١٩٩٨ م .

٤٠) التهانوي ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م .

٤١) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ، التعريفات ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٢) الجمعة، إبراهيم محمد، المباحث البيانية في حاشية الشيخ زاده، رسالة ماجستير.

٤٣) الشوكاني ، محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن القرن السابع ،دار المعرفة– بيروت .

٤٤) الجندي اليمني ، محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين (المتوفى: ٧٣٢هـ)السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ، الناشر : مكتبة الإرشاد ، مكان النشر : صنعاء، سنة النشر : ١٩٩٥م .

٤٥) الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٩٨٧ م.
٤٦) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد ، تاريخ النشر: ١٩٤١م .
٤٧) الحاكم ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري ،المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م.
٤٨) السمين الحلبي، شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق : علي محمد معوض وآخرون : دار الكتب العلمية بيروت –الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م
٤٩) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
٥٠) الحنبلي ، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ،التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح ، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٥١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، نسخة دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨ م.
٥٢) الخوانساري ، الأصفهاني ، محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر بن الحسين الأصفهاني (المتوفى١٣١٣ هـ) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، الناشر : الدار الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م .
٥٣) الخيمى ، صلاح محمد، فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق ، عام النشر: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٥٤) الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (المتوفى: ٣٨٥) ، السنن ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب

الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤ م .

٥٥) الدارمي ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم ، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ،المحقق: شعيب الأرنؤوط ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية ١٩٩٣م .

٥٦) الداوودي ، شمس الدين محمد بن احمد بن علي (المتوفى : ٩٤٥ هـ) ، طبقات المفسرين ، تحقيق : علي محمد عمر ، الناشر : مكتبة وهبة ، عابدين - القاهرة .

٥٧) الدوسري ، ترحيب بن ربيعان ، معجم المؤلفات الأصولية الشافعية المبثوثة في كشف الظنون وإيضاح المكنون وهدية العارفين ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،الطبعة الثانية ٢٠٠٤م .

٥٨) الذهبي، محمد حسين ، التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة، سنة النشر ٢٠٠٠م، الطبعة السابعة.

٥٩) الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٦٠) الراغب ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان داودي، الناشر : دار العلم الشامية ،مكان الطبع : دمشق - بيروت ،سنة الطبع : ١٤١٢ هـ .

٦١) الرومي، فهد، الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٢) الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ،تاج العروس من جواهر القاموس ،المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية .

٦٣) الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ،الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الطبعة الثالثة .

٦٤) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين ، الناشر: دار المعرفة – بيروت .

٦٥) الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ) ،البرهان في علوم القرآن ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ،الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

٦٦) الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، البحر المحيط في أصول الفقه ،الناشر: دار الكتبي ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٦٧) الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ، الأعلام ،الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

٦٨) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٦٩) الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨ هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ،سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ .

٧٠) الزيلعي ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى : ٧٦٢هـ) ، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ،المحقق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ،الناشر : دار ابن خزيمة – الرياض ،الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ .

٧١) السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ .

٧٢) السِّجِسْتاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

٧٣) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (المتوفى: ٩٠٢هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت .

٧٤) سركيس، يوسف بن إليان بن موسى (المتوفى: ١٣٥١هـ) ،معجم المطبوعات العربية والمعربة ،الناشر: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

٧٥) الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد السمرقندي ، التميمي (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ،تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م .

٧٦) السيد، فؤاد صالح (١٩٩٠) معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، بيروت، دار العلم للملايين.

٧٧) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ،الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية ،عام النشر: ٢٠٠٥ م .

٧٨) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ،لب اللباب في تحرير الأنساب ، الناشر: دار صادر – بيروت .

٧٩) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٨٠) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا .

٨١) الشافعي، محمد بن إدريس، أحكام القرآن، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، نسخة دار الكتب العلمية، الطبعة ١٤٠٠ هـ.

٨٢) الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ،عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ .

٨٣) الشهاب الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار النشر: دار صادر – بيروت .

٨٤) شيخ زاده ، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي (المتوفى ٩٥١ هـ) ، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٩ م .

٨٥) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ،الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

٨٦) طاشكبري زاده ،أبو الخير، عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل، (المتوفى: ٩٦٨هـ) ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت .

٨٧) الطبراني ، سليمان بن أحمد ، المعجم الصغير ، الناشر : المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير .

٨٨) عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية ٢٠١٠ م.

٨٩) عبد الجواد، عبد الجواد خلف محمد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، الناشر: دار البيان – القاهرة.

٩٠) العكبري ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة الحنبلي (٣٠٤هـ - ٣٨٧هـ) ،الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ،المحقق : عثمان عبد الله آدم الأثيوبي ،الناشر : دار الراية للنشر – السعودية ،الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ .

٩١) علي ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي،أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،حققه: محمود الأرناؤوط ،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط ،الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت ،الطبعة: الأولى ١٩٨٦ م .

٩٢) علي، يوسف احمد، البيضاوي ومنهجه في التفسير، رسالة علمية.

٩٣) عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.

٩٤) العَمْري ، صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله المعروف بالفُلَّاني المالكي (المتوفى: ١٢١٨هـ) ،قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر ،المحقق: عامر حسن صبري ، الناشر: دار الشروق – مكة ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م .

٩٥) العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين الحنفي (المتوفى: ٨٥٥هـ) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، الناشر :دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٩٦) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ،المستصفى ،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ،الناشر: دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٩٧) الغزي ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (المتوفى: ١٠١٠هـ) ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، النشر : دار الرفاعي الرياض (السعودية ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

٩٨) الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد (المتوفى: ١٠٦١هـ) ،الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، المحقق: خليل المنصور ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ .

٩٩) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

١٠٠) قاسم ، عبد العزيز بن إبراهيم ، الدليل إلى المتون العلمية ، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٠١) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة: الثانية، ١٩٦٤ م .

١٠٢) القطان، مناع بن خليل (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٠٣) القنوجي ، صديق بن حسن ، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ،الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨ ، تحقيق : عبد الجبار زكار.

١٠٤) القونوي ، حاشية القونوي على البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، طبعة ٢٠١٠ .

١٠٥) الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات ، المحقق : إحسان عباس ،الناشر : دار صادر – بيروت ،الطبعة : ١.

١٠٦) كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين: الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠٧) كُرْد عَلي ، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، (المتوفى: ١٣٧٢هـ) ،خطط الشام ،الناشر: مكتبة النوري، دمشق الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣ م .

١٠٨) الكرمي ،مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد المقدسي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ) ،قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ،المحقق: سامي عطا حسن ،الناشر: دار القرآن الكريم – الكويت .

١٠٩) اللالكائي ، هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان الناشر : دار طيبة - الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

١١٠) مروة ، إسماعيل إسماعيل ، شرح قواعد الإعراب لابن هشام ، تأليف محمد بن مصطفى القوجوي ، نسخة دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١٩٩٧ .

١١١) مسلم ، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، الصحيح المسند المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١١٢) الحموي، ياقوت (المتوفى ٦٢٦ هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي الناشر: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر ١٩٩٥ م.

١١٣) مصطفى ، إبراهيم وآخرون المعجم الوسيط ، محمد النجار ،دار النشر : دار الدعوة تحقيق : مجمع اللغة العربية .

١١٤) المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي (المتوفى: ٤١٠هـ) ،الناسخ والمنسوخ ،المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان ،الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .

١١٥) المناوي ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : ١٠٣١هـ) الفتح السماوي في تخريج أحاديث القاضي البيضاوي ، المحقق : أحمد مجتبى ، الناشر : دار العاصمة – الرياض .

١١٦) المناوي ،زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (المتوفى: ١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف ،الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

١١٧) الموسوعة التاريخية ، موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - حتى عصرنا الحالي ، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر: الدرر السنية .

١١٨) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت.

١١٩) النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) ،الناسخ والمنسوخ ،المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢٠) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (المتوفى : ٧١٠هـ) ،مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار دار النشر : دار النفائس - بيروت .

١٢١) النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (المتوفى : ٩٢٧هـ) ، الدارس في تاريخ المدارس ،المحقق : إبراهيم شمس الدين ،الناشر : دار الكتب العلمية ،الطبعة : الأولى ١٩٩٠م .

١٢٢) نكري ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد (المتوفى: ق ١٢هـ) ، دستور العلماء ، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

١٢٣) اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (المتوفى: ٧٦٨هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه: خليل المنصور ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

١٢٤) اليمني ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١٢٥) http://www.tafsir.net/vb/tafsir

Abstract

Khader Ibrahim Asaad Qazaq

Astdrakat Sheikh Zadeh in his Annotation on Al-Bidawi in some of the Science of the Holy Quran

Ph.D. Dissertation-Yarmouk University-2012

Supervisor: Prof. Dr. Mohammad Ahmad Al Sarhan

The interpretation work by Imam Al Baidawi entitled "Elevation Lights and Secrets of Interpretation" is a significant reference in the Quranic interpretation since the seventh Hijri century.

Among the many commentaries on Al Baidawi's work, the one by Imam Sheikh Zadah was paramount because he tracked every statement in the text adding comments, explanations, and footnotes or even he would present his own views to support or disagree with an opinion or in other places he would discuss or make commentary glosses on the interpretation text.

The investigation of Sheikh Zadah interpretive comments reveals that it was almost inclusive to all language arts and interpretation disciplines. Specifically, the textual glosses related to Quranic sciences were helpful in the demonstration and interpretation of the many vague words in this field, which served as significant glossaries to Al Baidawi's work.

This dissertation surveyed glosses by Shiekh Zadah on Imam Al Baidawi only in the Quranic sciences field. Al Baidawi's arguments were provided along with glosses by Sheikh Zadah followed by author's comments whether in support or disagree with the textual glosses. Then the study was evaluated in terms of pros and cons, and prominent features of Sheikh Zadah's glosses, and my counterarguments were presented.

This dissertation finds that Sheikh Zadah's glosses to Al Baidawi's Interpretation in Quranic and interpretation sciences are valuable, and as specialist in this field this dissertation was not inclusive to all glosses in this field, though it addressed major part of them.

This study opens the door for further studies about Sheikh Zadah's glosses to Al Baidawi's interpretation in greater elaboration, which will increase the interpretation works currently available.

Keywords: Glosses, Al-Bidawi, Sheikh Zadeh, Science of the Holy Quran